الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

«ooo»

وزارة الجامعات

«ooo»

جامعة الجزائر

«ooo»

معهد علم الاجتماع

«ooo»

ديوان سيدى بلال

تناقضات المقدس واستمرارية المكانة في الاسطورة

رسالة لنيل شهادة الماجيستير في علم الاجتماع

اعداد الطالب :

خياط سليم

تحت اشراف :

محفوظ بنون

دورة 1991 1992

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"Ces étoiles sont lo[illegible]ns dites-vous?
et notre terre toute petite,
qu'elle le soit donc.
je m'en moque.
sachez que je trouve plus important
plus imposant
plus mystérieux et plus grand
un homme qu'on empêche de marcher
un homme qu'on enchaîne."

JEAN ZIEGLER
Le Pouvoir Africain.Cit;
NAZIM HIKMET.
VIE ET MORT DE BINERDJI.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهـــــداء

الـى أمـــي العزيـــزة ، التي عـانت لنجـاحـي و تتـمـنـى العيـــش لأجـل رؤيـــة ابنـهـــا متـفـــــوقـــا .

الـى أبـــي الذي قـدم معنى الوراثـة المعنـويـة ، و المقـدسـة فـــارع الـى تسجيـل بعـض المقـاطع الخطابية .
أ هـــدي ثـمـــرة مـــاهـتمـمـــا المعتـبـــرة .

كـمـا لا يفـوتـنـي اهـداء هـذا العـمـل العـلـمـي الى :

- الحـاج بـحـــاز : الذي فـارق الحـيـاة قـبـل ان يشـاهـد نهـاية المشـروع .

- تيمـــاوي مبـروك الملقـب بـ" بـابـا " (تيـارت) : الذي هـو ايضـا فارقنا آخـذا معـه المتبقـــى من خـفـايا و روائـع مـــاسـة " الديـــوان " .
(رحـمـه مـهـا اللـــــه) .

- ثم الـى الحـاج أحـمـد الترفـي (البليدة) ، و بـلـو العيـــد (فـرنـدة) ، العيـد ولـــد القايد الملقـب بـ" كـانـو " و هـي المقاطـعـة التي يرجع اصلـه اليـهـا (سعيـــدة) ، و اخيـــرا الـى داود بـن دوسـة و غـيـرهـــم .

الـى هـؤلاء و الـى كـل قـــارئ ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكـــرا .

اتـقـدم بشكـر الى الاسـتـاذ محـفـوظ بـنـون الذي مـن دونـه مـا كـان ممكـنـا انجـاز هـذه الرسـالـة لتوجيهـاتـه القيمـة ولسـنـده الدقـيـق .

كـمـا اتقـدم بامتـنـانـي الـى الـدكـتـور الـمـديـر المـركـز الوطـنـي للدراسات التاريخيـة الاسـتـاذ بـن نعـمـان أحـمـد لثقتـه بتنـديبـي فـي المـركـز و تكفلـه بـي علـمـيـا .

ســشـكـرا كـذلـك ، الـى ... هـمـام الفـريـد الذي ابداه مجـمـل الباحثين و الزمـلاء لهـذا الـمـو ... وه ، و اذكـر هـنـا : الانسـة بـوفنـار نصيـرة ، بـوزيد مـريـم ، بن ... مـديـر ليـلـى ... و السـيـدة بـوراس سلـمـى ، ب.نصر الدين ، ع ..مليكـة ، ... الانسـة ايـت سعيد ... ابراهـيـم علي ، خ . عبـد المجيـد .

و نلتمـس العـذر ان لـم نكـن ثقـل هـذه الكلـمـات مسـاوي لمـا قـدمه لنـا كـل مـن تـشـريبـا مـن بعـيـد ابتـداءا مـن اعضـاء المكتبـة و الادارة في اعـداد هـذه الدراسـة .

و فـي الخـتـام تجـدر الاشـارة الـى انـه لا يسـمـح بـذكـر كـل مـن مدّ لـنـا يـد العـون ، فـنـشـكـرهـم و نسـأل ان يجـازي كـل ذي خيـر خيـرا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محتـــويـــات الرســـالـــة

- مقدمـــة عـــامـة 1
- وضعيـة "ديوان سيدي بلال" ضمـن نظريـات الأنثروبولوجيا و السوسيولوجيا الدينيـة 4
- الاشكـــاليـة و الفرضيـات 17

الفصـــل الأول: الخلفية التاريخية و الأنثروبولوجية فـــي "الديـــوان".

- الجزء الأول: عبيد أم وصفان ؟ تساؤل على الأنثروبولوجية 22
  - نموذج العبودية في اطار اقتصاد رأسمالي 26
  - الحـلول الدينيـة 31
  - الحـلول السياسية 33
- الجزء الثاني: البنيّة و المكّونة السوسيو ـ تاريخية "للمحلات" ... 42
  - التركيبة البشرية "للمحلات" عرقيا و جغرافيا 44
  - مؤلفات "المحلة" و أشكال التجسيم و الانضمام 48
  - مجتمـــع "الديـــوان" 50
  - البنية العائلية و مفهوم القرابة 51
  - الفرقـــة الموسيقيـة 53
- الجزء الثالث: النسق التصوري و مفهوم "الدين" في ممارسة "الديـــوان" 55
  - "المواسم" كمراجـع زمنية و دينية 56
  - الجهاز الايديو ـ ديني و تقنيات التقديس في "الديـــوان" 59
- الجزء الرابع: "الجـذبة": تضـارب في النسق النفساني، أم حلقـة تمثيـل ثقافـي 69
  - "الجذبة" و الحركـة المغناطيسية 72
  - "الجذبة" كحلقة تمثيـل ثقافـي 78

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ الجزء الخامس: الموسيقى و الخطاب في "الديوان" 87
ـ محدودية التوسيقى أو ضعف الموسيقى في "الديوان" .. 91
"الديوان" و الحالات الشعرية مدراسة للبنيات
الشكلية و الصوتية 101
ـ "الديوان" و انتصارات الجماعات العرقية 118

الفصل الثاني : سوسيولوجية التأثير و التحوّل
الدينمي و الأسطوري .

ـ الجزء الأول: مقدمة عامة 140
ـ اتصال ممارسة "الديوان" بموسيقات "الشوافة"
و "الطالب" 145
نموذج وادي قريدر ـ نموذج الأبيار ـ

ـ الجزء الثاني: موسيقات "الشوافات" كتشيرات لاستمرارية ممارسة
"الديوان" 163
ـ دراسة لنماذج موسيقية "الديوان" و استمراريته في
كل من: حصين دلي، سوسطارة، القبسة،
و بوزيعة 165

ـ الجزء الثالث: تصوّر و بنوية ديوان سيدي بلال .
ـ دراسة مقارنة جهوية في: تيارت، قوندة، سعيدة ... 192
ـ "المواسم" و تباينها الزمني بمواضيع الاحتفال 196
ـ التسق التصوري و تحديد التناوب في استعمالهم
الجهاز الديني 198
ـ الجذبة ممارسة ممأسسة 201
ـ تصاعد الأسطورة في خطاب "الديوان" 204
ـ الخاتمة 217

ـ ملحق المصطلحات المتداولة دينيا و اجتماعيا x
ـ ملحق أسماء القبائل و الأقاليم xx
ـ ملحق التشجير الذي وضعته أ. مجاكلين م .
ن . المتضمن أسماء عائلة الالاه بسوري xxx.
ـ ملحق خريطة بعض الأضرحة الزيانية xxxx

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة عامة:

لم نكن نتوقع أن " لديوان سيدي بلال " أو " وعدة الوصفان " شعبية معاولة تغطي نشوة تظاهر المقدس، و اقامة الوساطة ، بين الفئات الاجتماعية الا تصال بالقوة الحقيقية . كما لم يخطر ببالنا ، أنه لا يزال في الذهنيات يثير اهمية و فاعلية اجتماعية حينما يذكر على لسانهم ، " أن الوصفان كانوا يمرون عبر الاحياء " ، يضربون الطبول و يقرعون ازواج " القرقابو " . جارن معهم " ثورا اسودا " معلنين بذلك عن موعد بداية الطقوس، و الاطفال ملتفون حولهم ، يراقبون عن خوف مدلول الحيوان الاسود و الرجل الاسود .

اذ توقفهم اشارات، تدعوا الى طلب الاستعانة و الاستنجاد ، مقابل تعهد بالاشتراك في كل " موسم " بنصيب مادي ، ثمنا لنجاح الوساطة و عرفانا للكرامة التي اشتق منها اسم الجولة التي يقوم بها اعضاء مجتمع الديوان : " الكريمة " — و مقابل نتائجها ، التي اثمرت اجتماعيا و رمزيا بمفاهيم : " المبيوع " ، و " المشري " ، و " العياشة "

الشيء الذي قادنا الى القول ، بأن الادوار الوظيفية واشباع الحاجيات الاجتماعية ، التي كان متكفل بها " ديوان سيدي بلال " ، أو " ديوان العبيد " . كانت كافية لمحو الحدود التي كانت تفصلهم كفئتان متميزتان و رسم خط تكافيء ، يسد فراغات الثقافة الشعبية التي تدخلت مع هذا التحدي ، بالرد عليه بمفهوم "بابا سالم "

لتحقيق مخرج يلبي بذلك نزوات و تساءلات هؤلاء الذين استغربوا من مظاهره الثقافية و تاهوا لعدم استكمال فهمهم تركيبة " الديوان " التاريخية . ثم غيابه المفاجيء ، كممارسة امتصتها تلاعبات السيرورة التطورية وكموقف من التغيير الاجتماعي و الديني . قسمنا موضوع دراسة " الديوان " الى فصلين كبيرين :

— أحدهما : يجيب عما لم تصل اليه المعرفة العامة .
— و الثاني : يقربنا من حالته و وجه استمراره .

يشتمل الفصل الاول اذن، عما يمكن أن نسميه بالكتلة التاريخية ، أو الخلفية الانثروبولوجية " للديوان " (عبيد ، محلات، الدوزان ، الجذبة ، الموسيقى ، البراج . .) نبحث ضمن هذه المحاور الجزئية تكوين صورة كاملة عن تظاهراته السطحية و البارزة ، و في نفس الوقت تطبيق المعرفة العلمية و مناهجها على هذه الكتلة التاريخية و الانثروبولوجية الدينية ، للخروج و توسيع نطاقها الحدسي الى مستوى المساهمة في اطار نظريات الانثروبولوجيا .

أما الفصل الثاني ، فيشتمل على سوسيولوجيات استمرار اسطورة " بابا سالم " أو " الوصفان " ، وكيف هي الان اذن ، آليات ديمومة العلاقة بالمقدس و الديني . اذ نتناول فيه شبكة من المواقف المتضادة في مبتغيات و اهداف تنظيم الممارسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان من الصعب علينا استوفاء حجم هذين الفصلين و لم يكن لدينا الدعم التاريخي الذي فتح لنا أفق تلك المضامين الانثروبولوجية و توافقها مع بنية الذهنيات العاملة بها و المندمجة فيها ، و فهم وظائف (القرابة ، الديانة ، الاسطورة .) بالنسبة للمدلول الاستعماري للممارسة ذاتها .

بحيث أن اهمية الفصل الاول كما نتصورها و قوة خلفيته الانثروبولوجية ، لا تقف عند حدود " المونوغرافية " ، بل تكمن في الفهم للجزئيات المكونة لوحدة الممارسة و طقوسها الشاملة ، و الغوص في اصنافها الديناميكية التي تشكل مقومات تميز كل جماعة عرقية . أو تحويرها كمتغيرات مستقلة ، تمكننا قراءتها من تغطية فضاءات نشاطها و تجانسها ، الذي يشكل ايضا استعارة ثقافية .

يمثل بذلك التركيز على الكتلة التاريخية و الثقافية للرجل الاسود التساؤل الجوهري لأساليب تجاوز الوجه الدرامي ، الذي تبعثه الجماعات العرقية من خلال قنواتها التعبيرية و وقفة على صياغات اعادة تجديد الاستمرارية التاريخية و الجغرافية المسلوبة .

كما أن متابعته تنطوي على فهم امتثالية الجماعات العرقية و الاسطورة المؤسسة (سيدي بلال) و عمليات تفصل النمط الديني الاصلي ، بالنمط العالمي (الاسلامي) ليعطي تبريرات و ارضيات لمعاني التقديس الاولية ، و تفرع علاقة الوعي العرقي بالقوى الخارقة و الرمزية ، كمجموع الوهمي يحمي وجودهم و علاقاتهم الاقتصادية و الاجتماعية التي تقرر و ساطتها و غاياتها المعتقدات و التضحيات .

معتقدين في هذا العمل امكانية امتصاص حزام الرموز و التصورات ، عن الوجه التاريخي و الحقيقي الذي تختزله في ذاكرتها و غربلة مميزات العلاقة العرقية بالحيوانات ، الالوان ، الماء ، النار ، الارض و غيرها من المكونات الطبيعية عن مختلف الميادين الثقافية و الحضارية و الانماط المعاشية ، الممكن استخلاصها من تحليل استعراضات " الجذبة " ، كظرف رقصي معنوي و شعوري و محتويات السلسلة الخطابية ، كحالات شعرية ، أو شعارات رمزية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينما يتضمن الفصل الثاني اجابات عن استراتيجيات تجديد نظريات القدرات و المكانة الاجتماعية و الدينية داخل المجتمع أو الاسطورة - التي لم تتطرق اليها الابحاث و المذكرات السابقة - و يبحث في تلاعبات البناء الاسطوري الجديد الذي جاء نتيجة ضعف و ازمة مجتمع الديوان و استعاذة ممارسته و جهازه الديني من طرف مؤسسات دينية منفصلة عنه .لتدرجه احيانا ضمن نطاق " الفعل المعاصر" و تعميم المكانة اجتماعيا و احيانا ليخوضه ورثة ممارسة " الديوان" كحقل تصوري " مثالي" .

بهذا التقديم العام تبرز خصوصية موضوعنا في كونها مختلفة عمن سبقونا الى تناول موضوع " ديوان سيدي بلال" من حيث حجم التغيرات و زاوية التقرب من أسسه الانثروبولوجية و السوسيولوجية ؛ أي من حيث التضخيم في استخدام " المنهج المقارن" لكنه تبقى مثل دراسات ج .ب.آندرو (1903) و ا .د.رمينغام (1954) ، و كتاب ف.بساك (1964) الاتنوغرافي ، مفيدة لمعرفتها و تبيان غناها من حيث الملاحظات التاريخية .كما يبقى ايضا ما أسموه " بالاسلام المغاربي " بديعية ،أو رؤية " الآخر" لظواهرنا الثقافية و الدينية ، ودليل عن المسافة التي تفصلهم عن تفسير التاريخ الفعلي لهذه الممارسة .

لذلك ، أو من هذه الزاوية ، فاننا لا نعتبرهم أسلافا علينا . بهل يمكن أن نعتبر انفسنا من السباقين الى توضيح ؛ كيف تلعب التصورات بالمقدس دورها في انعاش خصوصيات الممارسة و بنياتها الداخلية؟ وكيف يدافع من خلالها على الذات الخاصة و الفردية ثقافيا؟ و أخيرا ،كيف أن تفسيرات " الغير مرئي " بامكانها النفاذ عبر الاجيال و تهرب للمسماة" بالموضوعية"

انه لمن الضروري أن نحتفظ اذن ، و في هذه الحالة ، بلغتنا الانثروبولوجية التي لا تزال فتية ، و غير مستهلكة تماما عبر الميادين العلمية ، و ان نعتبر " الذاتية" شيئا ثاني لما هو عائق و حاجز في المنهجية ، لأنها على خلاف الغرائز ، بامكاننا توجيهها ايجابيا ، بما فيه خدمة للرؤية الداخلية و تصوير عميق لمستوى من المستويات " الديوان" ، و الاقتراب من ذلك الذي لا تستطيع الجماعات العرقية تفسيره و التعبير عنه .

قد يعتقد أن اقامة مجموع هذه العلاقات بين التغيرات، هو بمثابة غلو و مبالغة في الطموحات ، أو مغامرة؟ ممكن ! و لكنها في الحقيقة أيضا تعبير عن ايمان شديد بقيمة و أهمية ممارسة الديوان و تجاوز محتوياته للوظائف البسيطة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذا كان بحثنا يضع أصل ممارسة " الديوان " محل نقاش ، و تدخلها مع تلاعبات " لون البشرة " و الترتيب الفئوي " عبيد " الذي انجر عن تطور المجتمعات من جهة ، و " الانقسامية " التي عرفتها مجتمعات أخرى - و نخص بالذكر مجتمعنا الجزائري - في اسناد الرجل الاسود محتوى رمزي ، و تصوري ، يحدد طبيعة علاقاته بالافراد و الظواهر الدينية ، فانه ليس لتبرير الدوافع الاقليمية و عنفها منها أو لاخفاء تعقيد ، بحجة الانتماء و الانتساب الجنسي ، و انما للانطلاق من قضية غير بديهية - و كرونولوجية - صاحبت تشتتنا في التاريخ الاجتماعي للجماعات العرقية التي امتزجت تصوريا بالانساق الذهنية ثم التمييز في الانساق التصورية لعناصر مطهرة ، ترجع الى مجموعة حوادث تاريخية مرمزة و سيرورة حيوية ، تعيد تسيير الاطراف الانثروبولوجية التي لازالت تختزنها الذاكرة العرقية .

و لعل الامر الذي جعلنا نشدد على التعابير الرمزية و الوصف للقنوات التي تربط الوعي العرقي بالخطاب التاريخي ، يرجع للمكانة التي يحتلها التاريخ سواء كمجموع معرفي ، او منهجي المعبر عن وقائع في اشكالها العاطفية و اصدائه كوجود عالي و مقدس (1) لذلك فنحن في امس الحاجة الى توفير المعلومات الملموسة التي من شأنها بناء نظرية المقدس ، و الظاهرة الدينية في مجتمعنا ، أكثر مما نحن في حجة الى التطبيق الحرفي للمفاهيم الموضوعية ، اذ أنها تستغرقنا وقتا طويلا لايجاد ما يوافقها اكتصور فعلي ، يحرك المعتقدات و السبل التصورية للمحافظة على توازن الفرد و متطلباته داخل الجماعة ، و بالتالي تكرار تاريخه و هويته .

تبدو فائدة جمع المعطيات في هذا الميدان ، في كونها تساعدنا على فهم المعاني ، و تفسير الدلالات الخفية المحجوبة من وراء المقدس ، و " الديني " أو من وراء الرمزية التي تتمتع بها مواضيع الطقوس ، و التي عادة ما توصف باللاعقلانية - كما أنها تمكننا من ترتيب تلاحمها ، و طريقة تنظيمها و اختراق الاوتية التصورية التي تعرقل التماس معايشتها في الازمنة الاولية تحت أنماط مختلفة في ظروف و شروط متباينة .

لذلك ، كان همنا التركيز على ذلك البعد الانثروبولوجي في " ديوان سيدي بلال " و الغلاف التاريخي الذي حدد ايكولوجية هؤلاء " العبيد " كصنف بشري ، أو كرتبة اجتماعية " معذبة " (وصف) بالمعنى الاندماجي و التعايش لنمطين ثقافيين و دينيين .

(1) ERIC DARDEL ; Magie,Mythe,Histoire ; IN; Journal de Psychologie Normale, et Pathologique : XL. 3eme Année .P.U.F. Paris; 1950. - P.217.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هذا السياق ، استنبطنا معنيين للتاريخ ، أولهما حينما يكون جزءا واعيا من تقاليد شعب يلعب دورا هاما في حياته الاجتماعية ، و ثانيهما فيتمثل في التصورات الجماعية : التي يعبّر عنها الانثروبولوجيون : " بالاسطورة" الجامعة بالواقع و الخيال (1)

لنفس المبدأ وجدنا أنفسنا نواجه الفجوات و ثغرات التحاليل التي اعتنت بمعالجة الظواهر الدينية . اذ لوحظ فيها تهاون و اهمال للمقاييس التاريخية و ابتذال للجانب الذي تجد فيه المجتمعات المدروسة نفسها و ذاتها ، و هذا ما تفسره المنطلقات الطولية و الروى الخارجية للأنماط الدينية المدروسة . اذ يمكن اعتبار هذه المواقف منطقية، كلما أقحمنا العامل الاستعبادي و الاستعماري ، أو مبدأ " الخطوة المتقدمة" بالنسبة للحالة التي تكون عليها تلك المجتمعات .

فبالرغم من التضخيم في اتباع المنهج المقارن : - الذي نعتبره فيما يتعلق بموضوع " العبيد " و " الوصفان" حلقة اساسية و حساسة لالتماس اتجاهات استمرارية المقدس في ممارسة " ديوان سيدي بلال " و الانزلاقات التي وقع فيها - الا أن خاصية الموضوعية لم تسمح لتلك الدراسات الاتنوغرافية و الاتنولوجية ، الاهتمام بمعنى " الشعور الجمعي " الذي كان يحكم الجماعات و لا الانشغال " بالحاجيات العاطفية التي كانت تلبيها الابداعات الجماعية " و ما يقابلها بالمعنى الصحيح ، بالبنيات الحية المحركة للمجتمع .

لقد كنا جد مندهشين عندما راحت توجه انتقادات متشابهة لهذه الروى الغير متكافئة ابداها ، الاستاذ ايفانس-بريتشارد ، احتجاجا للوجه السلبي و المصانع للذهنية البدائية (خرافي ، سخيف ، عاجز عن صياغة سلاسة فكرية ، متخلف تقليدي ، من دون صناعة ، و لا كتابة . . .) (2) . و أخرى جاء بها الاستاذ جون كوبانس ، ينفي بها البعد السيميتي الذي يكثف و يخلط بين المجتمعات تحت علاقات موحدة و محددة في : (القرابة ، الدين ، الاقتصاد ، السياسة) مضيفا أن " استخدام " القوسين " لا يغير شيئا من الخصوصيات و لا يمكن لأي تعبير أن يفلت من الاستفزازات الايديولوجية . (3)

---

(1) E.EVANS PRITCHARD: " Les Anthropologues face à l'Histoire, et à la religion."; P.U.F. Paris. 1974 . P.19 .

(2) E.EVANS PRITCHARD: "La religion des primitifs, à travers les théories des Anthropologues ." Payot . Paris . -1971.P.13

(3) JEAN COPANS :" Critique et Politique de l'Anthropologie." Ed. F. Maspero .Paris. - 1974 . P.38 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في حين وعلا بما يمكن أن نستخلصه من هذه الانتقادات و إعادة الكفة القيمة و التعريف بخصوصيات المميزة للثقافات الاولية . أمكن لنا بخطوات فيها شيء من التحفظ ، وضع حدود في الفترات المتناولة للعناصر التاريخية التي التمات استقرار الجماعات العرقية داخل بنيات يغلب في تنظيمها مقياس روحي عال ، فترات أخرى تخص النظام الداخلي للمؤسسات الدينية "المحلات" و ما يجري بداخلها من تصورات و اشكال استعارضية ، فيها من الرمزية و التعابير الثقافية ، ما يبعث الى البحث عما وراء طريقة واهداف تنظيمها و في الوظائف التي تلعبها بالنسبة للجماعات العرقية و بالتالي عن التاريخ الذي يربطها و يحرض نشوتها الداخلية ، و في ادوارها الوساطية التي تقوم بها اثناء استحضار النسوى و تصعيد الزمن السلفي و الاسطوري .

ما كان سهلا علينا ، اكتساب معاني اللغة الانثروبولوجية في "ديوان سيدي بلال" و مجاله الديني و المقدس أو الاسطوري (. . . .) كمنبع رسمي و اصلي ، و فهم " الرغبات الجماعية" التي كان يثيرها ، الا بعد غمّ الفترات المتناولة للعناصر التاريخية - الجانب التذكاري - لاستمرارية الممارسة و مؤسساته ، و بالتالي ، لم يسعفنا الحظ ، الاقتراب من فهم سيميائية المجال التصوري في "الديوان" الا بعد ما راجت في اذهاننا ضرورة البحث عن الوظيفة التي يؤديها كل مستوى من مستويات الحدس التاريخي وكل طبقة من طبقات الساسلة التصعودية .

انطلاقا من ذلك ، بدت لنا خطة وضع "ديوان سيدي بلال" ضمن نظريات الانثروبولوجية و السوسيولوجية الدينية ، واضحت المعالم خصوصا ، بعد ما اصبحت هذه الاخيرة ، متميزة بخضوعها لتعقيدات الظواهر الدينية و السلوك المقدّس ، اى بعدما صار (الديني ، المقدّس ، و الطقوس ، السحري ، الاسطوري) يمثلون مجالات منفردة و نقاط استفهامية غير متجانسة و لكنها تحمل في جوهرها منطقا منسجما و متلاحما .

فبرزت تعريفات و وجهات نظر متعددة تحدد لكل محور في الظاهرة الدينية دوره و حركيته ، و تحدد لكل من (الدين ، السحر ، الاسطورة ، المقدس) وظائفها الاساسية . كما مكنتنا من جهة أخرى ، استنباط شبكة تحليلية خاصة بموضوع " الديوان " ، تتمثل في تأريخية الدّين ، أو تجربة تعايش نمطين دينيين ، و في مجال السحر ، كمؤسسة اجتماعية ، أو فعلا اجتماعيا مكنتنا من استخراج السبّل و الاستعارات الجديدة ، التي تبنتها المؤسسات الدينية الاخرى لتعميم المقدّس و توسيع الطقوس ، لتصبح بذلك "الوعدة" مجال صراع انعكست آلياته على الاسطورة المؤسسة و الدلالات الانثروبولوجية التي يمثلها النسق التصوري في " الديوان " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجوهر الدينيي أو تأريخية " الدين " في ممارسة الديوان :

. ان علاقة " ديوان سيدي بلال " بالدين ، لا تطرح هنا كاشكالية مستقلة ، و انما لتوضح مقصودنا من هذا الجوهر الدينيي ، أو بالاحرى أن ثمة تأريخية في الدين بحيث ليس المهم كما جاء على حدّ تعبير ك .ل .ستروس ، مستشهدا و اياه جوزيف شلهود " تأكيد الوظيفة العالمية للديانتان المعروفتان ، و لكن فهم العادات و التقاليد التي صارت أكثر تنوعا و تباينا " (1) . و الا ما الذي يفسّر لنا - على اختلاف البنيات - أن ديانتان متقاربتان لبعضهما البعض - كالدين الاسلامي و المسيحي - أعطتا ميلاد حضارتين مختلفتين في ذات الوقت و تستلهمان كتابهما المقدّس من وحدانية الاله .

بلا شك ، فان اختلاف النسقين و تمزقهما يرجع الى تناقض المذاهب . الشيء الذي انبثق عنه مناهج دينية ، و طبقات ثقافية ، دينية موضوعية الواحدة تلوى الاخرى ، لتبرير المراحل التي قطعها الفكر الديني ، في طريقة نحوه هذه العالمية .

بذلك فان مقصودنا و اهتمامنا منصّب حول هذه العادات و التقاليد أو ما يسميه الانثروبولوجيون : " بالديانات المتعددة " ، التي هي ابداعات بشرية و جماعية ، ميزت بنيات اجتماعية و اقليمية متباينة ، في طريقة الوساطة بين الانسان و الاله . و يعرفها - لويس فانسون طوماس ، بكونها : " جذورا تحمل قوة و براهين تظهر في اشكال طبيعية حيوانية ، و قوى خارقة - جان - أو أبطالا اسطورية " (2) و تحضى بتضحيات و ظروف خاصة لتكرار تخليدها و التقرب اليها يعبّر عنها الانسان بواسطة الادوات و الاشياء المادية التي لها هدف أو لآخر تترجم لنا قيّما تكشف عن أحاسيس ، و شعور يبديها خلال الممارسة الرسمية .

و يمكن أن ندرج ضمن هذه " الذاتية الجماعية " ما يمكن أن نطلق عليه بالابعاد السوسيولوجية و السيكولوجية ، التي يحدّدها دوركايم على سبيل المثال بمصطلح " المافوق الطبيعة " الذي هو عالم عجيب غير معروف ، و لا يمكن فهمه " ، يعتمد أساسا على " الاعتقاد ، و الايمان بوجود شيء ما يفوق الدهماء " (3) ، متظاهرا بذلك بمبدئه الوظيفي الذي أنتقد كثيرا ، لاهماله الضمانات التاريخية التي تعمل على انسجام المجتمع و توحيده ، و المكانة " العجومية " التي تحتلها في الذاكرة الجماعية .

---

(1) CHELHOD Joseph. "Les Structures du sacré chez les Arabes"Coll. Maisonneuve et Larose . - Paris 1964.

(2) LOUIS - VINCENT THOMAS: "Les religions d'Afrique Noire: Textes et traditions sacrées -Ed. Fayard & Denoël. 1969 . P. 49.

(3) DURKHEIM-Emile: "Les formes élémentaires de la vie religieuse" Ed.P.U.F. Paris .1968 . - P. 33.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولانشذ النا اذن بما يمكن أن تقدمه لنا الامثلة العرقية في مجال " الديوان " نجد أنة غير منطقي أن تكون هذه الجماعات العرقية نائية عن تاريخها أو ما قبل تاريخها ، و أن ما يمكن أن ندرجه ضمن محاور فرعية ، هي " ديانة سابقة " ؛ و بمعنى آخر ، أنه يصبح من المبتذل أن يكون تناقض في تعريف " الديوان " "كديمون" . عندما نكشف في تطبيقه و ماديته للعلاقة التي تربط الانسان العرقي بصوره الرمزية للطبيعة و الحوادث التاريخية ؛ (حيوانات ، قوى زلزالية ، الاجداد ، و الاسلاف . .) ما يحدد اجتماع الشخصية العرقية ثقافيا و يوحدها داخل نطاق روحي و معنوي و بذلك فان اعتناق الالوهية المتعددة ، التي يمكنها أن تشكل محاور تحتية لدراسة الديانات الافريقية ، و ببعض النماذج العرقية التي استقرت ببلادنا ، يستحيل أن تكون وظيفتها شيئا آخر ماعدا ابراز تنظيم اجتماعي أولي ، و واقعي محدد بتوسطه الرمزية المأخوذة عن الحالات الانيمية التي تظفي مبدأ النفس كما أنه بفضلها لا يمكن تصور تخليدها و استحضارها لمجرد " فيتيشية " بل لاستيعاب الذات أيضا ، و تأكيد هويتها ثقافيا و دينيا .

فالحيوانات اذا ما استثنينا استخداماتها التقنية (التربية ، الصيد ، القنص . . . .) تمثل في علاقاتها بالانسان كما جاء على حد تعبير ل . فرناندو ماس ؛ في تحليله للديانات الافريقية ؛ 1) — سلوك تطابق ؛ أو طوطما واسعا باختلاف الحيوانات و حجمها . . . .

2) — سلوك النسب ؛ أو طوطما صارما ، و هو بذلك يمثل على حد قوله رمزا و تشخيصا لذات الجد و تعبيرا عن وحدة " عشائرية " . (1)

الاجداد و الاسلاف ؛ تشكل وساطات أساسية لنقل رغبات المخاصين و مخاوفهم و يتوسل بها لفائدة الممارسين أمام القوة العالية ، و هم بهذه الوظائف ، بامكانهم أن يتحولوا الى آلهات ثانوية ، تخصص لها أهم مراحل التقديس و أكبر قسم من الطقوس الدينية أو أن يستحوذوا على اقصى درجات التفرد ما يفوق الوظائف الشبه دينية .

و أخيرا و بشكل موجز يمكن للأسلاف أن توضح لنا ؛ " تصورها كالاه ثانوي فهي مركز الموضوع المقدس الممثل في الاشكال المادية (الماء ، النار ، الارض ، الغابة ، الحديد . . . .) و في التعبيرات التي تعمل كهمزة وصل بين طرفين ؛ أحدهما مرئي و الآخر تشكوني تدور حوله حلقات استرجاع للماضي " . . . . (2)

---

(1) LOUIS VINCENT Thomas : OP. Cit. P.50.

(2) MARC AUGE :Génie du Paganisme : Ed. Gallimard ; Paris 1982.P. 19.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقـــربـــات:

المفروض خضوعها لنظام الطقوس الدينية و المجـّـزة لاقامة الوصل بين الحيوان و الفرد باتجاه القوة العالية . هي أيضا مقياس اساسي لتمرير احتياجات القوى الخارقة الساكنة داخل الفرد - هذا اذا ما لمسنا ثقافيا بوجودها - و اشباع رغباتها الاستفهامية و معيارا ، تثبت ثقافيا حلاّ سلميا بين الفرد و القوة الساكنة ، تخـوّفا و احتراما للنتائج أو انعكاسات التمـّرد في تنفيذها بحيث أن المادة المضحى بها أو عليها ، هي الوحيدة التي تحتوي على وظيفتها بالذات بالمقارنة مع متطلبات المستحوذ (الدم اللـّون . . . .) و الوحيدة التي تجعل من هذه الوظيفة تعبيرا عن تبعيـة للموضوع الديني : (أحنا مسلمين لسيدي . . .) و بالتالي للمكانة الاسعافيـة" التي تقوم بها المؤسسة المنظمة . و بهذه الكيفية اذا وانطلاقا من هذه النهايات الرتبوية فان نظام التقربات يستجيب لمنطق الديانة ويرفع مستواها الى أن تصبح مفتاح لفهم السلوك الديني و الثقافي . ٤٧١٥٤٩

بنفس الشيء و بعملية متقاطعة أو مماثلة ، نجد أن الجوهر الديني الذي في " ديوان سيدي بلال " يبرز أيضا ، للتعبير عن تفـّرد الجماعات العرقية " للثور الاسود " دليل سلوك النسب و طوطما يشخص العلاقة بالحيوانات و تأثيرات استعمالها (سفك دم الخرفان ، و الطيور . . .) كمؤشرات لمناشدة القوى الرمزية و تحريض جوهرها الانتمائي .

من هنا نكون أمام ظاهرة دينية خالصة ، أو "أصلية" محددة بوظيفة فكرة الالاه المسندة " لسيدي بلال " و المزدوجة في نفس الوقت ، تبرز مكانته كالاه بالمعنى الثقافي أو بالنسبة للثقافات الجزئية . و أما وظيفته كشخصية تاريخية و حقيقية فهي أكثرها مبررة ، تعطي الشرعية التنفيذية للوساطة المبرمة في الثقافة المتعددة و الديانة المتعددة . اذ يعتبر دوركايم ريفيل : " أن الديانة محددة للحياة الانسانية بواسطة الاحساس برابطة توحّد الفكر البشري بالفكر " العجيب" ، معترفا لهذا الأخير بسيطرته على العالم و على نفسه و ذاته" (1) تتغيّر بتغيّر المعنى الذي نعطيه للالاه نفسه ، اذ بامكان في قراءة تأريخية الدين في " الديوان " و تجانسه بالنسق الكوني الذي يؤمن بوحدانية " الرّب" ، أن نشاهد تحوّل في مغزى الالاه ليصبح "قوة حقيقية" بالنسبة للديانة التي كان فيها مستترا و ذات وظائف أكثرها عملية حتى و ان كانت تتشابه فيما بينها في مبدأ التوحيد و الدعاء و التجمع .

---

(1) REVILLE (M): " Prolegoménes à l'Histoire des Religions" P.34. Cit.- in Journal de Sociologie - Par DURKHEIM (E) Coll. P.U.F. - Paris. 1969 .- P. 146 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان الامثلة واسعة عن هذا الاعتناق أو عن التعايش انماط من دينيين في خطاب "ديوان سيدي بلال" ؛ اذ بينت لنا الدراسة الوثائقية ، أن باشتناء قبائل "الموسي" التي كانت تنظم الى الاسلام من زاوية احتلالية و توسعية (+) فان غالبية الجماعات العرقية التي عرفت في بلادنا كانت مسلحة (بنبرا ، قورما ، حوصا ، صونغاي ، ...) "وكانت ترجع تلقائيا كما وصفها ج . روش ؛ الى طقوس الاجداد و الجان و آلهات تشكونية و الى أنساق عالمية (كالاسلام) (2) حتى أن تلك التي اشتهرت برمزية "الوحشية" و العيش في الخلاء الممثلة بجنون "مقزاوي" نجدها قد عدلت من تقنياتها في التخليد ، و عوضت تصورات "الحرام" بتصورات "الحلال" كمثال استبدال الخمر بالحليب و منع شرب دم الحيوانات أو أخذ التعديل من محور آخر متعلق باختيار "سيدي بلال" ايضا كأب" و "جد" أسطوري — ذلك الرجل المفضل و الذي كان له تاريخيا و دينيا منزلة خاصة و سفيرا على الجماعات العرقية بالمعنى التمثيلي على المستوى الذهني ، بالتفضيل السامي اذ نجد أن هناك تطابقا لدرجات التفضيل التي كانت تزخر بها العناصر الطوطمية و التي حددت الشخصية القاعدية للرجل الافريقي . و بذلك نستطيع أن نقول بأنه كانت الاستعدادات متوفرة للأخذ و تكثيف عناصر النسق الكوني و ضبطها أو استعارتها لتبرير شرعية الديانة و السلوك الديني القديم ، و الحاقبل الاسلامي ، كما لاحظ ذلك التركيب شلهود ؛ في الجزيرة العربية بقوله : "أن الاسلام لم يستطيع تخليص الارض من البقايا الاسلامية ، بل أكد وجودا الاهيا و روحيا في المخلوقات و الاشياء" (3) .

---

(1) ELLIOTT SKINNER (P):"Christianisme et Islam chez les Mossi" text. Cit.: John MIDDLETON :Anthropologie religieuse textes fondamentaux. Coll. Librairie Larousse Paris . - 1974 . - P. 181.

(2) Jean ROUCH : La Religion et la Magie Songhaï: Revue Française d'Anthropologie. P.U.F. Paris . 1960 . P. 129.

(3) CHELHOD Joseph: "Les Structures du Sacré chez les Arabes "Coll. Maisonneuve et Larose .Paris .1964 .P. 207.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك فاذا سلمنا بوجود جوهر ديني مزدوج في "الديوان" أي جزء أنثروبولوجي في الديانة، يقوم على الاعتقاد بالاشياء ونسق أكثر رمزية في روحنياته فاننا نكون بذلك غير بعيدين عن التعريف الذي خصصه دوكايم ا. في دراسة للدين، قائلا: "بأنها ذلك المجموع المنظم، والمنسق لظواهر من هذا القبيل" ... (1).

فهناك اجماع علمي في المجال الديني على أنه لا تندرج ضمن الديانة باقي السلوكات الدينية ومختلف التصورات المعرفية بوصفها دينا؛ مثال ذلك السحر. وهنا يقول ماركأوجي: "أن تعريف الديانة منشغل قبل كل شيء بتمييزها عما هو ليس: بالسحر، ولا فلسفة، ولا ايديولوجية (2).

السحر في "ديوان سيدي بلال":

يشير ر. كريغلينغر الى أن: "الديانة، والسحر فرعان مستقلان يستجيبان الواحد والاخر لأغراض مختلفة. فبالديانة يحتمي الانسان من المخاطر أما بالسحر، فالانسان يعتقد اخضاع عالمه الخارجي لرغباته ويفرض عليه وعلى الطبيعة، تطورا يخدم مصالحه" (3).

ج. فرازر: أيضا في نظريته على السحر يعتبره "نتاجا لخطأ في تطبيق القوانين التي تنظم وتحدد ترابط الافكار"... (4). وكذلك ارفين كينغ: فهو يعتبر أن السحر أيضا: "ممارسة سرية ومجهودا فرديا يمكنه أن يصبح وسيلة للأخذ بالثأر، والارهاب"... (5).

أما القديس: سانتيف. ب.: فهو يعتبر الاعتقادات السحرية خالية من الاهتمامات المعنوية والمثالية، عكس الدين ولا تسعى الا لتلبية رغبات واحتياجات مادية بعيدة عن كل انشغال بتحسين الجانب المعنوي وتطويره" (6) ليذهب هارتلاند الى أكثر من ذلك: مضيفا جانبا عدائيا أن:

"الديانة تسمو وتتطهر وتتروحن، وقريبا ستنظر (الديانة) الى آليات السحر العمياء، باحتقار متنام" (7).

---

(1) DURKHEIM (E) : Journal de Sociologie. P.U.F. . Paris .1969 P. 160.

(2) AUGE Marc:"Génie du Paganisme"; Ed. Gallimard; Paris.1982.P. 20.

(3) KREGLINGER (R):" La Religion et la Magie chez les peuples primitifs " IN. Revue.d'Histoire et de Philosophie religieuse.3 eme Année .1923. BRUXELLES . - P.503.

(4) Ibid. P.504.

(5) Ibid. P.506.

(6) Ibid. P.507.

(7) Ibid. P.510.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مارسال موس في الاخير يعرّف الطقوس السحرية بانها : "تلك التي لا تشكل جزءا من الطقوس المنظمة ؛ فهي خاصة ، سرية ، عجيبة ، و تنزع الى الطقوس الممنوعة (1) مضيفا أن تعاريفه للسحر لا تحدّد باشكال الطقوس ، و لكن بالظروف التي تنتج هذا السحر ، والمكانة التي تحتلها ضمن العادات الاجتماعية .

و اذا ما توقفنا قليلا عن هذه التعاريف نجد أن هذه الاخيرة هي الوحيدة التي تتحدث عن " أشكال الطقوس السحرية " أو ما نسميه نحن بطريقة التنظيم أو نمط التنظيم الذي يحدّد بالنسبة لممارسة "الديوان" "استمراريتها" ووجودها "الاخر" الذي انتجته . كما أنها الوحيدة التي اعتنت بالظروف المنتجة للسحر" و الممثلة لما يتعلق باستمرارية طريقة تنظيم "الوعدة" كمفهوم محلي و "صحيح" كما يقول : جاك بارك : في تجديدات مكانة الشوافة و اعادة تعميق أدوارها بالمقارنة مع الشروط الثقافية ، و الاجتماعية "للزبائن" و الفئات الاجتماعية المتباينة . مع اننا لا نستثني عدم تجاوبنا مع تعريف مارسال موس لأن "الوعدة" التي يقصد بها لغويا "التعهد" و "التوعد" ، تفترض التكرار المنظم ، داخل اطار منظم الا و هو اطار الشوافة ، و على مرئ الفئات الاجتماعية ، الشئ الذي يسمح لتجربة "الشوافة" بتاثيرات الاعجاب و الترويج الذي تتركه الجماعات العرقية أثناء اتصالها بالشوافات تعميمها و اندماجها ضمن الطقس السحري و توسيع مجالاته .

لذا فان التعريف الذي سنتبناه فيما يخص تطور "ممارسة الديوان" و مفهوم "الوعدة" لن يعكس ممارسة دينية تتمتع بحياتها الروحية المقدسة ، كما تشير الى ذلك مفرداتها اللغوية ، و انما سيصورلنا ممارسة "سحرية" ، و أن هذه الاخيرة نعرّفها بكونها "فعلا اجتماعيا" (2) ، يسعى الى تعميم و توسيع دائرة الحقل السحري لأن السحر في هذه الوضعية سيفتقد من هيبته المبهرة . لذلك فسيحيا " و يتنفس من الحياة الدينية التي تقدمها له ممارسة "الديوان" مثلا التقوي اله مفعوله " (3) ، و يتمنى لمؤسسات الشوافة شرح نفوذها و فاعليتها في تجديد هيمنتها و منافستها بين المؤسسات الاخرى في بسط الأمل و التخفيف من تهديداتها و بائتها الرمزية .

---

(1) MAUSS (M): Sociologie et Anthropologie :Ed. P.U.F.. Paris.1950 P. 16.

(2) François .A.ISAMBERT :"Le Sens du Sacré":Fête et religion Populaire" :Ed. Minuit .Paris .1982.

(3) KREGLINGER (R): OP. Cit. pg. 511 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و النابعة من الخيال الاجتماعي . حتى و لو تطلّب الامر أن يكون ذلك على حساب "الاسطورة" و الدلالات الاسطورية ، التي تنتفع منها الجماعات العرقية بصفتها " بقايا و نفايات" ذاتية" تفقدت لدينامية الاستمرارية المتناقضة .

الاسطورة في "ديوان سيدي بلال" .

تمثل تعبيرا عن الاحاسيس الرئيسية و تعكس الشروط الاجتماعية و الاقتصادية (. . . .) للجماعة التي أنتجتها (1) و هي بذلك كشكل مجالا واسعا للصراع بين "المكانة" التي تفرزها القيم الاسطورية للجماعات العرقية في "ديوان سيدي بلال" و بين "التفاعل" الذي تقوم به المؤسسات الدينية على الاسطورة ، لتستخدمها كملكية للمقدس تثمن تجاربها السحرية .

في هذا المعنى يكون اهتمامنا بالاسطورة أو الفكر الاسطوري في ممارسة "الديوان" ، مرتكزا على توضيح الاعتبارات التي تستخلصها الجماعات العرقية من الاسطورة بصورة مألوفة ممتثلة فيها للزمن الاسطوري ، و أبعاده الانثروبولوجية و الثقافية و من جهة ثانية استخدام الحياة الدينية المكونة لجوهرها في استمرار يجعل مفهوم " المكانة" متضاربا و محصورا في اعادة تجديد بنية المؤسسات الدينية الجديدة ، لتنغمس سابا أو "وحشيا" على الدلالات الاسطورية التي تزيد من تصعيد فعلها المادي و التاريخي .

لذلك كانت الدراسة "البنيوية" هي الوحيدة كوسيلة ابستيمولوجية ، و منهجية التي سمحت لنا متابعة الاسطورة في "ديوان سيدي بلال" و مراقبة الانقلابات التي عرفتها و بالتالي الظروف التي جعلتها تمر من "حقل واسع" الى "ملكية" (2) .

و لا يسعنا في هذا الاطار البنيوي اذن الا استخلاص بعض المميزات الرئيسية للأسطورة أعدها لنا لكل . ستروس ، مبينا بنيتها و وظيفتها و أحيانا أخرى تطورها (3). نحصرها نحن من جهتنا في النقاط التالية :

1) - أن الاسطورة توجد في نفس الوقت في اللغة -
2) - أن الاسطورة تسعى الى حوادث ماضية و تشكل تاريخا لأفعال الذوات الخارقة .
3) - أن هذا التاريخ في الاسطورة يمكن اعتباره حقيقيا و مقدسا لصنعه من طرف الذوات الخارقة ، و الرمزية .

---

(1) C.MAURICE BOWRA:" Echant et Posie des Peuples Primitifs:" PAYOT Paris .1966. P. 12.

(2) François André :SEMBERT:"Le sens du Sacré:Fête et Religion Populaire :Editions de Minuit.1982.P.

(3) C.LEVI-STRAUSS:"Anthropologie Structurale":Ed.Plon; Paris.1958. P. 228.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4) — معرفة الاسطورة يعني معرفة أصل الاشياء ، و هي معرفة معاشة في الاسطورة و في الطقوس .

5) — معايشة الاسطورة بصفة أو بأخرى يعني أننا ممكنين من طرف القوة المقدسة و البارزة في الحوادث التذكارية و التي نريد تحيينها .

6) — أخيرا فان معايشة الاسطورة تستلزم تجربة دينية حقيقية و بالتالي فانّ احيائها لن يكون في الزمن الكرونولوجي ، و لكن في الزمن الاوّلي .

و بذلك يكون جوهر الاسطورة مفهوما حينما تبرز الصور التاريخية و سلسلة الاحداث و الوقائع : (في صراعها ، و تأثيراتها و تبادلها : في الاقتصاد و الاجتماع ، و السياسة ، و الدين ...) في كليتها أو في جزئيتها مشخصلا و مجسدة في الاشخاص ، أي في الفترة التي يكون فيها الفرد مسؤولا عنها و يترجم اتصاله بها و يكتشف من خلالها تاريخا و تبريرا لوجوده ، و ذاته التي هي نفس الفترة التي يستعيد فيها الفرد في الاسطورة تحيين موضوعها اللغوي و المرمّز في شخصيات خارقة تساعده بذلك الانتقال من زمنه اليومي الى زمن تاريخي و مثالي يحدد له هويته الثقافية والدينية .

لذا و بهذه الخاصيات التي احصاها لنا كل . ستروس ، تكون الاسطورة مفهومة كوثيقة حية ، حينما يطرح مشكلها بصورة واضحة و صحيحة "أي عندما توضع في نطاقها السوسيو ديني الاصلي" (1) باعتباره الحقل الوحيد الذي بامكانه أن يصوّر لنا وظيفتها (وظيفة الاسطورة) داخل البنيات النفسية و الاجتماعية الفردية .

فهي كما يلخصها كل . ستروس في بورداس موسوعة العلوم الاجتماعية عبارة عن بناءات معقدة و أنماط منطقية ، تسمح بحل التناقضات التي يطرحها الواقع (مشكلا حدثا تاريخيا ، أو اجتماعيا . . . مثلا . . .) (2) أو تجارب واقعية مرمزة تتقاطع في سردها و شكلها في "ديوان سيدي بلال" .

فعن طريق تنسيق حوادثها و "الحالات الشعرية" التي تعبّر عن الظرف الذي جاءت فيه .

---

(1) MIRCEA ELIADE : "Aspect du MYTHE"

(2) C.LEVI-STRAUSS: "Quelques Thémes Fondamentaux de l'Anthropologie" Cit. In. Bordas . Encyclopedie- sciences socilaes- par:Roger CARATINI. Coll.Bordas. BELGIQUE.1971. Pg.63 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و تصنيفها حسب وحداتها الاسطورية — أو الميثام — نجدها تعكس لنا طبيعة مقدسة و في نفس الوقت رمزية ، تصور علاقة الجماعات العرقية بثقافتها الدينية ، (بسون ، المانا ، مكبري ....) و تسطر مراحل تاريخية أساسا قاعدتها شخصيات حقيقية فصيرتها مقدسة تحظى بنفس مؤهلات الالاه انطلاقا من الروحانية التي استمدتها من النسق الكوني ، (موسى البحري ، سيدي علي ، سيدي بلال ، سيدي الحسن و الحسين ، مولاي أبو بوكر ....) ، الشيء الذي يفسر لنا الطابع التركيبي للديانات في الاسطورة و مقياسها التقديسي للحالات الرمزية التي تبرز السلوكات و الحركات في الطقوس الاحتفالية .

أما جانبها التطوري فنجده على حدّ تعبير ليفل . ستروس : "ينمو حلزونيا الى غاية انتهاء الدوافع المثقفة التي أسندت للأسطورة" مضيفا أن : "نموّها مستمرا على خلاف بنياتها التي تتقطع ".(1) بفعل ضعف الحياة الدينية التي تتضمنها ، و يعيش منها الاسطورة ، و الممثلة في الموضوع الاسطوري و المقدس ، أو لعدم انسجام عناصر الاسطورة و التي نحصرها في جهازها الديني مع الرمزية المراد ترجمتها .

فحتى و ان استمرت الاسطورة كهيكل شامل ، أي كعنصر ينبعث منه المقدس و الديني ، و كطاقة ثقافية في خزان الجماعات العرقية ، فان هذه "الاستمرارية" مقاسة في "ديوان سيدي بلال" بطبيعة الجو أو الحرارة التي تفجرها عمليات تمثيلها و الامتثال لها ، أي أنها محددة بطريقة تنظيم ممارسة الديوان ، و مدى استيعاب "اسطورية" الاسطورة ، ("ديوان سخون" — "ديوان بارد") .

هنا تبدو اجابة ليفل . ستروس واضحة نسبيا فيما يتعلق بمحتويات الاستمرارية ، تفسح الاسطورة فيها الطريق لمجموعة أساطير أخرى ، تكون شيعة لثقافة جديدة و جهات أخرى .

أما اذا أرادت البقاء و الديمومة ، فانها "ستواجه فسادا ، و امتحاقا لا يمس شكلها فحسب بل و مضمونها أيضا "(2) .

واضح اذن أن في فهم أعماق المقدّس أو الاسطورة أو "ديوان سيدي بلال" لا يوجد فقط حزام ديني ، و لا يعني في أعماقه فقط ، بما هو "وخيم" و "مروّع" ، و انما المقدّس أيضا وجهان آخران :

---

(1) C.LEVI-STRAUSS: "Anthropologie Structurale" Ed. PLON .Paris. 1958. P. 254.

(2) C.LEVI-strauss: "Anthropologie Structurale deux" Ed. PLON . Paris. 1973 .Pg. 309.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحدهما ، يستعرض أحداثا تذكارية تستعيد من خلاله الجماعات ماضي محدادا و تاريخا اجتماعيا بابعاده الانثروبولوجية ، و الآخر يتخذ في المقدّس صبغة مستقبلية ؛ تظهر في شكل مشروع اجتماعي تتوخاه المؤسسات الدينية الجديدة .

و بذلك نفهم جيدا أنّ المحرك الرئيسي "لديوان سيدي بلال" و نهاياته التقديسية لا تنحصر في أدوار الوساطة" بأنواعها الرمزية و الفعلية ، أي في تلك التي يمثلها "الثور الاسود" أو المشخصة في القوى الخارقة و الرمزية "جنون" أو في تلك التي تقوم بها الجماعات العرقية بذاتها بين الافراد و القوة الحقيقية و انما تنزع أيضا الى هذا الاستعراض التذكاري لكونه "عنصر بصري" كما جاء على حدّ تعبير ايفا بيرسون (ضريح ، مكان مقدّس ، . . .) كاف و ضروري لابقاء الذاكرة حيّة". (1)

و بمعنى آخر فانّ الابعاد السوسيولوجية التي يمكن استخلاصها من ممارسة "الديوان" ، و من طريقة تنظيمها ، ليست محدّدة في التركيبة الرمزية لموضوع "الديوان" ذاته فحسب ، و انما في المفهوم التاريخي و الثقافي الذي تستعيد من خلاله الجماعات العرقية وعيها و اعتباراتها الانتمائية ، و بالتالي في الاهداف التي تسطرها كل جماعة من طقوسها الدينية .

هذه الأخيرة نلخصها انطلاقا من جون كازنوف : "كوسيلة ربط بين عالم الحياة اليومية ، و عالم الاسطورة و الاسلاف و الآلهات (000) على أنها الوحيدة أو موقف يقترح نفسه ، كحل لمشكل رئيسي و الممثل في الشروط السوسيو دينية" (2) التي تختزلها الذاكرة العرقية .

و هذا النوع من الطقوس هو الوحيد الذي "يعد تذكاريا ، يدرج في الزمن التاريخي و التطوري ، أنماطا أسطورية تقع خارج الزمن في شكل من التخليد لعالم الاسلاف المقدّس" (3) . الشيء الذي يفسّر جانبا تركيبيا في هذه الطقوس أو بالاحرى "وظيفة تركيبية" اساسا .

و بذلك اذا كان هناك محور ضمني يوفّر لنا شروط التنقيب عن هذه النهايات الايديودينية ، أو "الوقائع السيميائية" ، فينبغي البحث عنها في حقل تلاعبات الوساطة ، و المواقف المتضادة التي تعبّر عنها الجماعات في اتصالها بالاجداد ، و الآلهات و الحيوانات" و في مقاييس تمثيل الاسطورة و دلالاتها .

---

1) YVES PERSON .- Tradition orale et chronologie
in: Cahier d'etude africaines , 3em cahier. vol II.7.P.468.

(2) CAZENEUVE (J): "Sociologie du Rite". Ed.P.U.F. PARIS. 1971 P. 29.

(3) LUC DE HEUSCH: "Introductions à une Ritologie Générale-Cit.IN: 3
3 pour une Anthropologie Fondamentale-Par
EDGAR.Morin - Editions du Seuil; Paris.1974.Pg221.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان المشكل الذي افترضه علينا "ديوان سيدي بلال" و الذي جاء مطروحا في معنى الاستمرارية اذن (استمرارية تاريخية ، جغرافية ، أنثروبولوجية ، جماعية ...) يمكن أن ينظر اليه و نتصور آلياته في اطار بناء خفي ، و طبيعة تذبذب أكثرها تناقضا . تحدد لنا أسس سيرورته في تجاوز وظيفة الوساطة ، و تعرّف لنا التضارب المسجّل بين مد التقديس ، و نهايات استمرار الاسطورة في "ديوان سيدي بلال" . و هو ذلك يطرح علينا مشكل استمرارية "الديوان" سوسيولوجيا ، وكواقع سانكرونيكي . و تقترح علينا التنقيب عن مدلولها في السؤال الذي دفعنا أصلا و مبدئيا الى اختيار دراسة موضوع "الديوان" و المتمثل في اختيار متغيرات استمرارية أو بمعنى ادق ، التماس أسباب استمرار هذه الممارسة .

من هنا كان علينا لتوسيع العلاقات الخفية التي تحكم هذه الاستمرارية ، متابعة تظاهر الممارسة مجاليا و زمنيا ، و محاولة الخروج بنقاط التشابه في طريقة تنظيمها و تنفيذ المقدّس فيها حاليا ، بالمقارنة مع ما تختزنه الذاكرة العرقية من معطيات و دلائل تعيد اعتباراتها من خلال اجراء الديوان . ظهر نتيجة هذه المطابقة ، أن "الديوان" يلعب دورا دينيا و نفسانيا ، يجيب عن احتياجات الجماعات و عن ظروف اجتماعها و أن هدفه الأقصى مرتبط بابعاد تكرار الحلقات و "فطرتها" على اعادة تقوية الشعور الوحدوي و الجماعي ، و مبني على اعادة تجديد نوع "قرابي" أو "طوطمي" خاص .

انطلاقا من هذه الميزة التذكارية ، و التي تنفجر من استخدامات العناصر الثقافية في "الديوان" و بالتالي من سبل تمثيل الذوات الخارقة (الجنون) ، تتابكت تصورات استمرارية "الديوان" لتتكتب حول معرفة ما اذا كانت وظيفته حاليا ، تسعى هي ايضا الى اعادة تقوية الروابط العرقية و مراقبة هذا الشرط الاساسي من طرف "الديوان" كجهاز يعكس ظروف مجتمعه و افراده .

يمكن أن نميز في معالجة هذا السؤال الشامل ، وقفة مجالية و تبريرات بالمعنى المجالي تنفرد فيها وقائع استمرارية "الديوان" بالعاصمة عن تلك ، التي نجدها ببعض مدن الغرب ، و هذا عبر تسجيل المعطيات التاريخية التي تبقى غير مستوفية للمحاور الانسانية "للديوان" ، اذ تبين أن هذه الاستمرارية ليست محسوبة كميا و انما كيفيا و لم تكن خطية في معناها التطوري ، بل عرفت تقطعات نسبية ، خاصة فترة ما بعد الاستقلال .
بحيث برزت مؤسسات دينية بالعاصمة ، مستخدمة عهدا على نفسها باستعادة ممارسة الديوان و جهازه الديني المعبّر عنه بـ "دوزان الوصفان" ـ ( )

( ) ـ دوزان الوصفان : تعبير يخفي بالمفهوم اللساني و الثقافي الشعبي الذي ليس ملكا للمؤسسات الدينية الجديدة ، ينبغي الاعتناء به ..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد أن تركه أو هجره أولئك الذين عملوا على تأويلات تظلمه من الجماعات العرقية (العبيد) بالتكفل و تستخدمه كوسيلة و نمط للتقديس،

انتفاعا و اخلاصا للعمل الميداني ، و فائدة تكرار تردداتنا مع بعض الجماعات العرقية الوارثة و بحكم معيار لون البشرة الذي صار يلعب دورا منهجيا و تصوريا في اتاحة فرص اقتحام فضاءات المؤسسات الدينية ، المسيرة من طرف نساء خاصة . كرست خطواتنا لتفسير العمليات التي سمحت باتصال ممارسات المؤسسات الدينية الجديدة ، بممارسة "الديوان" "الاستعراضية" ، التي صارت تظهر في شكل "جوق" مقارنة بحجمها القبلي كجهاز فعال على مستوى الوعي العرقي ، و التعرض لاجتماعهما في صورة مستمرة تعايش ما اذا هناك وضع "متأزم" . محاولين بذلك معرفة الضمانات التي تقدمها هذه المؤسسات الجديدة مقابل التزامها ، بصيانة و استرداد الجهاز الديني "للديوان" ، و استخدامه في حلقاته ا "الاجتماعية" (بالعاصمة) ، و ما هي استراتيجياتها على المستوى الذهني لتثبيت فرعيتها أمام الاسطورة المؤسسة (سيدي بلال) التي هي من المفروض حامل مثقف يخدم الذاكرة العرقية .

في حالة ما اذا سلمنا بأدائها دورا فعالا لاستمرارية ممارسة "الديوان" ، فاننا نتسائل عما اذا كانت هنالك اجابات سوسيولوجية أخرى تمس اتصال مؤسستين متميزتين من حيث التعريف بالوظيفة الخاصة لكل واحدة منها .

لقد اكتفينا خلال التحقيق في أعماق تظاهرات تقليد الشخصيات الرمزية و الحقيقية المبنية على أنها ذوات خارقة ، و التي استمدت قداستها من الاسطورة المؤسسة باجابة واحدة و لكنها مزدوجة :

يفترض في الاولى أن "الديوان" في العاصمة حاليا — أو وحدة الوصفان — يضمن وظيفتان في آن واحد :

الوظيفة الاولى : يستأنس فيها أعضاء فرقة "الديوان" بالمؤسسات الدينية الجديدة لاتصال بفكر الاسلاف و الاجداد ، الذي هو فكر نتج عن تمثليات الشخص الرمزي و الذات الخارقة ، و استخدام المواضيع الاسطورية المقدسة كمعطيات تصورية يمكنها التوسط لها للأجداد سواء عن طريق الحيوانات كآلهة ، بالمعنى الخارج عن الزمن ، أو عن طريق البدلات و الاسماء الرمزية الدائرة . كما أنه يسهل للجماعة العرقية توطيد وحدتها و علاقاتها ، كما يسمح لها ضمن نفس السياق تفتحهم ايديولوجيا في الاسطورة ، باتخاذها محددا لممارستهم الدينية و لهويتهم الثقافية و بالتالي لمكانتهم داخل سلم المعايير الدينية و الرتبوية الاجتماعية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الوظيفة الثانية: فيمكن أن نعتبر اجتماع ممارسة "الديوان" بممارسات المؤسسات الجديدة، و استزداد الجهاز الديني كاستراتيجية للتطبيب بهما و ترويج الزبائن و ابهارهم بصور المقدّس التي تنفذها و تؤديها "فرقة" الديوان اثناء تعبيرها عن مقدوراتها النظرية بالاسطورة الاصلية، أو اثناء تنظيم الممارسة حسب التجارب التي "ألفوها" لبلوغ نشوة النسق التعبيري و موضوعاته.

كما أنّ هذا الاتصال و الاستئناس بنظام "الديوان" و أعضائه يستخدم كمصحح لثغرات تجارب النساء اللاتي تشرفن على ادارة هذه المؤسسات الدينية، و لملأ فراغات التقديس في وجه الزبائن، للمحافظة على مصادقيتها و ضمان شرعيتها ككيان و بالتالي فان وظيفة الاخيرة ترمي الى تجديد قيمتها و مكانتها كمشرفات جدد على الاسطورة الموسسة (على الوعدة) داخل نطاقها المعني.

في حين انه يفترض في الثانية، أنّ الاتصال بينهما كممارستين يمكن اعتباره "استمرارية غير محددة الطبيعة"، و أنه لتفسير انعكاسات عمليات تعايشهما كنمطين دينيين يتوجب معاودة و ادخال العناصر الثقافية و الرمزية "للديوان" الاصلي كمقاييس تقيّم بها سلبيا / ايجابيا كيفيات تنظيم الممارسة و الوجه المتغير فيها.

ضمن هذه العلاقات التي يمكن أن نميزها بالصراع الباطني و هذه الصيغ الدينية المتناقضة، ارتأينا أنه ينبغي التقرب أكثر و التعمق في جوهر الصراع و على أي مستوى تبرز انعكاسات هذه الاستمرارية.

بمشاركتنا المتواصلة في الحلقات المتنوعة لقيام "الوعدة"، خطرت ببالنا فكرة ملاحظة و مراقبة الفروع الانثروبولوجية بين المؤسسات بعضها ببعض حديثا و علاقتها بالدلالات الاسطورية التي هي حقل ثقافي و رمزي قديم، و أخيرا علاقاتها بالمحددات و المتغيرات المعبرة عن الجانب المثقف في "الديوان". معتقدين بذلك التوجه الى معرفة كيفية تنظيم الممارسة و احترام بنيات التقديس و التوصل الى ابراز طبيعة، و اتجاهات التقطعات المثيرة الى محتوى وضعها "المتأزم" و انعكاساته على المواضيع الاسطورية و الانساق التصورية، و فيما اذا كانت طريقة التنظيم و الاشكال التي يتظاهر فيها المقدّس تجيب عن "أسطورة" الاسطورة، و محتواها الممثل في تجديد الهوية و الكيانة الا...ة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سعيا وراء اجابات سوسيولوجية ـ كما أشرنا الى ذلك سابقا ـ تقربنا من فهم ظروف قيام "الديوان" و تشادات المقدّس، تكثفت استعاناتنا بالمنهج المقارن لتوسيع الرؤى حول استلزامات استمرارية أسطورة سيدي بلال كمرجعية تؤجل النهايات من تنظيم الممارسة جهويا، متخذين من تظاهرات و تصوّر هويته في كل من "سعيدة" و "فرندة" و "تيارت"، فضاء من طبيعة مغايرة لما واجهتنا به وقائعه بالعاصمة، وخصوصا في غياب العامل المعنى بالتقديس.

اذ مباشرة بعد التأكد من أسباب صياغة و تداخل مشاكل هذه المدن تاريخيا، وجلبها لتمركز العبيد القدامى بها، و شغل تحليلي متنامي يتحدى جوهر استمرارية "الديوان" في هذه الجهات، استقامت أمامنا فكرة التنقيب عن المحرك الرئيسي الذي يدفع بأفراد الجماعات العرقية الوارثة الى الالتزام بوعدها و تعهدها أمام الأب الأسطوري. مساندة بذلك زمانا تصوريا و اعتبارات تجسيم رمزية الأشخاص الأسطورية، أو بالاحرى ما هي طبيعة الاعتبارات التي تعطيها الجماعات العرقية لاجتماعها موسميا، و خلال تحريض الذوات الخارقة و ما هي القاعدة التي تميّز علاقاتها بالنسق التصوري و الدلالات الاسطورية بهذه الجهات.

انّ قيمة "الذكريات" كمصدر سيرورة، و تسلسل الحوادث مقاسة بمادية التجارب التاريخية و درجة الانضباط في "الديوان" التي تعيد انتاج نفس معايير الرمزية و الصوّر الدينية. لتغرس في الجماعات العرقية رغبة تشكيل مجتمع مقدّس و متماسك يصون قدراته و تراثه الرمزي التاريخي.

عندئذ يطرح جوهر استمرارية "ديوان سيدي بلال" و ترصد نوعية التقديس هنا في معنى قياسي و سوسيو ميتي تحدّدها اشارات المقدّس و توظيفها العلاقات الاسطورية. و بذلك، فان اشكالها في هذه المدن بعيدا عن "العمل الصحي" يأخذ منحرجا غير متوقع و غير محدود يربط بين "التشويه" الذي تتميز به رمزية الاسطورة كغلاف لوحدات خطابها الانثروبولوجي و الحقائق العلقة في الذاكرة العرقية كتراجع انثروبولوجية و تاريخية. مما يدفعنا الى التساؤل عما اذا كانت آليات التصوّرات و تلاعبات الرمزية مشغلة بالنهايات الايديولوجية في آخر المطاف، و هل تطرح محتواها "الدرامي" كسلسلة للمقدّس و الاسطوري في سياق دفاعي و واق للمكانة الفردية و الجماعية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحاول في أقسامنا اللاحقة و في اطار سوسيولوجية التغيّرات و التحوّلات الدينية ، تبيان هذه الانتقالية في الاسطورة و المقدّس و العلاقة التي تقيمها الجماعات العرقية مع عالمها "الماورائي" و المافوق الطبيعة .

الا أنه جدير بان نشير قبل الشروع في امداد أجوبة لاشكالات استمرارية الاسطورة و المقدّس في " ديوان سيدي بلال " ، و بداية اختبار افتراضاتنا الى ضرورة الوقوف برهة من الوقت على مدلول و موضوع " العبيد " أو " الوصفان " . سواء كوضعية اجتماعية أو كمقياس اندماجي أكثر تهذيبا ، و ذلك لتشابك حدودهما و فواصلها كبنيات تعبيرية و ذهنية من جهة و كمنطلق تاريخي مشترك بين الجماعات العرقية من جهة ثانية .

من هنا ، و نظرا لهذه الخاصية في الموضوع ، جاءت هذه الضرورة ملحّة امحاولة تحليل مؤسسات العبودية في تفاصيلها و التساؤل عما اذا كان هذا الشكل من العلاقات بين الانسان مكتس نفس الاهمية ايديولوجيا . متداركين عدم استوفاء مجالها البنيوى (عبيد ، وصيف ، خادم ، بابا سالم . . .) الكامل و الجامع . مما يجعله مفتوحا كسؤال على الانثروبولوجيا في بلادنا .
محاولين التماس انماط هذه الوضعيات الاجتماعية و خصوصيات ترتيب هذه الفئات في تأرجحها بين المفهوم القانوني للمكانة و تصوّراته العرفية و اقترانه بالعناصر الثقافية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الأول

الخلفيـــــة التـــــاريخيـة و الأنثـــروبولوجيـة

فـــــي "الديـــــوان"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبيـد ، وصفان ، أم بابا سالم ؛ تساؤلات أنثروبولوجية .

اذا تساءل بعضنا من أين لنا موضوع " العبيد " ؟ أقول بادئ ذي بدئ ، أنـه تصنيف و تقييم لحالة اجتماعية يتأرجح في صياغاته التعبيرية بين " التهميش " و " الاندماج " و بالتالي بين الفظاظة و السلمية ، ارتبط أساسـا بمجتمع " ديوان سيدي بلال " تلك الممارسة المعروفة هنا و هناك تحت أسماء (وعدة العبيد) ، (وعدة الوصفان) أو (بابا سالم) محل النقاش .

بحيث يستهدف اهتمامنا به ، من حيث هي اشتقاقات ، أو متماثلات منجزة سابقا و من باب تعريف " المكانة " (1) ، فكّ تشابكها و تضاداتها و فهم ظروف تبلور صياغاتها اللفظية تأسيسيا و ايديولوجيا .

فاجتماعيا ، يمكن أن نقول بأنه أحيطت صورة مفهوم " العبيد " بسلسلة لفظية عرفت كمواقف و ردود أفعال ، تحمل في جوهرها انزالا و تقصيرا في القيمة الانسانية و الثقافية للموضوع " ديوان سيدي بلال " ( ) في نفس الوقت الذي تبرز فيه مضامينها الاستعمالية (بابا سالم) للدلالة عن " سلمية " و رؤية " متأدبة " ، تقبل امكانيات تعايش و ادماج ثقافة العبيد متجاوزة بذلك حدود اللون .

أكثر من ذلك ، و مهما كانت طبيعة أرضيات مفهوم " العبيد " سواء كظرف اجتماعي و انتاجي أو كمنزلة داخل الانقسامية و الترتيبات المختلفة ، أو كرجل لون ، فان ما يشد انتباهنا و تفكيرنا متعلق ، بسبل تحليل بنيات ممارسة " الديوان " وكشف محتوياتها الأنثروبولوجية و الوظيفية (الاسطورة ، الدين ، السحر ، الجذبة ، القرابة .) على ضوء هذه الصفة . و مدى استجابة هذا الجسم الثقافي و الحزام التاريخي لطموحات مجتمع " الديوان " الرامية الى استعادة محاور تضبط الأسلاف و تنمية الوعي العرقي و درجة تجاوبه ، أو تأثيره - في معنى اندماجه بالثقافة الكلية - لتتصهر معطيات وحشية " المكانة " ، و تحل محلها متغيرات التهذيب .

فللوهلة الأولى ما كان سهلا علينا الاقتراب و فهم هذه الصورة " المهذبة " و السلمية بالمقارنة مع المصدر الأصلي لمفهوم " العبيد " الذي تبدو محتوياته " عنيفة " و مجرياته " وحشية " متلائمة و قاعدتها الأيديولوجية المحددة بعلاقاتها الانتاجية و بملكية الشيء الانساني .(2) الا بعد استنباط علاقة الوظائف الدينية الاجتماعية التي كان يتكفل بها مجتمع " الديوان " ، والحاجيات الاجتماعية الخاصة ببعض فئات المجتمع .

بحيث يعتبر اللجوء و الاستعانة بمجتمع " الديوان " بمثابة تصحيح لمكانة المرأة في مجتمع أبوي ، و استقامة للأحكام السلبية الموجهة لعقمها و عدم انجابها ذكورا .

---

1)Bordas-Encyclopédie-Sciences Sociales-"Status"-12-T.1. Coll.Bordas.1971.PP.35

( ) + اذا كانت التباينات بلون البشرة المتبادلة بين الأفراد كما أشارت اليها ف. باك - في كتابها .ص. 475 ، فاننا نضيف من جهتنا انها ظاهرة حضرية ، أكثر ما هي " ريفية " تتصارع فيها لا استقرارية المكانة الفردية و الجماعية .

(1)-Encyclopedie universalis -Esclavage - Vol 8 Editeur à paris France .S.A. 1985. P.159.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و هذا عبر دور الوساطة الرمزية، التي هي عمليات دينية و تمثيل أسطوري محض في ممارسة " الديوان" (محددة برمزية الثور الاسود، طيور الدجاج ، وضعيات الرقص الدينية . . .) و قنوات الاتصال بالقوى اللاطبيعية (الجنون) ،التي تنجم عنها غالبا نتائج مرضية اجتماعيا .

ينتسب على اثرها المولود الجديد تصوريا و رمزيا الى مجتمع " الديوان "(مبيوع مشري عياشة، . . . .) للدلالة عن قرابة "سطحية"، بالمقارنة مع طبيعة العائلية التي تحدد روابط أعضاء ممارسة " الديوان" برجلهم الأسطوري (سيدي بلال) و تحدد تحالفها الذي لا نعرف عنه الكثير .

اذ بتحديد الحاجة الاجتماعية و الثقافية ، التي تعكس لنا مستوى البنيات الذهنية و ثغرات قيمها الاجتماعية التي عوضتها ثقافة " العبيد " ، أمكن لنا مناظرة المواقف " السلمية" التي تحلت بها صيافات الخادمية في بعض تشكيلاتنا الاجتماعية و الاقتصادية و فهم صورة تعايش ثقافة " العبيد " و عوامل ادماجها السوسيولوجية بتعريف الوظيفة الظاهرة التي يسندها أعضاء المجتمع الى المتغيرة الاجتماعية والثقافية محل النقاش.(1) المتمثلة في نطاق موضوعنا بانجاح الوساطة الدينية بين الأفراد و القوى الرمزية .

هنا نختتم فرصة طرح مجموعة من المسائل تتعلق بكيفية استدراج محددات تصور المكانة ، لتصبح مزيجا دينيا مقدسا ثقافيا ، وترتيبا فئويا اجتماعيا . و هل أن مبرراتها موضوعية ، أم هي ناتجة عن اعتباطية تطبيق للقانون والعرف.

هذا القطب بالذات ، لم يكن ليحضى باهتمامات واسعة و لا تدور حوله قراءات صارخة تكشف لنا عن الفضاءات التي تدور فيها علاقة تصورات "لون الجسد" بالحالة الاجتماعية و سيرورة تعايشه مع مختلف الأصناف الاخرى ، ولا عن آليات ثبات أو تطور الترتيب الفئوي المعروف .

- الشرفة .
- الزوى
- المرابطين
- العرب
- الحراطنة
- الوصفان - (عبيد الزوى) ،(عبيد البخاري) .

لأنه حتى في مجتمعنا ، تعد هذه الأحكام أو التعيينات الموجهة لذوي اللون أو للأصناف الفئوية الأخرى حديثة ، أو على الأقل عرفت تطورا محسوسا اجتماعيا (*)

---

1)-Melford.E.Spiro : La religion: Problèmes de définition et d'explication. Cit.in.Essai d'Antropologie Religieuse.Ed.Gallimard . Paris -1972 .P.136.

(*)- تحليلات تأكدها اشكاليك المذكرات الجامعية 86/ 89 - المدرجة ضمن نطاق التحولات الاجتماعية و الدينية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و متنوعة بتنوّع مصادرها ، واختلاف البنيات التي أنتجت فيها ، بحيث كلما تغيرت مؤشراتها الا و عبرت لنا عن نسق ذهني يحدد أرضياتها الأيديولوجية و التصورية (عبيد ، خادم ، وصيف ، بابا سالم ، أكلي ، زنجي ، كورية ، ثناوي .....)

لذلك كان الاقتراب من هذه الاشتقاقات المثقفة و المعرفية عويصا . و اذا أثارت اهتمامنا حاليا ، فهذا لابراز خصوصيات و معاني هذه الفئات اللغوية الخاصة بالعبودية . ذلك لأن " الحكم على تركيبتها المسبقة يعني تحطيم و اخفاق لحقيقة عبّر عنها - جاك بارك - بقوله : " أن العام بالمغرب هو نقيض الصحيح ، و لكن المحلي أو الخاص هو حقيقة " (1) اذ كل ما يهمنا في هذه الحقيقة الواقعية ، هو أن نكتشف عما يمكن أن نسميه " بتضادات المكانة " أو عن العوامل الموضوعية التي تعطي للخلفية التصورية لصيغ الخادمية قاعدتها ، و بالتالي دلالات خصوصيتها .

لهذا المسعى و لكي نقف عند حد المستوى الشكلي و البنيوي ، اخترنا مرجعين أساسيين لمعالجة البناءات التصورية و الايديولوجية الخاصة بهذه الوضعية الاجتماعية ، أحدهما نحلل من خلاله ، ارتباط وظيفة الانتاج الاسطوري بالمكانة ، وادماج ثقافة الوصفان - ديوان سيدي بلال - لتصبح ظاهرة دينية واجتماعية معقمة (نؤجل مناقشتها لاحقا). أما المرجع الثاني ، فهو تاريخي ، نهدف من ورائه القاء بعض الضوء على فرع قلما اعتنت به الانثروبولوجية ، و المتمثل في ابراز و تعريف طبيعة العبودية و تحديد آليات الارتقاء والتحرر و الديمومة الوهمية و النفسية لحالة شرسة و عنيفة .

يبقى فقط أن نشير الى أن ادراك ظاهرة العبودية ، مازال أمبريقيا ، ومقارنا ضمنيا يستند الاول على كشف الصيغ الاتنو - لغوية للفظة " العبد " كما أن هذه الاخيرة لم تكتسي الى يومنا هذا اطارا و قانونا نظريا عاما ، يسمح معرفة تلاعبات الظروف و الوضعية التي يحتلها داخل المجتمع .

اعتقادنا شديد ، بأن المشكل الحقيقي الذي سيواجهنا غدا ، يتمثل في العثور - ضمن مجال جيو - تاريخي - على فرضية تتناول دراسة تركيبة المجتمع ، و تبحث ضمن الانظمة اللسانية و السوسيولوجية ، عن تعريف لمثل هذا التصنيف " للثقافات الفرعية " داخل سيرورة اجتماعية و سياسية تبدو متجانسة .
هذا و لكي يكون مسلكنا معقولا ، ينبغي أن لا نتعجل بتحليل الأسس الانثروبو - لغوية التي تغطي موسسة العبودية و المصطلح ذاته ، وتمييز المسافة التي تفصل بين المكانة الاجتماعية و مختلف تأويلاتها قبل أن نذكر ولو القليل مما نعرفه عن ممارسة العبودية ، والقيام بتحصيل استخلاص للانظمة المقارنة .

---

1)-MAROUF.Nadir: Espaces Maghrébins. Pratiques et Enjeux.

Actes du Colloque de TAGHIT.23.26.Nov.ED.:URASC.ENAG. ORAN.1989.P.14.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن هدفنا هنـا موّجـه الى ايجاد تبريرات التصورات الاجتماعية و القانونية الخاصـة بالرجل الاسود ، و ابراز بعض الحلول المعتمدة لتقلص من حـدة الممارسة و تعيد تقييم متغيرات الخضوع و الانتماء ، و تعذب من طابعها العدائـي .

ولعل السبيل لتحقيق و الوصول الى اقامة العلاقات بين المظاهر و الأوجـه التي ميزت الخلفية العنيفة لعبارات الخادمية ، يبدو في الاستخدام المنهجي " للتاريخ المقارن " المعتمد على " المتطابقات الوظيفيـة " ، التي هي مقاربة حديثة " أساسهـا ابراز الوظائـف الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية التي يؤديها النسق العبودي داخـل المجتمع الكلي ، ثم على مستوى تحتـي تبرز وظائـف مختلف العوامل (عادات ، مواقف قوانيـن ...) و تأثيراتهـا على السير الداخلي للمؤسسة .(1)

ولكـن نظرا لعدم اكتمال عملنا الوثائقي و بعده أحيانا أخرى عن اشكالية تصوّر " تضادات المكانـة " ، اكتفينا الى حين آخـر بتحديد البدايات التاريخية لأصل نشـوء مؤسسات العبودية في ظـل اقتصاد رأسمالـي ، والقائم على تحويل الانسان الى عامـل تابع ، يسمح مستوى معيشـته المنخفض برفـع و تحسين مستوى سيده (2)
لـكونه مثالا حيّـا لقرون ما بين الخـامس عشـر و التاسع عشر ، ولاحتوائه عناصـر متغيّرة ، نعتبرها منهجيا عوامل لاضفاء مميزات شراسة العبارة و خصوصيات المؤسسـة بالمقارنة لبعض نماذج العبودية التي أحصيناها حضاريا و قبائليا ـ داخل مجتمعات تسمى بالتقليـدية ـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

---

1)-CONFINO.Michael:Servage Russe ,Esclavage Américain, AnnalesE.S.C. (Economie,Sociètes, civilisation)45ème année.N°5. Ed;ARMAND Colin .Paris 1990.P.1121.

2)-Encyclopédie Universalis-Esclavage .Vol.7.Editeur à Paris.France. S.A.1985 .P.159.

نموذج العبودية في اطار اقتصاد رأسمالي

من هذه الزاوية المتزامنة لمفهوم " العبيد " ، أول ما نبتدأ به هو استخراج بعض المشاهد الملموسة ، أو المعاشة في بعض الانظمة المستغلة للعبيد ، لنتخذها كمميزات أساسية في تحديد مجريات الممارسة و " النسق الشاق " من جهة و تبيان تراكم و تحجر مشاهده الوثائقية ذهنيا ، لتصبح جزءا ملحقا بتاريخ نوع اللون و خاصية " مفتعلة " يتحملها كل من كان ذا لون أسود ، أنف عريض ، وشعر سميك جاف ، و بدن قوي ، وعضلات صلبة . (. . .)

باعتبارها سمات أساسية لاختيار العبيد و اخضاعه لعمليات البيع و الشراء كبضاعة بشرية متأثرة هي الاخرى بعوامل الطلب التي أفرزها المنطق الحسابي و دواعي طبقة الأثرياء الاقتصادية التي كانت تستهدف بلوغ أقصى حدود الانتاجية ، وراء التبييض و التبريرات الدينية الموكلة الى الكنائس ، لتعطي للممارسة صفة الاصلاحية في المتاجرة بهؤلاء ، " انّ العبودية في افريقية مؤسسة سنوية و تحدث أحيانا كل مرة في القرن وليست ابتداع جاء اثر جشع وطمع البيض . هؤلاء " نقلهم " من ظروف وجود أولية و من القلق الذي يرتابهم ، لنسلمهم الى أسياد أكثر انسانية . اذ تضمن لهم في المستعمرة الحماية و العدوة ، و يحفظون من البربرية و من التعصب العقائدي و الخرافة الباطلة لتفتح لهم أبواب الجنة يتمتعون بخيراتها . " (1)

نحو هذا الاتجاه انتعش العمل المجدد في التجارة بالعبيد ، و بدأت معه صفقات التنافس لتطويق تثقيل الأفارقة و تسويقهم ، بحيث صارت كل الوسائل مباحة للتزوّد بالعبيد ، كالاغتصاب و السرقة ، و الاصطياد كالفريسة ، تساق فيما بعد الى أماكن يجهلها و الى بلدان لا يرقى الى تركيبتها التاريخية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية . ( )

و لعل الاستدلال بهذه السلسلة الاحصائية لجديرة بالذكر لابراز تعلّق و ارتباط كيفيات و وسائل المتاجرة بالأفارقة و ظروف وجودهم في المؤسسة ، بالصيغ اللفظية التي تحدد وضعيات العبيد بتعبيرات الوحشية التي تحتويها تعبيراتها .

---

(1) ISABELLE & VISSIERE J. LOUIS:"La traite des Noires au siécle des lumiéres" Edition - A.M. Métailié. Paris.1982. P.10.

( ) أنظر الصورة ـ ص ـ 27 ـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Esclave destiné à être vendu, en Afrique équatoriale, vers 1910 (musée de l'Homme, Paris).

أخـذت الصورة من:

ENCYCLOPEDIES UNIVERSALIS-CORPUS.7.

Editeur à Paris .FRANCE .S.A.1985.

Pg.160.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمنذ مطلع القرن الخامس عشر الى نهاية التاسع عشر ، و القارة الافريقية تعاني من نزيف انساني معتبر ، تصدرته أولا البرازيل بحصصها المتضاعفة من العبيد (400.000 عبد ما بين 1570 ، 1670) المستخدمين في مزارع و طاحونات السكر ، التي كان يقدر عددها بـ 60 طاحونة عام 1570 ، و التي تضاعف عددها مرتين ليصل الى 3600 .(1)

اذ في تحليل صدر عن بيار فارجي ـ لظروف تنقيل السود الى البرازيل يذكر فيه ، أن ثلث 200 الى 300 عبد مقيد مات خلال عبورهم في السفن ، و أن ربع المتبقين لم يستطيعوا مغادرة السفن باعتمادهم على أنفسهم و قواهم . أما الذين استطاعوا و هم مرغمين على الوصول الى الموانئ و الأسواق المحلية ، فكانت أعمارهم لا تتجاوز سبع (7) سنوات فقط .(2)

يأتي بعد البرازيل أمريكا الشمالية و التي رغم المخاطر التي كانت تصادفها في تشجيع هذه التجارة ، الا أنه بلغ عدد العبيد الذي تم تهريبه ما يقارب 3900 عبد كل سنة استجلبتها السفن البرتغالية و أحيانا الاسبانية خصوصا بعد سيطرتهما على التجارة المارة بالمحيط الهندي ، و امتلاكهما بعض السفن البريطانية للتوغل الى القارة ، باعتبارها الحليفة القديمة .(3)

اذ استهلك حسب ـ روجي . باستيد اثر هذه الغارات حوالي 20 مليون عبد ، نقلوا الى الولايات المتحدة تزامن استمرار امتصاصهم اليها بنشوب الحرب الأهلية ، ثم بعدها هناك ممن استغلوا للعمل في الزراعة ، و التي كان يتراوح عددها ما بين 311 الى 528 مزرعة تشغل الواحدة أكثر من 13 الى 17 عائلة . (4)

ضف الى ذلك ، أنه رغم نجاح عهد الأنوار ، الا أن عدد العبيد لم ينخفض الى حد ما اذ سجل تنقيل 1.828.000 عبد ، ثم 96.000 زنجي من خليج البينين ، ليباعوا في البرازيل . (5) . كما بلغ عدد العبيد الذي لقي حتفه حسب ـ صونخور .ل .س . اثر حملات تنصيرهم و تنقيلهم ، حوالي 200 مليون افريقي .(6)

---

(1) تاريخ الحضارات العام ، اشراف .موريس كروزييه . تأليف .رولان مونسييه ، ارنست لابروس تر .أسعد دافر ، فريد . م . دافر .لبنان .1968 .ص 321

(2) ZIEGLER.J.:"Le Pouvoir Africain" Ed - SEUIL- Paris-1973.P 121

(3) تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ، تأليف .دونالد .ل .وايدنر .تر . علي أحمد فخري شوقي عطاء الله الجمل . مؤسسة سجل العرب ـ مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر . القاهرة . نيويورك 1976 .ص. 51

(4) المرجع السابق ـ ص ـ 322 .

(5) Bouche Abbe:"La côte des Esclaves" coll.Litterature.Paris. 1946.P47

(6)ZIEGLER .J.:"Le Pouvoir Africain" Ed- Seuil - Paris-1973.P120

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما حصص انجلترا في سياق الأشكال الانتاجية المربحة ، التي تبقى عالقة و راسخة بالمحللات الذهنية لعولمها ، فقد بلغت في مطلع القرن الثامن عشر ما يقارب 1.685.000 افريقي : كونغولي ، غامبي ، سيراليوني ، . . .
قدرت على اثرها أرباحها في مزارع جمايكا بمليفون 1.500.000 ليفر عام 1773. (1)

ساعدها على تحقيق سياستها الرامية الى كسر شوكة النفوذ الهولندي ، عدم انشغالها بمشكلات القارة الأوروبية ، و تحالفها مع بعض القبائل و الدول المشهورة بتسويق العبيد كالفانتي ، اليوروبا ، الداهومي ، . . . (2)
اضافة الى ذلك ، وحسب ليفينغستون ، أنه تمت مفاوضة على 15 ألف عبد سنويا في سوق زنزبار نحو عام 1840 . و حسب سفير انجلترا ، فان جمارك زنزبار سجلوا مرور 19 ألف عبد مستقل فقط من مدينة نياسا . وكلا العمليتين كانتا تحت الحماية الانجليزية مدة القرن التاسع عشر ، اذ أبدت تخوفه موقفا حادا و قهريا ازاء المتاجرة بالعبيد ، و مع ذلك استمرت مؤسسة العبودية كظاهرة ، أو كمبدأ مستترة وراء تمظلات امبرياليتها . (3)

(1). ZIEGLER . J. : Ibid. P.120

(2) تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ، تأليف . دونالد . ل . وايدنر . تر . علي أحمد فخري ـ ثوقي عطاء الله الجمل . مؤسسة سجل العرب ـ مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر . القاهرة . نيويورك . 1976 . ص. 55 .

(3) CANALE JEAN SURET:" Essais d'Histoire Arricaine" De La Traite DES Noires Au [illegible]olonialisme - Ea - Sociales - Paris. 1960. Pg.79.

باعتبارها انجازات قائمة مسبقا ، الا أنها تتناول في جلائها نوعيات علاقة الملكية ، أو رسمية اللامساواة الاجتماعية ، و بالتالي فهي تفصح عن الصفة الدرامية لممارسة العبودية و المعاملات التي أفرزتها اعتباطية علاقة سيّد / بالعبد ، أو علاقة الأبيض بالأسود .

من هذه الزاوية ، فاذا كان تحليل الأصناف اللغظية " لمفهوم و تصورات العبيد " تحليلا تاريخيا " (1) ، فهو لا يطالب الأشياء التي قيلت بأن" تكشف عن أسرارها ، أو عما قيل دون وعي منها ، و عن الأفكار التي تعشعش بداخلها . بل يطالبها على العكس بنمط وجودها و كيفية تجليها وما ترتب عنها من آثار كما يطالبها عن الأسباب التي جعلتها هي التي تظهر دون غيرها .
هذا يعني أيضا ، أنّ تحليل الأصناف اللغظية و التعبيرية الخاصة بتزاوج اللّون و تأريخية الوضعيات الرديئة ، ليس بموقف مستقر . بل يفترض ضمن المحتويات الأساسية للغة (الجوانب النفسية للمتكلم و المستعمل) اتباع تطورها و تحولاتها ، و الوقوف على ظروف أزماتها الثقافية ، التي تؤالف بين ثقافة " العبيد " و الثقافة العامة

هنا ، نجد أنفسنا ملزمين باتحام عوامل جديدة ، تبيّن لنا تهذيبات العبارة ترنسندنتاليا و بنيّتها الوحشية الأصلية ، و تغيّر وقع اصطلاحية الممارسة قانونيا ، و أيضا مدى تأثيراتها على البنيات اللسانية و المحطات المثقفة للغظة " العبيد " .
يبدو أنّ الغرض في تمييز قاعدة ايديولوجية عن البناءات التصورية ، التي هي عمليات توافقية و ترتيبية " مجردة " تنسق بين الممارسة التاريخية للخادمية و التقسيم الفئوي ، متوقف على

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ الفرض المحتوي للسيد ، أن يضمن البقاء المادي للعبد و الانفاق عليه ، و أن يبيع هذا الأخير في حالة تورده عليه . فالمالكيـــة تعلم أن العتق مفروض ، عندما تفوق قيمـــة العبد قيمة السيد ، و قد حددت التشويـــه و افساد العبد جسميـــا (1)

ـ الأبناء المتحدريـــن من المعاشرة الشرعية ، هم أبناء شرعيون و يشاركون ورثة أبيهـــم مثلهم كمثل الأبناء المتحدرين عن الزواج . الا أنـــه من الصعب تحديد أبوة السيـــد عليهم ، لما يترتب عليها من نتائج قانونيـــة و اجتماعيـــة (...) و عليه يتميز أصحاب المذهب الحنفـــي عن غيرهم ، بأنهم لا ينسبون الطفل للسيد الا عن اعتراف هـــذا الأخير بـــه ، و اذا كانت هناك قرينة أبوة قانونيـــة و سبق للخدينة أن كانت أم ولد ، فانه يحق للخدين حرية انكار أبوتـــه للولد . (2)

ـ تقر المالكيـــة للعبد حق ملكية ماله المستغل ، الذي اكتسبه عن طريق التبرعـــات أو التركات ، و يستنتج من هذا المذهب أنـــه بامكان العبد معاشرة خدينة أو أكثر شرعيا و الاحتفاظ بمالـــه بعد عتقـــه . (3)

ـ أما أصحاب المذهب الشافعـــي و الحنبلـــي فيرفضان العبد وظيفة الوصي . أمـــا الشهادة فهي غير مقبولـــة قانونـــا ، عـــدا الحنابلـــة الذين يردونها فـــي الأمور الجنائيـــة الأكثـــر خطورة . (4)

من هذا يأتـــي استنتاجنا الوحيد ، لا لتعليل الطابع الثوري في الاسلام المقرر للعدالة الاجتماعية ، و لا لتوضيح تأخر توزيع النظام السياسي و الاقتصادي مع الاقتراحات و العروض التي تضمنها الاسلام كمشروع اجتماعي ، و انمـــا لنؤكـــد مقاييس فاعليـــة النصوص الدينية و الوضعيات الايجابية التي أفرزها الوعي الاسلامي ابراء امتطاء أحـــد سلطاني " الحرية " أو " الاستشهاد " ، باعتبارهما نظاريا سبلا لتجديد و اعادة تقديرات واعتبارات " الكائنـــة " من جهة ، و كذلك لابراز بداية توجهـــه العبارة الـــى منظـــومة المحظورات و القيـــم من جهة ثانية ، الناتجـــة عن الانعكاسات الاخلاقية التـــي تركـــها النسق الاسلامـــي .

---

(1) ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM : OP. CIT . P .27

(2) ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM : OP. Cit . P .29

(3) ENCYCLOPEDIE De L'Islam : OP. Cit . P .29

(4) ENCYCLOPEDIE De L'Islam : OP. Cit . P .29

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك اذا تحدثنا عن نوع من " التهذيب" في الميلغات اللفظية لمفهوم " العبيد " و ابستيمولوجية " متأدبة " تفصل في نطاق الأخلاقيات بين التصوّر العنيف تناظريا مع التصوّر التكثيفي اوضعية ذوي اللّون ، فانّ هذه الصيرورة التي أصبحت تندرج ضمن الفواصل الدينية و القيميّة (حرام ، عار ، عيب ، ...) لا تعتبر العامل الوحيد لمحاولات تجاوز وضعيات " الشأن المنحطّ " ، بل هنالك مشاهد أخرى توضح لنا بعض الفرديات في التراث الاسلامي ، نعتبرها في مجال موضوعنا حلولا سياسية .

الحلول السياسية

يمكن أن نعتبر في آخر المطاف ، أنّ ما قدمته لنا الحلول الدينية و على وجه الخصوص في أوج النسق الاسلامي ، هو بمثابة ايديولوجية للمقاومة ، صادفت في ذات الوقت اختيار موقف الصراع و التمرّد من أجل الحرية (سيّدنا بلال) و استرجاع الهوية التاريخية و الثقافية ـ تجربة تاريخية و مبدأ سياسي و اجتماعي جعلتنا من شخصية سيدنا بلال ، مؤذن الاسلام ، أسطورة مؤسسة ، أوجدّا أسطوريا يعبّر و يحدد أصل و ماضي الجماعات العرقية المنتقلة أو المنحدرة مباشرة أو غير مباشرة عن عبيد قدامى ـ اذ تعتبر وظيفة الروحانيات على الصعيد الاقتصادية ، بمثابة تغيير كيفي لخوض طريق اثبات الذات سياسيا .

هذا الموقف ، وان كان متباينا في نهاياته الثقافية و في مساعيه الروحية ، نجده متشابها كنموذجا ثوري ، و حل سياسي بذلك الذي يتغافله الوعي ، وتتجاهله تصورات العامة عند اصدار مقاييس التقليل من مرتبة و منزلة الرجل الاسود (ثورة الزنوج) . لما يبينه من ادراك لقساوة الظروف الاقتصادية و السياسية في الخلافة العباسية و تأزم الاوضاع المالية ، الناتجة عن سطو الخزينة المركزية ، و تناسمها فيما بين طبقة الاقطاع و التجار الوساطي و القواد الاتراك (1) . الشيء الذي انبثق عنه و بدوافع واضحة ، التنديد للمتاجرة بشخصية الزنجي كبضاعة ، تعذّب مقابل شقائها في نشاطات " احياء الموات " ـ ارافي بور ـ و تجفيف المستنقعات المالحة التي تتميز بها مدينة البصرة و ولاياتها (...) و استنكارا للاهانات التي كان يوجهها الاتراك للعبيد و سوء معاملتهم في عزّ حرمة الموطن العرقي (افريقيا) (2) .

---

(1) ـ أحمد علبي ، ثورة الزنوج و قائدها علي بن محمد ، منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت ـ لبنان ـ 1961 ، ص75 .

(2) ـ أحمد علبي ، نفس المرجع السابق ، 77 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اضافـــة للنموذج الفارط ، هناك نموذج " المماليـك " الذي و ان كان لا يشهـد على الحاق اللون بوحشيـــة دلالات المفهوم ، و لا يدعّم فرضيتنـــا المتناولـة دراسة البنية اللفظية الدالة عن مؤسسة العبودية ، لينصب فقط على خصوصية تشكيـل و ظهور المماليك و نوعية التقسيم الطبقـي .

فـــهو من جهة أخرى ، يتمفصل حول استخدام المماليك الأتراك ، الروم ، الفرنج ، الصقالبة (شعوب السلاف ، و الجرمان) و الأرمن (الأكـراد ، و الجراكسـة) و التركبلي . . . . كجيوش لمحاربة المغول و التتار و البزنطيين و الصليبيين . اذ يعتبر استجلاب المماليك ، موقف لتجديد النفوذ السياسي و العسكري للخلافة العباسيـــة و تمكيـــن لرسالـــة الاسلام ، التي زرعت فيهم منذ نعومـة أضافرهم . كمـا لا يعّدوا طبقـــة رقيـــق مثلمـا استعبدوا هم عبيدا أفارقة ، استغلوهم في ميادين الفلاحة بعد مـــا نصبـــوا على مجالس عالية في ديوان الجيش ، انما تمثل وضعيتهم وساطة بين الخلافـة المركـــزية و طبقة العبيـــــد . (1)

من كل هذه المشاهد التاريخية و الحلول المتنوّعة للتحرّر و تغيير المكانـة الاجتماعية و القانونية ، لا توجد تجربة عنيت سيكولوجيا بتنمية تصورات العامة في الرفع من شـأن ذوي اللون و تحطيم جدار الصياغات العنيفة لعبارة العبيد ، الا تلك التي نسجت تصوراتها و أبعادها على مدلول الشهامة و النجاح المرتبطان بشخصية " سيدنا بلال " و لعل ذلك قد يرجع الى البعد الزمني الذي يفصل الذاكرة عن تأريخيـــة الأحـداث المسجلة في التراث ، أو الى كونهـــا محاولات جماعية تندرج ضمن نطاق سياســـي و اقتصادي غير معاش تجريبيـــا .

لذلك و لتقرب أكثر من " الزمانية الداخلية " التي تنفرد بمحتوياتها كفواصل تاريخيـة و تجارب أقرب الى الذاكرة العرقية موضوع النقاش . ارتأينـــا أنه قد يكون مجديـــا أن ننظر الى التشكيلات الطبقيـة في افريقيا مـــا قبل الاحتلال ، حيث طبقـــــة النبلاء و الملوك و زعماء القبائـل الذين سهلوا المبيعات البشرية و استنزفوا القارة تحت تأثيرات الاوروبيين ، و تهجـــم القبائل فيما بينها مقابل اعتلاء مقاليد السلطة و الامتيازات التي تزكـــي التصورات العقائديـــة و الدينيـــة .

معتقدين بأن فائدة التطلع على حركية و ممارسة العبودية في المجتمعات الافريقيـة بامكانها أن تكون متغيرة ثابتة ، لتوضيح بدايات الفوارق الاجتماعية و تشكيـــل الدولـة و الأمبراطوريات من جهة ، و " تفسير الميزة العنيفـة التي تطبع الانجازات الفنيـــة و تضرعات السود لبعض المحاور الحياتيـــة . " . (2)

---

(1) ـ أحمـد فؤاد سيّـد : ملاحظات جديدة عن ظهور المماليك .
دراسات عربية اسلامية . القاهرة . 1982 . ص. 39/ 41 .

) Kesteloot Lilyan: "Anthologie Negro Africaine" Ed. Gerard & Co. Ver-
viers -Belgique-1976 ,.P.7

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باعتبار أن وجودها ما هو الا موقف واعي و مؤلم في نفس الوقت لوضعية اجتماعية و سياسية ، متناقلة بين الأجيال عبر قنوات مثقفة و روحية تسمح باعادة صياغة بنيات مجتمع الأسلاف .

كتب الادريسي و هو يذكر البكري ، أن مدينة " تكرور" عاصمة الامبراطورية كانت أكثر تجارة من " سيلا" . يتوافد عليها أهالي " المغرب " ، محملين بأوزان من الصوف و النحاس ، و الملس " ، ليعودوا بكميات من الذهب و العبيد . . .

أما بالسينغال ، فكانت بها محطات صيد العبيد ، تبادر في "فاتا" و"تكرور" و"لملم" و غيرها من البلدان ، عن طريق وسطاء كان يقوم بها أهالي " ديولا " " صراكولي " ، و " تركولور " ، و " اووولوف " ، جاعلين من المحطات الذريعة أسواقا سوداء لتجارة العبيد .

في هذا الشأن تجدر الاشارة الى أن هذه الأسواق كانت في غالب الأحيان مسوقة بالعبيد من طرف السوننكي " تركولور" و " صراكولي " مقابل أجنباب من الملح . (1)
بالاضافة الى ذلك ، أن ملوك "البوريسا" لم يترددوا اطلاقا على بيع أسراهم الى التجار الاوروبيين ، بل عادة ما كانت تساق قافلة ملكية وحاشيتها الى طريق التجارة ، عندما تنتظر عليها قبيلة أخرى .

هذا الوجه من اشكالية العبودية ، في شمال افريقيا أكثر انتشارا لارتباطه وثيقا باقتصاد الدول الصحارية وجنوب الصحراء بحيث توجد أسواق الداخل .

مأساة العبودية والعبيد الناتجة عن الحروب وتسلط قبيلة على أخرى ، تمثل تماما شكي يقول " أن كل انسان خلقه الله ، أبا للعبد (أكلي) فقد خلقه التاريخ " بنية كانت طريقتهم وقتئذ في التزود بالعبيد نوعان ، اما عن طريق قنصهم من مناطق حدودية و مناطق ترتيبة رعوية في السودان ، أو عن طريق الشراء . (2)

فالطوارق المهاق مثلا ، كانوا يشترون بضاعتهم من العبيد عن العرب المتاجرين من بين" التيدكلت" أهجاللا و " تامبوكتو" جنوبا ، أو من " سيتو" و "واتادوغو" و " موكوطو" مقابل موحسار .
يستخدم هؤلاء في أغلب الأحيان لأشغال منزلية . كما أن "العتق لطوارق أحرار لا يعني التحرر الكلي ، وانما يقابل على انتقال العبد من نشاط الى آخر (مخدم رعوية الى نشاط الفلاحة . . .) ، واكثر عموما تبقى العروق الحر في الوجدان

---

(1) Majhemout Diop:"Histoire Des Classes Sociales Dans l'Afrique De l'Ouest". 2 - le Senegal -Ed.F.Maspero.Paris.1972. PP. 19

(2). Meillassoux.Claude: "L'esclavage en Afrique précoloniale". Dix.sept Etudes. Ed. F. Maspero. Paris. 1975. P 83.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للانتاج : أي فسي تكريس الأسرى كعبيد في الأنشطة الانتاجية .(1)

أما الوجه الثاني للاكسالية العبودية في شمال افريقيا ، فيبرز نفسه بصورة تحاسي سمة أخرى ومعقدة لما يمكن أن نسميه " بأسلوب الانتاج " ، اذ يرتبط العبد هنا بالمؤسسات الدينية ، كالرباطات ، و الزوايا (القادرية ، التيجانية ، ...) يشتغلون فيها كخدم و مسيّرين دينيين ، أو يعتنون بمختلف التبرعات من الأموال ، كالزيارات و"النفقات" . اذ تتمفصل في مقاييس ارتقائية عدة معايير ، وسبل تحرره ليست مقيدة لتسلق أعلى الهرم الديني . من أهم هذه المراتب المتصاعدة من "رجال الدين" و " العالمين" مميزة مرفيا المرتقي الجزائري ، بعد العتق ، أو من وراء حاجز المؤسسة باسم التخادم تعبيدا و تخاديا للزوايا ، و الخانقات ، التي من " أبرز ما أن تتأثر لادارة المؤسسة الدينية " .

و لا أدلّ على هذا التحول من الدرّ التالي ، المقتبس من الحسدي المخطوطات (&) التي تبيّن لنا أولا انتماء العبيد الى الزاويات و نوعيات الوظائف المخوّلة لهم ، و افراطهم في تأديتها الامتثال لهم لثقة المؤسس الذي تعبّدهم طيلة حياته :

" اما مكان من رجوع سيدي ابن الدين

فلما زادت الوقفان من الطريق الشرعية و سلما الله الاتعاب و تلة الصار ، فتذكروا أولاد سيدي الشيخ في تقلب حالهم و ما أصابهم من الهموم و البلاء ، اتفقوا على أن يتبعوا الشيخ سيدي ابن الدين و يرجعوه الى بلاد "الأبيض" فذهبوا بعد الأيمان . فلما وصلوا عند الشيخ سيدي ابن الدين في الثانية ، تذكروا اعتذارهم و ما أصابهم من هروب و تفرق من الأموال و النفوس ، فرجعوا بعد هم الى الابيض سيدي الشيخ .

فوجد حال الزاوية تغير و العبيد المستخدمين في الزاوية ملكوا أنفسهم و استولوا على مال الزاوية الذي هو محبوس على المساجد اقراءة القرآن و التعلم و اطعام الطعام المساكين و الفقراء و الزائرين ، فبعد ذلك تذكروا في نفسهم قول النبي صلى الله عليه و سلم " كلكم راع و كلكم راع مسؤول عن رعيته ..... "

فقال أنا (أين) الذي كانت مسؤولية الزاوية على عاتقه و اطمأن أمرها فقال أتوني بالعبيد المستخدمين في الزاوية ، فسألهم عن ما تتجروا من مال الزاوية ، فقال لهم كيف حال سيدكم فلان و فلان ، فقالوا العبيد ماتوا أسيادنا .

(1) Meillassoux Claude : Ibid. P. 143

(&) تحصّل على هذه المخطوطة أملاء الأستاذ أحمد بن نعوم - مدير المركز الوطني للدراسات التاريخية خلال مجموعة أبحاثه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال فكيف حال سيدتكم فلانة و فلانة و فلانة . فقالوا العبيد ماتوا كلهم بالجوع و الحريـــــة . فقال لهم كيف حال الغلام فـــلان وفلان و فلان . فقالوا الجواب لابـــــأس على عبيـــــــدك فقال لهم كيف حال ستـــرا ، وعافيـــة ، ومنـــاتـــا . فقالوا الجواب لابـــــأس على خويـــــدمتك . فقال لهم عندما استفهـــم كلامـــهم وما صنعوا بالمساكين والارامل و الايتام من سوء و شر " أيسلمكم أنتم لبنات عمكم و أولاد عمكم . أما أنا فيقلعني عليـــهم" فطـــرد هؤلاء الغلمان من خدمة الزاويـــة ، وقال لبعضهـــم اسمـــه "محيقن" اللـــه يجعله محقن شـــر وما اتزيد شـــي أكثـــر من واحد الى يوم القيامـــة ، و قـــال للثانـــي اسمه "فاح اللـــه " (فتح الله) اللـــه يجعله في الدنيـــا للعـــار و في الآخـــرة للنـــار .

وكل من العبيـــد دعـــى عليه بالدعوة الذي تليـــق لـه و يحاقبـــه اللـه عليهـــا في الدنيـــا و الآخـــرة " (1)

ليس المهم في قراءتنا لهذا النـــص ، ما يتضمنه من أدبيـــات مرويـــة فحسب و انمـــا ما يتمثل خلفها من آليات دينيـــة و محددات امكانـــة العبيـــد داخل المؤسسة و المجتمع القريـــب ، بالوجود المادي لاشكال الخلافات التـــي يمكن فرزهـــا من جراء تقلبات استغلال السلـــطة و التنظيم الديني المقـــدس اللـــذان (التنظيم الديني المقدس) ، تختفي ورائهما وضعيات " العنف " (كالموت و الشـــأر . . .) أو السلميـــة التي تنبع من الخادمية المثلـــى للقيم الروحيـــة و الانسانيـــة ، التي وجدت لأجـــلها الزاويـــة كمؤسسة دينيـــة .

وبالتالي ، فان مـــا ينبغي التمسك بـــه هو ما يمكن أن نلتمســـه من خلال تجزئة السيرورة الانثروبو ـ سياسيـــة و السوسيولوجية ، التي تشمل فضاءات الأضرحة المحيطة بمفهـــوم العبيـــد ، و تصوراتها امـــا الادماجيـــة أو المهمشـــة ، التـــي تعكـــس اتجاهات تكويناتها التاريخيـــة .

---

(1) ـ مخطوطة : السيد بدنـــي محمد بن مصـــر ، تحـــرأولاد سيدي الحاج أحمد بالابيـــض سيدي الشيـــخ .
ولايـــة البيـــض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اما مكان من رجوع لسيدي ابن العين
فلما زاغت الرجعان عن الطريق الشرعية وسلط الله السخط
وقلت المطر، جمعوا اولاد سيدي الشيخ في نفوسهم ما اصابهم
من الهموم والبلاء، اتفقوا على ان يتبعوا الشيخ سيدي ابن العين ويرجعوا
الى بلاد الابيض فذهبوا بعض الاعيان فلما وصلوا عند الشيخ سيدي
ابن العين فقابلوه فرحب لهم واعتنى بهم وما اصابهم من الجوع والنقص من
الاموال والنفوس، يرجع معهم الى الابيض سيدي الشيخ
توجه حال الزاوية تغير والعبيد المستخدمين في الزاوية ملكوا انفسهم
واستولوا على مال الزاوية الذي حبس على المساجد لفرق القرآن والعلم
واطعام الطعام للفقراء والمساكين والزائرين. فعند ذلك تفكر
في نفسه قول النبي صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكل راع مسئول عن
رعيته" فقال انا الذي كانت مسئولية الزاوية على عاتقي واحلام امرها.
فقال عاتقوا بالعبيد المستخدمين في الزاوية، يسألهم عن ما تحوا من
مال الزاوية وما هو حال الفقراء والمساكين الذين ترفهم يجوز يا كلوا ويلبسوا
في الزاوية. فقال لهم كيف حال سيدكم ملان وملان. فقالوا
ماتوا اسيادنا. فقال وكيف حال سيدكم ملان وملان وملان
فقالوا العبيد ماتوا كلهم بالجوع والعرية. فقال لهم كيف حال
الغلام ملان وملان وملان. فقالوا الجواب لا باس على عبيدك. فقال لهم
كيف حال بشرا وعاجبة ورمضانا. فقالوا الجواب لا باس على الخوية
فقال لهم عند ما استفهم كلامهم وما صنعوا بالمساكين والارامل
والأيتام من سوء وشر، واي سلمكم انتم لبنات عملتم واولاد عملكم
وأما انا يخلفني عليهم، فكيف هؤلاء الغلمان مرد هذه الزاوية
وقال لبعضهم اسمه احمد قم الله يجعله محق شر وما اكثر ما شي
اشر من واحد اليوم القيامة، وقال الثاني اسمه "طلحة الله"
الله يجعلنا في الدنيا الدار، وفي الاخرة للنار، وكلمن العبيد
دعى عليه بالدعوة الذي تليق له وبما فيه الله عليها في الدنيا الاخرة
ورجعل عبيد غيرهم تخدموا في الزاوية على حسب الامر النهي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ مخطوطة أصلية نوضح من خلالها مكانة العبيد في "الزاوية"

كل ما يمكن أن نختم به ، هو أن هذه الاثباتات الأخيرة مهمّة و تشجعنا على أن ننشغل أكثر فأكثر و منذ الساعة بهذه الخاصية الانتخابية التي تتشكل على اثرها "المكانة" ، باعتبارها علاقة تخضع لقياسات التأثير الايجابي و الفعلي الذي يتجاوز حدود الصراعات من جهة و يجد استجابة و فاعلية للتنظيمات الدينية الموكلة لذوي " الشأن المنحط "

كما يجب أن نتريث طويلا على ما يمكن أن نطلق عليه " بتضادات المكانة " و نعني هنا منزلة العبيد ، عندما تكون محددة دينيا ؛ أي حينما نلتمس عبر معايير الارتقاء – انتماء الرجل الأسود الى الهرم الديني و خدمته بوفاء و شرع – دخول العبارة فضاء المحظورات و القيّم الغير مكتوبة .

أيضا ، تعتبر هذه الملاحظات أساسية ، حينما نغامر من جهة أخرى في مقارنة تضم طرفين ، يتميّز فيها " العبد " أسود عن " الشريف " أسود ، فقط بمجموعة علل مبنيّة على سلسلة خيالية و مبلورة وظيفيا ضمن قراءة للطقوسيات و دخولها عالم المقدس ؛ أي اما داخل نسق أسطوري (بتحالف و انتماء "الشريف" الى كتلة من شخصيات مقدسة و ذات كرامات ؛ رقاني ، الشيخ مولاي الطيب ، ...) أو بانتماء الى شخصيات تاريخية و واقعية اجتماعيا منحدرة عن نبُوّة ؟.

انّ اشكالية العبودية في هذا المعنى ، تبين لنا أهمية و فائدة الاستعانة بمقولة ج .بارك .في الفصل بين "الحقيقي" و "الصحيح" في خاصية عبارة " العبد " و بالتالي في أبعادها بين الايديولوجي و التأسيسي .

و يبقى اشكالها مفتوحا و غير ثابت و لا محدد باطار نظري خاص ، يسمح لنا في ميدان الأنثروبولوجية بتحليل مكونات المجتمع و تفاعل تركيبته ، الفئوية اجتماعيا و على مستوى بنياتها الذهنية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيء الأكيد ، هو أننا اذا عدنا الى الوجه الآخر لموضوعنا و دراسة أشكال تجاوز هذا "الدراما التاريخي" و تعرفنا الى فحص صوّر مقاومة المحتويات النفسية لمفهوم "العبيد" كوضع سلبي مميّز عن المكانة التي يتمتع بها الرجل الأبيض الحرّ (1) فاننا ندرك أهمية التفاف "العبيد" حول مسارحهم الثقافية و عودتهم الى الانساق الدينية و الروحانية ، التي لا تشكل سوى جسرا يربطهم كأفراد بما يكوّن ثقافتهم و تاريخهم المحدد .

كما ندرك من جهة ثانية ، أنه لا سبيل لاستعادة المكانة الا عبر تخليد و تحيين الأشكال الاسطورية و الدينية ، التي تدافع بها عن وضعياتها رهن التصورات و الأحكام القيميّة . "فالطقوس الدينية و الرموز" ، كما يقول ك . ل . ستروس في تمهيده لكتاب ج . بالونديّ : "تثير تحرير الخيال الاجتماعي ليتجد في ممارساتها الرمزية حلولا فعلية ." (2)

أمام هذه العوامل الثقافية و التاريخية المتقطعة عن الموطن الأصلي – رمز العلاقات الزوجية و الأبوية و الطوطمية و علاقات الانتماء و الانحدار .. – نجد أنّ معظم الجماعات العرقية التي استقرت بالجزائر اثر هروبها أو شراء حريتها ، أو توارثت وضعية الاستعباد حسيا ، كيّفت معارفها الاسلامية و استصاغت من أبوابه العقائدية و الدينية ما يعطي شرعية للرجوع الى النسق الأسطوري الأصلي ما دامت تشترك معها في الاتصال بالقوة المطلقة ، و هذا عن طريق الوساطة التي تقوم بها الأرواح و القوى الثانوية و الأسلاف و التضحيات المخصصة لها و يؤكد ذلك شارل مونتيّ بقوله : "أنّ الاسلام قد تسودّن وكيّف من طرف السودانيين حسب ذهنيتهم ما دام يتضمن عناصر التقديس و الألوهية المعتمدة على الاعتقاد" . (3)

) Meillassoux claude: Ibid . Pg 21

) Levi strauss Claude ; Préf à L'Ouvrage de G. Balandier - Cit.

Ouitis .A: " Les Contradictions sociales et leurs Exprèss - ion Symboliques(Setifois). D.E.S. SOCIOLOGIE - Universite d'Alger -1973.Pg4

) MONTEILS Charles :"Devination chez les Noires d'Afrique" In Bulletin de comite d'Etudes Historiques et Scientifiques de l'Afrique Occidentale Françai- -se .T.XIV. Janv-Juin- 1931.Pg43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و بذلك لماذا لم تتوقف قوافل العبيد الا بعد " مرسوم السـود " الذي صودق عليه عام 1847 ، (1) و أنه شوهد تنقيل أعداد هائلة من العبيد و غبرة الذهب و العاج بين مقاطعة " مرزوق " و " تريبولي " كما جاء ذلك على حد وصف نـاشتيغـال ، بعد أن تم بيع حوالي 6000 عبد في أسواق مرزوق عـام 1835 . (2)

و تفاقم حجـم المبيعات بين مقاطعة " برنـو " و " حوصـا " مرورا على " الدارفور " لتصعـد بها الى غاية تونس ، أو من " تامبوكتـو " أيضا الى جنوب المغرب ، حيث كانت بها جماعات " التاجقانت " تسوق أمامها قوافلا محملـة بـأنواع البخـور و ريش النعامـة و الذهب و خاصة عبيـد " بنبـرا " . (3) و تاركـة وراءها عددا من الجثث (80 الى 90) جـثة ملقاة ما بين " فزان " و " كوار " عام 1826 لانهيار قواهـا و كثرة شغبها و حزنـها على مـا حلّ بهـا .

فـانـه من جهة أخرى و نتيجـة للآثـار السلبية التي أفرزتهـا مؤسسـات العبودية و المتاجرة البشرية ، تكوّنت أشكال تجمعـات عرقيـة و بدأت بذلـك تتشـكل ارتباطات بين السود ، حتى و لو لـم تكن بينهـم صلات رسمية و قرابـة مبنيـة . بل كـان يكفـي أن يكون الأصـل العرقي موّحـد ، و تخضـع التنشئـة الروحيـة و الثقافيـة الى نفس المنظومـة و الاطـار السوسيو – تـاريخـي .

و بالتالـي ، أو على أساس هذا الدافـع الذاتـي ، نشـأت مجموعـة من " الديار " ذيع صداها في المدن التي وجدت بها تجمعات سوداء و نتيجـة توافـق مـا كـان يجـري بداخلهـا مع طبيعة البنيات الذهنية و بعض شرائـح المجتمـع .

يصف لنـا ج .ب. آنـدرو ، أنـه لاحـظ بالجزائـر (بالقصبـة) سبعـة ديـار " لسيدي بلال " و أنّ كل " دار " تمثل الموطن الأصلـي للجماعـة العرقية التي تضمهـا ، و يقسمـها الى قسمين محددا تلك التي من السودان الشرقيـة : دار حوصـا ، دار برنـو ، دار كـتسينـا .
أمـا من الجهـة الغربيـة ، فكـانت توجد أربعـة ديار منها : دار بنبـرا دار صونـغاي ، دار بوصـو ، و أخيرا دار قورمـا . (4)

YACONO. X:"Un Affranchissement D'Esclaves à Alger1847" In.Revue D'Histoire Maghrebine .N°1.TUNIS.1974.PP77

NACHTIGAL Gustave:"Sahara et Soudan".Paris.1881.P.21- Cit. VIVIANA Paques. Pg.450.

LAUGEL .A:"Les Tadjkant Caravaniers Du Desert"- Bull.de Liais-T.10 N°36.1959.Pg.307- Cit.Viviana Paques : Ibid.Pg.451.

J.B. ANDREWS:"Les Fontaines Des Génies" Croyances Soudanaises A AL - ger. Alger. ADOLPH JOURDAN.1903. PP. 16

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحيث كانت موزعة وتتشذ ابتداءا من وسط القصبة الى ما جاورها انطلاقا من " الينبوعين " "زوج عيون" الى غاية حدود بولوفين حاليا . فدار بنبرا مثلا ،كانت توجد في 7 شارع ابن سراج – دار بوصو ؛ في 12 الطريق المقطوع دار فور ،و دار صونغاي في 26 شارع عبد الله ، دار قورما في شارع بولوفين . أما دار بزنو فكانت في شارع الاهرامات ،وكتسينا في 15 شارع النظرة (1)

أما المواقع الاحتفالية الاخرى ،كالقطعة " الرملية" بحسين داى ، و الحراش ، وبرجال العفرون ، و دار الشجور ، فهي بمثابة مجالات متممة لاستحضار و تنفيذ التخليد و الطقوس للشخصية الاسطورية و القوى الخارقة التي ترمز للأوطان .

---

(1) VIVIANA Pâques:"L'Arbre Cosmiques Dans La Pensee Populaire et Dans La Vie Quotidienne Du Nord-Ouest Africain" Coll. Institut D'Ethnologie. Musee de L'Homme Paris. PP:613.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البنية و المكوّنة السوسيوتاريخية "للمحلات" :

ان الالمام بجوانب موضوع "ديوان سيدي بلال" تجبرنا على أن لا نتوقف عند حدود الاسباب التاريخية و الخصوصيات الاديولوجية لاتجاهات ممارسة العبودية و مسار مفهومها (التجاري ، الحربي ، الديني ...) الذي أدى الى توزيع الجماعات العرقية ليشمل مجتمعنا كمحطة جديدة . بل تفترض علينا كذلك ، في خضم متابعة تفاصيل الاستقرار المجالي الجديد أن نبحث عن سبل تجاوز تصورات الوضعية الاجتماعية للمفهوم و عن عوامل الاستمرارية التاريخية و الاجتماعية الخاصة بالجماعات العرقية . و بمعنى أدق نبحث عن الاطار التأسيسي الذي يضمن للرؤية الخاصة بالجماعات العرقية التوغل للوصول الى أبعادها الثقافية و اعادة تركيبتها السوسيو- تاريخية .

و هذا الاطار التأسيسي الذي بموجبه تبنى المعطيات التاريخية ، تمثله "المحلات" باعتبارها الركيزة الاولى لوضع ملموس والاداة التي يعلق عليها ربط الماضي بالحاضر . فقط هناك نقطة فصل يجب ان نضعها بين "المحلات" و "الاخيلات" ، بحيث أن ما يميز هذه الأخيرة ، هو أنها تستجيب لتشكيلة فئوية زاهدة ومتصوفة يرجع تاريخها العملي الى قرون غابرة و بلغت بفضل رجالاتها المتفقهين في الدين هرم الأولياء والصالحين بكراماتهم و براهينهم الاعجازية ، بالاضافة الى ذلك فهي تصور انماطا حياتية بالمعنى الديني والسياسي . في حين أن "المحلات" أو "الديار" فهي عبارة عن مساكن قديمة اكتست منزلة التقديس لكونها تعبيرا عن مرحلة انتقالية و استقرار مجالي لفئة العبيد . وكذلك لكونها انعكاس لتركيبة اقتصادية و اجتماعية للمجتمع الأصلي تنفرد عن "الاخيات" بقيمتها التي تبدو في بروز ثقافة هؤلاء العبيد و قدرتها على الاندماج و التفاعل بالثقافة الشعبية ضف الى ذلك احتواءها لرصيد ديني و رمزي ، لفوزته تصورات و دلالات الجهاز الايديولوجي و تقنيات اعادة للشروط الاولية المعبّر عنه بـ "دوزان الوصفان" . اذ تمتلك و تحتفظ كل جماعة عرقية بجهازها الديني داخل صناديق كبيرة ، يُوظف استخدامها الديني تدريجيا و حسب نسق تصوري و دلالات اسطورية خاصة .

نفهم للوهلة الاولى انه من بين الوظائف الاساسية " للمحلات" هو قدرتها على ترجمة كجسم موحد و متجانس الاشكال و الانماط الحياتية العرقية و تعبيرها عن تحالف عرقي "متأقلم" يخدم مستويات بنياتها الفوقية الرمزية ، على الرغم من اختلافها تاريخيا و تباينها بشريا في مواجهة سلسلة التأثيرات المتبادلة على الصعيد السياسي و الاقتصادي و الثقافي و تناقضاتها الداخلية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك فانّ المحرك الرئيسي الذي يفرض نفسه على الوعي العرقي ، للمحافظة على بعد التوازن و تلاحم الجماعات يبدو في "الذكريات" و الارث التاريخي "الذي يعود بالذاكرة العرقية الى آخر هجرة و استقرار بالاقاليم الحالية . بحيث عنصر بصري (كضريح أو مكان مقدّس . . . .) كاف و ضروري للحفاظ على الذاكرة حيّة " (1) .

هذا من الباب الذي يعطي "للمحلّة" طابعها الشخصي و الذاتي أو المعنى الضمني الذي يؤكد الوعي العرقي و مجتمع "الديوان" . أما الواجهة التي تجعل "المحلّات" مفتوحة دلالة عن تعاملها مع الخارجين عنها ، فيتمثل في استعمالها الوظيفي للعلاج و مساهمتها في تلبية الاستعدادات المكبوتة لهؤلاء . اذ عادة ما تجري بها حلقات للتطبيب التي تفرز قابليات للتخلص من "المرض" . و اليها ترجع نتائج طلب الاستعانة و الاستنجاد من تضحيات و تقربات . حتى أنه في الحالات الغالبة و المتعلقة بالانجاب يصبح فيها المولود ملكا رمزيا "لمحلّة" سيدي بلال" وعضوا منضما ينتمي اليها تصوّريا .

فـ" المحلات " اذا ، ليستغي تعريفها الاجتماعي متشابهة بـ" الآخيات" وليست "بمجتمع سري " ، بل تتمتع بثقافة تجعلها مفتوحة اجتماعيا ، لتلبي خدمات التقديس و الوساطة وهي من هذه الزاوية تحتضن الأبعاد الدينية و الروحانية المرتبطة بالبعد العلاجي أو التخليدي (2) .

الى حدّ الآن لم نقدم الاجابات السوسيولوجية الكافية للوظيفة الدينية و الاجتماعية التي تلعبها " المحلّات" . كما أننا لم نتعرض لمكانتها في نطاق العقلانية التصوّرية التي تسير وفقها .
كل ما تقدمنا به يمكن ان ندرجه ضمن أخطوطة عامة تسطر لنا تفاعل ثنائي جمع بين العلاج و التخليد ، و بالتالي بين الحاجة الاجتماعية الرامية الى استعادة المكانة داخل الصف الشامل ، و الدفاع عن الهوية الثقافية و العرقية التي تمنحها و تسبب فيها تكرار التخليد .

أمام رغبة الخروج من العموميات و التقدم ببحثنا الخاص بهذه المؤسسات الدينية و الاجتماعية . و التعرّف على مكوّناتها المادية و الرمزية و ما ينطوي على الممارسات "الديوان" . قام اختيارنا على دراسة شكل التنظيم الداخلي "للمحلّات" و البنيات التي يقوم عليها ، ثم نتناول ضمن نفس فكرة الترتيب ، التي يخضع لها أعضاء "المحلّة" الى التصنيف المرموز له بأسماء القوى الخارقة و ما فوق الطبيعة .

---

(1) YVES Person:"TRADITION ORALE ET CHRONOLOGIE" ;cahier d'etudes africaines. 3eme cahier. vol II. 7. edition; Mouton&co. paris;1960;P 468

(2) LAPASSADE George:"ESSAI SUR LA TRANSE" ;Ed.UNIVERTAIRE.Paris 1976. P.113.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و أخيرا نرمي في خطواتنا التحليلية ترتيب الاطار العرقي كفعلة للمقدّس في ممارسة " الديوان " و المديرة للأسس التصورية التي تحييها . محاولين في هذه النقطة توضيح بعض الغموض و الاستفهام الذي اعترى تحليلات ج . لاباصاد ـ لظواهر الاستحواذ و السكون في شمال افريقيا و بالمغرب خاصة ،حينما أبدى حيرة كبيرة لأصل السود المنحدرين عن فئة العبيد القدامى بقوله من أين جاءوا "؟/ "ما هو أصلهم الجغرافي "؟ (1)

فيما يخصنا نحن فبمجرد ما التمسنا تركز الممارسة الدينية على فئات عرقية منقلة وكاطار منتج لثقافتها ، راحت خطواتنا تباشر في البحث عن أصلها و مصدرها الجغرافي ، مدرجين هذا السعي التاريخي ضمن نطاق التركيبة البشرية " للمحلّات "حسب الأصل العرقي و الجغرافي .

ـ التركيبة البشرية "للمحلّات"عرقيا وجغرافيا ،

لقد اتّضح لنا ، أنه من بين أشهر العشائر و الجماعات العرقية التي استقرت بالجزائر (القصبة) و بعض مدنها تتمثل في عشيرة "بنسبرا" التي هي فئة سودانية الأصل تقع من الزاوية الجغرافية على خط ارتفاع 11 الى 14 درجة شمالا و على خط طول 7 الى 11 درجة غربا . يعيش أهلها في تجمعات صغيرة بالسافان . تعلموا تقنيات الصيد البحري على يدّ البوصاويين ، تعود لهجتهم الى لهجة الماندينق لاقليم السنيغال (2) كما للبنبراويين نظرة واسعة و واضحة عن تاريخهم البدائي ،أو المرحلة الانتقالية لما بين ما قبل التاريخ و التاريخ .

و هذا يبدو جليا في ممارساتهم المحلية ، و الممارسات "الدينية" بحيث تحتفي بمكانة هامة في مجال تصوراتهم و نسقهم الذهني و العقائدي كما يميزون بين نوعين من المعرفة احداهما " سطحية" تعبّر عن بداية هضم و الدخول الى المعتقدات و العادات . يعمل بها كل من هو في مرحلة الرجولة ـ أما الثانية فهي معرفة " عميقة" و مخصصة لرجال الدّين و أرباب العائلات و الشيوخ من الجنسين تميل الى علم الأشياء (3) .

---

(1) LAPASSADE George:"Recherche sur la situation des GNAWA et des religion populaires extatique en afrique du nord " art-

(2) GERMAINE Dieterlen:"ESSAI SUR LA RELIGION BAMBARA" ;These doct; presenté à la faculte - lettres;paris;P.U.F.1945- P.14

(3) GERMAINE Dieterlen: Ibid P.15

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترتبط البنية الذهنية البنبراوية بهذه المعارف ارتباطا وثيقا ، و يعّد تقريبا مستحيل فهمها بمعزل عن نطاقها الأسطوري ، و الترتيب الذي تحتله في سلم القيّم المستمدة من الديانة الاسلامية أيضا ، و التي تركت آثارها على مؤسساتها الاجتماعية و الدينية . فهم بذلك يدركون واقعهم و لا يستعيدون نطا رمزيا نظريا فحسب ، بل نطا رمزيا معاشا (1) .معبّر عنه بالاجهزة الرمزية خلال الطقوس و هي بذلك تعنى نشاطاتها ؛ كالصيد ، و الصيد البحري ، أهمية واسعة النطاق في خطاباتها الأسطورية .

أما الصونغاي ، فبحكم موقعها من " تامبوكتو" غربا ، فهم مجموعة سكانية احتلت الحوض النيجيري ، و قد عرفت في مراحل متأخرة عدة تحركات ، كه جراتها التي جاءت على إثر وصول " الحوصاييين " و " الكتسيناوييين " للكبّي الأمر الذي اضطرها الى قطع نهر النيجر و الاستقرار في الدانجدي على حدود الداهومي اذكان لهذه التأثيرات و الاضطرابات خصوصيات على الصعيد التنظيمي و الاجتماعي ما جعل افراد مجتمع الصونغاي يعيشون في اتحادات و تضامن ضد اهم التيارات و القوى التي كانت لها فاعلية في خلق هذه الوضعيات ؛ (جماعات البيض ، الفولطاوييين ، الآروبيين ، و الطوارق ، الحوصاوييين ...) (2) الى أن عمّ الاسلام رحاب اراضيها فتعلاقحت شرعية المعتقدات و الطقوس المحلية بمحتويات جديدة مكيّفة للاسلام . اتخذت على اثرها الأجداد و الأسلاف كقوى ثانوية على أنها أشكال رمزية و أنها بمثابة انعكاس لأحداث تاريخية و مراحل تشكيل مجتمع الصونغاي ...(3) .و معظم التشكيلات " السودانية " ، كبرنو" التي جاء الحديث عنها جدّ موجز ، أورده ج .ب .أندرو في أسطر قليلة ، مشيرا الى أنّ هؤلاء الأهالي هم أكثرها اسلاما .(4)

أما " بوصو" (بوزو) فقد جاء الحديث عنها أكثر تعقيدا ابتداءا من التسمية نفسها التي تعود الى " صوروغو" ؛ كتسمية أطلقها أهلها على انفسهم لتلائم في الغالب "صوروكو" الصونغاويين . في حين أنّ هذه التسمية من وحي أهالي "بنبرا" وأهالي "بوبو" المجاوران لها . يقع البوصاويون على سواحل جبال "باندياغرا" شرقا ، الى خط منتصف مونمبي "غربا . ثم من "سان" جنوبا الى غاية " سونمبي " شمالا ، داخل تجويف خليجي يشكل الجزء الرئيسي لدالتا النيجر .

SOLANGE DE GANEY: ASPECT DE MYTHOLOGIE ET DE SYMBOLISME BAMBARA. Cit.In. JOURNAL DE PSYCHOLOGIE NORMALE ET PATHOLOGIE.VIeme Année.P.U.F. Paris.1949.PG.181.

Les Dyerma et les Songhaï; leurs migration en sens inverse.Cit.Bull. du comité d'études historiques et scientifique de l'Afrique occident -ale Française.T.XIV. Janvier-Juin 1931.PG. 477-478.

Voir: Les Mythologies Soudanaises;Cercle de la Volta du Haut Niger et de l'Ouest Atlantique.In.Mythologie des montagnes,des forêts,des Iles.Librairie Larousse.Paris. 1963. P.239.

J.B.Andrews: Les Fontaines des Genies:"Sebâa Aoun;"Croyances soudan- aises à ALGER; ADOLPH.JOURDAN.-1903.P.15/17.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعتقد أهلها أنهم المثاليون لهذا الجزء و أن أسلافهم كانوا موجودين بها منذ عهود بعيدة .يمتد احتلالهم المجالي الي كل من "جيبني و "جناري" وجزء من "البوندوري" . ترتكز مهامهم على النقل من ضفاف الانهار و الصيد البحري والزراعة .تأكد معظم العشائر المذكورة و المجاورة للبوصاويين أنهم قدامى الارض و المياه ، وكانوا يطلقون على أنفسهم تسمية "صوروغو" لدلالتها لدى الصونغاي صيادوا البحر .كما يعتبر البوصا ويين في أعين امبراطوريات "المالي" و "الصونغاي" و "المغاربة" و "بول ماصينا" ، أو امبراطورية "فوطا" السينيغالية مجرد عبيد ، ولم تثيرهم و ضعيتهم كـ "لونو" ـ اذ يحبون العمل الشاق في املاك الدولة "بيت المال" ، برغم من تشكيلهم قوة بحرية مهمة في التموين و النقل . الى أن جاء الاسلام فحررهم من شقائهم و عبوديتهم و ساعدهم على الاختلاط بالجماعات الاساسية و الثانوية .(1)

كما يمكن أن نضيف الى الجماعات العرقية التي استقرت ببلادنا ، و تقاسمت نهايات الممارسة الدينية التي نحن بصددها ؛ مقاطعة "كاتسينا" النيجيرية . بحيث كانت تمثل منطقة عبور قديمة بين السودان و الساحل ، تخللتها معابر تجارية مختلفة الاتجاهات (2) . كما توالت على أراضيها حروب طاحنة خاضتها ضد جماعات "البول" . وكانت مسرحا "لحرب مقدسة" و ثورات منظمة و ناجحة بزعامة ملكها المنفى (3) . يشارك سكانها اللامتجانسون في نمط الحياة المشبع بتأثيرات و اختلاط الثقافات و العمران الضخم المستخدم كحصون و قلع خلال الحروب . كما يشاركون في نشاطات زراعة المحاصيل المعاشية و التجارية رغم طبيعة أراضيها الطينية و الرملية . أما تربية الماشية ، فهي مهمة من زاوية الديانات و المعتقدات . شأنها في هذا شأن تعلق نمط حياتها القصوى بالحياة ، و تذبذب كميتها التي نوعت من ارثها الاسطوري ، و الديني (4)

---

(1) MONTEIL Charles:"La Langue Bozo, population des pêcheurs du Niger" Cit.Cahier des religions Africaines . C.E.R.A. Vol. 13 . - 1979. Pg; 261-266.

(2) JACQUELINE Monfouga Nicolas:" Ambivalence et Culte de Possession". Edition. Anthropos; Paris;1972. P.18.

(3) JACQUELINE M.N: IBID. Pg. 24.

(4) JACQUELINE M.N: Ibid. Pg. 20.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موقع كاتسينا من وادي مارادي .

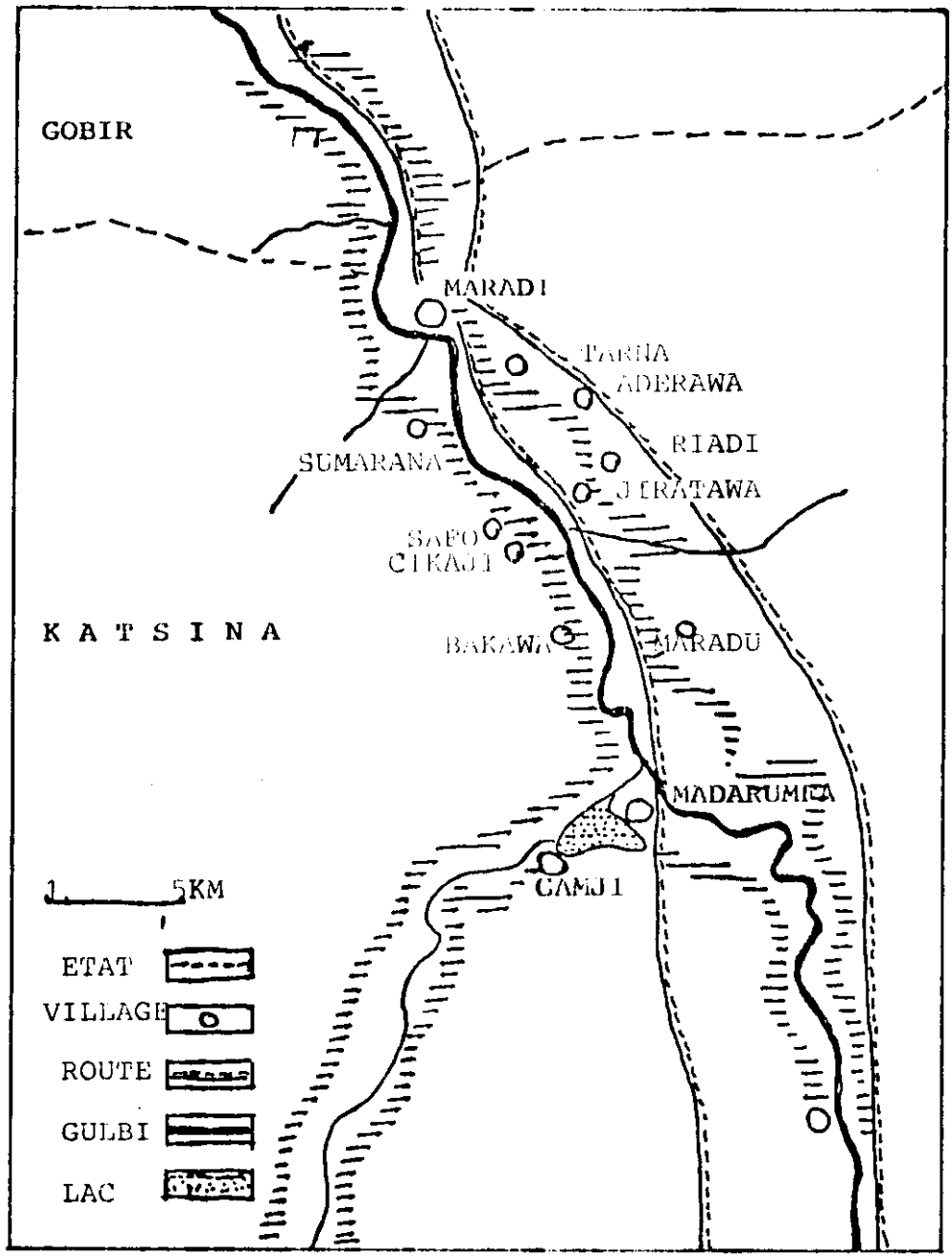

LA VALLEE DE MARADI

JAQUELINE MONFOUGA(N). 1972; P.16.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المقاطعة التي كان لنا الحظ في أن نتناول بعض محاورها بممارسة الديوان فتتمثل في " الحوصاويين " ، التي يشكل أهالي لغتها ، سكان غرب افريقيا و الجماعة العرقية المسيطرة في شمال نيجيريا . معظمها مسامون و لكن مساحة جريان الاساطير واسعة ، تفوق الى حد كبير الحدود العرقية (1) .

فرغم تشكلها من عدة جماعات وثنية ، الا أن المفخرة و التباهي الاجتماعيان مقرونان بالاسلام (2) ، توارثته الزعامة التقليدية عن سلطنة أقادا س، واثرت به على مجريات وكيفيات بناء المساكن .

ضف الى ذلك أن النظام السياسي و الاجتماعي يذكران في " حوصا " التشكيلات الاقطاعية الاوروبية ، انقسم المجتمع على اثرها الى ثلاثة طبقات ، الارستقراطية (تجار) ، مزارعون ، . . . . ثم العبيد ، هؤلاء كانوا يمثلون نصف السكان نظرا للظروف المتوترة و احتمالات وقوع أفراد السكان كأسرى ثم عبيد ، كما أن وضعيتهم الاجتماعية لم تغير من تقاليدهم وعاداتهم بالنسبة الاثرياء . (3) . بل بالعكس فقد بقيت اللغة و الثقافة تمثل عامة المجتمع " الحوصاوي " .

انطلاقا من هذا كله ، فان تبريرات علاقة " المحلات " بالظواهر السياسية و الاجتماعية أو الجغرافية التي عالجنا بعض نصوصها ، تأتي لتقييم و قياس ثبات المعطيات الانثروبولوجية و اللغوية في ممارسة " الديوان " و ما تحمله من ماض حركي ، وكذلك لوضع أصابعنا على زمنية التقاء " نمطين دينيين بكل موطن عرقي .

هنا بالذات نشير الى ملاحظتين تفسرلنا علاقة " الديوان " كممارسة دينية ، وهذه المادة التاريخية الخاصة بهذه الجماعات العرقية و انعكاسات هذه الاخيرة على ما يمكن أن نسميه " بالخطاب الاثنولوجي " .

---

(1) REISMAN PAUL : Mariage et vol du feu .Quelques categories de la pensée symbolique HAOUSSA.Cit.Revue Française d'Anthropologie.N04. Mouton & Co.Paris La Haye. 1966.PG.83.

(2) ECHARD Nicole:" L'Habitat traditionnel dans l'Ader (pays Haoussa) Republique du Niger. Cit. Revue française d'Anthro - pologie. T.VII. Mouton &co -Paris.La Haye.1967. Pg 49

(3) Reisman Paul : op. Cit .Pg.84

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولها ، انفجار و تشعب الصيغ العامة لسيرورة الجماعات العرقية التاريخية ، في المواضيع و الظواهر الأسطورية. مما يعطي للممارسة طابعها "الإعلامي" أو "الاحداثي" – تبرز وجود مجموعة من المعلومات بعيدة عن الموضوعية . و هي بذلك مهمة في ذاتيتها ، لأنها تمنح لنا الفرصة للاقتراب من كل بُنيّة ذهنية عرقيا و تسمح لنا بتركيب موضوعها المثّل و جوهر ثقافتها التحتية ،التي لا نعرف عنها شيئا كبيرا ، اذا ما وسّعنا نطاقها الديني في كل من مقاطعة " ڤورما " –

ثانيا : تتعلق هذه الملاحظة بالتقاء الجماعات العرقية المذكورة ، و المتباينة في تكوينها المرحلي و الاجتماعي حول نفس النسق التصوري في ممارسة "الديوان" ، و نفس الدلالات الأسطورية . الا التصورات العالقة بالشخصيات الرمزية ، و الاسنادات الاسمية لهذه تبرز كنقطة فصل و استيمولوجية معقدة الى حدّ ما . ولكنها تفيد دوما في وضعياتنا استعادة الهوية الثقافية و المنزلة داخل هذه الرموز . (1)

على كل حال ، لترميم ملاحظاتنا و العودة الى السيرورة الفعلية للتقاليد يمكن أن نشير الى أنه قد هيئت " المحلاّت " بكيفية ، يتحدّد مجالها بالمقدّس و تضبط الشخصيات الرمزية التي لايجوز اختراق و تحدي وجودها ثقافيا . كما تحظى بعناية و صيانة خاصة من لدن " المعلم " – لصدارته أعلى التنظيم الديني و الكفيل بالمحافظة عليها – بحيث يقوم بتطهيرها حسب معايير اعتقادية أيضا و أزمنة خاصة . بتزيين جدران " الكومانية " كمكان مميّز بخطورته لاحتوائه الجهاز الايديوديني أو باشعال الشموع و تعطيرها بأنواع البخور . . . .الخ .

كل هذه الرؤى المفصّلة ، سمحت لنا ملاحظة نوع الترتيب الذي تخضع له كل " دار " أو " محلّة " ، و التصنيف الذي يعني و يلعب دور الفاصل الاستيمولوجي بينها دلالة لانتماء و ثني و ألوهية تترجم طبيعة الطقوس الأصلية . تقضي بتعيين على رأس كل واحدة من " الديار " سيدا رمزيا لها / عليها يحمله و يتشخصه المعلم في ذاته كرئيس للمؤسسة . باعتباره الأكثر اندماجا و الثقافة التحتية و الطقوس الوثنية القديمة (2) كما تدرج عملياته ضمن نطاق "وكالة المحلاّت" و مؤلفاتها .

مؤلفات "المحلة" ، و أشكال التجسيم و الانضمام .

لا نعني بمؤلفات "المحلّة" عناصرها البشرية فحسب ، و انما كذلك أعضاءها المرموز اليها بأسماء ، ألوان ، أو شعارا خطابيا ، أو صفة . . . . تؤكل على كل واحدة . اذ لا تختلف كل " محلّة " عن غيرها من حيث التركيبة البشرية العرقية بل من حيث تصنيف الآلهات أو القوى الرمزية التي ترأسها ، و بمعنى أدق فانّ لكل تركيبة عرقية سيّدا خاصا و لواءا دينيا قديما ، ذكرا أم أنثى .

(1) E;Mveng.S.J: Essai d'anthropologie Negro-Africaine; cit.in - religion africaine et christianisme- colloque-INTERNATIONAL de KINSHASA. C.E.R.A.N°2- 1978 p.86

(2) JACQUELINE M. N/"Ambivalence et culte de possession." Ed;Anthropos. paris; 1972. P.59.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقـوم ببدور المدافع الخـفي ، و يحظى بعمليات تقديس توافق مصدره العرقي أو الأسطوري كمـا أنّ لوجودها الثقافـي تأثيرا على كل الحاجيات الداخلية للمؤسسة و المطالب الخارجية بحيث تعتبـر أساسية لاقـرار الوساطة و ايجـاد الحلول الاجتماعية .

فبالتنلي نعرضها بالنسبة لدار " حوصا " ، تمثلها شخصية " بابا انوى " ـ وتلك التي تمثـل " دار "كاتسينا تدعـى "بمقزاوي" . أما "دار" بنبـرا فتشخصها قـوى بحـريـة "بابا ڤورما" "صيـي صيـي" ، " موسى البحـري " ، " حمودة" ، أمّـا "محـلّة" صونغاي فتدخـل تحتطوائفها مجموعة من القـوى تسمـى " بأولاد سـرڤو " .

أما المتبقى من أسماء الشخصيات الاسطورية ، التي تبدو كأسياد رمزية على المؤسسات " سيدي علي " ، " سيدنا بوبكـر" ، " سليمانـي باري " ، " ريما " ، فتنتسب الـى فرع ثاني من مجمـوعة " حوصا " ـ هذا بغـض النظر عن الأسماء الأسطوريـة الأنثوية و غيرها ـ "لالا عيشة"(*) "لالا ميمـونة" ، " لالا مليكـة" .... و "جمنڤـرو" ، " سيدي مـنڤوق" ، " جـويتا " التي لم تستطع وضع انتماء قـدراتها داخـل اطار مـؤسـس معـيّن يدلنا على موطنها الأصلي . كما يبـدو اضافة لما سبـق ذكـره أنّ لكل سيد و قـوة رمـزية طريقة لتمديد وجودها . تجعل " المحلّات " دوما عامرة و مسكونة أو " سخـونـة" دلالة عن حرارة ديمومة قدراتها .بحيث لكل سيّـد تقنيات خـاصة لتلبية نزواتـه نزواته العابرة، و لكل واحـد منها أدواتـه لانجـاز خطوات التقـرّب و الاستعانة بها . عكسـا لما تطلعنا عليه بعض النظريات في عمليـة ممـارسة القدرات و أشكال الانتماء الى المؤسسة الدينية ، المبنية على الوراثة و الخلـوة ، أو عن طريق المـرض ، أو الانتخـاب ، أو الأحلام المنذرة بوقوع شـيء ما المندرجة فـي اطار الاثبات الاجتماعي (1)

عندئذ نستنتج من هذا كله أنّ ادارة "المحلات " نوعان ، ادارة مادية متكفّل بها الجماعات العرقية لتنفيذ الوعد و الاخلاص و ادارة روحانية "غير مرئيـة" تعطي " للمحـلّات" طابعها التـأسيسـي . أما سيادة المؤسسات العرقية و ادراكها كموطن أصلـي فتبقـى كعناصـر قاعدية للانتماء الديني ، تلخـص علاقة جدلية بين البنيـة الفوقيـة والتي تمثلها تصورات الجماعات و البنية التحتية الممثلـة فـي وكالة أصنـاف الخارقة كنسق تقنـي عملـي تستخـدمه نفـس التصورات .

(*) أنظر الملحـق رقـم ـ xxx ـ

(1) BOUTEILLER Marcelle:"Chamanisme et guerison magique" Ed;P.U.F. paris.1950. P.57

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي بذلك تلفت انتباهنا الى تكتّل واشتراك جملة من العناصر السوسيو- تاريخية العالقة بالمؤسسات الدينية كما أنّ " المحلّات" في هذا السياق تعتبر ضامنة للممارسات الدينية و استقرارا لعناصرها الثقافية . . . فهي تعتبر المجالات الوحيدة التي تنفذ شرعية التقديس، و الاطار الاسترجاعي للتكوين التاريخي و البناء العرقي أو بالأحرى فهي تمثل مدرسة ، تعيد تنشأة الأفراد داخل ظواهر المقدّس ما دامت لها ثوابت دينية سالفة (1) .

الى هذا المرمى ، فانه اذا كانت" المحلّات" اشارة أولية لمعاني " الوحدة" فانّ هذه المعاينة من جهة ثانية أملت علينا ملاحظة بعض الوحدات السلوكية و تركيبة العلاقات الاجتماعية التي تشتمل على سلسلة اصطلاحية : " كالحي"، " العائلة" ، " البركة" ، " القرابة" تتمو على اثرها ممارسة "الديوان" و يتبلور جوهر "الوحدة" ما دام الحزام الذي يشد هذه التصورات المفهومية واحد و يخضع لنمط رمزي موّحد .

بهذا جاء توقفنا عند هذه المجموعة السلوكية و العلاقات الاجتماعية ليوّضح أيضا أسس السيرورة الخارجية لـ" المحلّات" . وبمعنى آخر كيفية تنظيم الجماعات العرقية لعلاقاتها و القمواعد الخفية التي تحفظها أو تحركها .

مجتمع " الديوان" :

تقوم أسس السيرورة الدينية للممارسات داخل " المحلّات" أساسا على مجموعة من العلاقات و الروابط الاجتماعية ، تنتظم ضمنها سلوكات و وظائف الأفراد ، وفق قواعد متبادلة يتجاوب مجتمع "الديوان" و يواجه بها مختلف الظروف التي تعترضه سيما منها مواعيد الاحتفال و الحالات العلاجية الاستثنائية ؛ بحيث يستند تجمع أفراد مجتمع " الديوان" الى ما يمكن ان نطلق عليه "بالحدث التاريخي" (2) . الذي تمثله وضعيات الأحياء ومكانتها في تمديد نسق الذهنيات والسلالات ،

ففي العديد من الاحياء التي توقفنا عندها ، لوحظت "المحلات" وسط أحياء بناها أسلاف الأجيال الحالية، بطريقة متماسكة ومتصلة بعضها ببعض . و ذات مفهوم مجالي متفاعل مع البنية العائلية ، و الوظائف الاجتماعية المخصصة لها ، كما هو الشأن لمثال مدينة تيارت ، التي تقع بها "محلّة" " سيدي بلال" في حي كان يطلق عليه منذ الاحتلال اسم " حي السود"(*) أو في سعيدة التي توجد بها " محلّة العبيد" أو " قرابة عمروس"(**) دلالة عن نوعية البناء و ظروف السكن المادية . فعلى الرغم من قدمها الا أنها ما زالت تحتفظ طبيعة سلوكية متميزة عن تلك الموجودة بوسط المدن ، و تمثل علامات لحياة اجتماعية و روابط معنية ، تضفها تصورات مجتمع " الديوان" ، كعاملا محددا و مرجعيا .

---

(1)AUGE Marc:"Genie du Paganisme"; Ed.Gallimard; Paris.-1980.P.50

(2)ROBIN FOX:"Anthropologie de la Parenté";:Une Analyse de la consan -guinité et de l'Alliance.Coll.Les essais;Ed.Gallimard Paris . 1972.- P.91.

(*) "حي السود" (village Nègre) كانت تطلق على الأحياء السوداء القديمة للتمييز بينها وبين سكانها .

(**) "قرابة عمروس" : الا أن هذا الوقف صار مهددا بالتحطيم، لتحقيق مشاريع ادارية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على غرار الخصوصية المجالية لهذه الاحياء ، أي بين الممارسة و تصورات أفرادها ، يمكن أن نضيف عنصرا لا يقل أهمية عن سابقه ، و المتمثل في البنية العائلية داخل هذه الأحياء . اذ تتحدد العلاقات الاجتماعية ، بنمط قرابي و تركيبة عائلية خاصة ميزتها الأولى أنها عائلات ممتدة و متسعة . تنسب انحدارها لجدّ أكبر مشترك حتى و لو لم تكن سلسلة الانحدار معروفة و مضبوطة . بل تكتفي " بتاريخ حدسي " (1) تتقاسمه لغرب الغموض على العلاقة القرابية و تشبكات النسل وانتماءات الذرية .

البنية العائلية و مفهوم القرابة :

ان التركيبة العائلية لمجتمع " الديوان " و ان لم نركز عليها طويلا ، الا أننا نستطيع أن نجزم تكوينها من عدة جماعات تلتقي في سلسلة نسب موحدة ، و وحدة رابطتها الدموية تصادف وحدة اقامتها . مما يقودنا الى القول على حدّ صياغة روبين فوكس ، " أن اختيار تأسيس هذا النوع من القرابة ، ليس اعتباطيا بل هو نتيجة وضعية ملموسة . تسمح تناقل الخبرات بين الأجيال و من سلالة لأخرى (2) . تعكسها في " مجتمع الديوان " معاني العلاقة التي تعطيها العائلات لممارستها الدينية و احتفالاتها " بوعدة سيدي بلال " ، بحيث تعتبر " طقوس الأسلاف جزءا معبرا حقيقة عن نسق القرابة ما دام يشكل وسيلة ربط الأعضاء الأحياء بالأموات " (3) .

على هذا الأساس ، فإن كل الجماعات العرقية المكوّنة للعائلة ، مرتبة على قواعد أخوية يتصرف فيها الأفراد اجتماعيا بنفس الكيفية التي يعامل بها الفرد خاله و زوجة خاله ، او عمّه و ابناء عمّه . أما على مستوى خلافة المحتويات الدينية ، فليس ضروريا أن يرثها أبناء " المعلّم " بعد موته ، بل يمكن أن تفلت من أيديهم ليتسلمها الاكثر شهرة في تفكيك احكامها الدينية . اما الشيء الذي يبقى ثابتا ، فيتمثل في الوضعية الروحية التي يكتسبها الأبناء بحيث لا تنقص ولا ينخفض مقدار الاحترام و " التبرّك " بهم خلال الاحتفالات الدينية . كذلك بالنسبة للأم التي من شأنها الارتقاء الى صنف الجدّة للعائلة الكبيرة دلالة عن زيادة أموميتها .

لذلك فانّ للقرابة حيّزا ماديا داخل الحيّ و تكتسي أهمية بالغة في نظر البنيات الذهنية المكوّنة لها نظرا لطريقة تأسيسها (انحدار دموي ، انحدار سلفي ، بالرضاعة . . . .) .

---

(1) A.R.RADCLIFFE Brown:"STRUCTURES ET FONCTIONS DANS LA SOCIETE PRIM - ITIVE" Ed. Minuit. paris. 1968. P. 124/125

(2) ROBIN Fox ; OP. CIT .Pg 78.

(3) A.R. RAD CLIFFE Brown : OP. CIT. Pg 128/129.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى ضوء تباعد الاتحادات الدموية و الانتسابية زمنيا و تشابك الروابط و التحالفات. و مهما اختلفت أشكال القرابة كما يوجزها مارك أوجي ، " أن فردين متقاربين ، عندما يكون أحدهما منحدرا عن - رابطة نسب مباشرة - أو عندما ينحدر كلاهما من جدّ واحد في هذه الحالة تكون القرابة واقعية . كما يمكن الاعتقاد أن ثمة قرابة و التصرف وفقها حتى و لو لم تكن هناك روابط دموية حقة بينهما بل محددة فقط بتتابع النسب واقعيا . و أخيرا يمكن أن يكون في مستوى معين أسطوريا و ليس له واقعا الا في أذهان و وعي الأفراد ، و هو المهم باعتباره محددا لنمط سلوكي واقعي تتقاسم فيه أشكال تضامنية (تعاون ، تعامل ، احتفالات . . . .الخ) و تأسسه أفعال اجتماعية تصبح قابلة للملاحظة من الخارج " (1) . الا أنها توفر لنا الأسس السلوكية الخاصة بكل نوع و نمطا من الروابط الموجهة نحو اعادة التجمعات السابقة أكثر مما تكون " نية حسنة" . عندئذ ، يكون تفهم أدوار " المحلات" متعدّ للاطار الديني و القدسي ليشمل أنماط حياتية ، تحددها قوة الارتباط و الالتحام بين الأفراد الناتجة عن القوة السيكولوجية أو القوة الروحية .

على هذا الأساس يأتي تصور "المحلات" كمؤسسة دينية ، عاملا واقيا ، وحاجزا دفاعيا - تتجر اليها العائلات بواسطة الفروع المادية التي توفرها " المحلات" - " البركة" ، كانعكاس لراحة نفسية - أما اجتماعيا فهي تعمل على استعادة السلوكات التي تساعد على اجتماع الأفراد داخل هذا الاطار و كذا استرجاع التركيبة الأولية لأنساق و شبكة العلاقات الاجتماعية و التاريخية التي محقت ، أو صارت مهددة بالانحلال و التحطيم (2) .

ان الدور الذي تلعبه ممارسة " الديوان" و المكانة التي تحتلها في تكرارات المناسبات الدينية كافية لخوض العلاقات الاجتماعية و استمرار و تيرتها الترابطية . و لتوضيح أهميتها وكثافة جوهرها بالتي تخدم موضوع رابطتها . نستدل بهذه الوثيقة التي تحمل مبادرات و اسهامات ، قام بها أفراد " وصفان العراش" واد امزاب يوم : 19 جوان 1935 (3) . سجلت فيها نوعية المواد المستحضرة بقيمتها التجارية .

---

(1)AUGÉ Marc:"Les Domaines de parenté; Filliation/Alliance/Residence; Ed.F.Maspero.Paris. - 1975-P.10.

(2)CAZENEUVE-JEAN. 1971.In. Acculturation, conflit de valeur et utilisation des Rites en Algerie. TOUALBI .N. Thése de Doctorat T.1. Sorbone. 1981.

(3) - أنظر الوثيقة -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	350,00
	85,
	30,
	16,
	28,
	21,
	15,10
	3,
	1,
	1
	6
	2
	,50
	12,50
	3,
	7,
	45,
	60,
	3,00
	51,10
	60,00
	45,00
	825,60
	35,00
	790,60
	30
	820,6

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـدون شـك فانّ دلالات هـذه الوثيقـة تكمن فـي الالتزام اتجاه ممـارسـة " الديوان " و اتجـاه الانتماء الرمزي أو الفعلـي فـي آن واحـد كما لها من الدلالة أيضا ما يزيد ارتباط الجماعات العرقية لتشكيل بنيـة ذهنيـة مـوّحدة تخضع لنفـس المعاييـر و القيـم الرمزية و لنفس الأسـس المعنوية . فهـي باستثناء معناها الشكلي (موادها الغذائية، و قيمتها التجارية المتبرع بها) و الذي لا يقـل أهمية أيضا تبيّن شبكـة الروابط بين الجماعات عندما تكـون مـوّجهة الـى المؤسـس الأسطوري و التاريخـي . كما تعيد اثراء تصورات أفـرادها لمغـزى تجمعات الاسلاف و تغذية اعتباراتتنازلها من اجـل تصعيد و رفـع امتيازات ممـارسة " الديوان " .

على هـذا الأساس فانّ قراءة الوثيقة مرتبط بوحـدة الجماعات العرقية المتباينة اثنولغويا و لا يمكن تفسيرها الا من خلال بنياتها العاطفية و الالزامية المحـدّدة (1) اذ علـى جوهرهما الضمنـي لا تـؤخذ المساهمة المادية بعيـن الاعتبار و ليس تعليق الأسماء على قائمة هـو المحـدّد النهائي لسلوك العطاء فـي " ديوان سيدي بلال " . بل بالعكـس هناك من السلوكات التي تبدو أكثـر إسهاما فـي معنى تنازل الأفراد عـن يومـياتهم و تجـريد أنفسـهـم من كل دلالات الشعـور الفـردي لتسمـو الى عالم الاسلاف ، سواء كوساطات ، أو لحاجيات الجماعة و " العائلة " .

هذا الدور الذي نميـزه بالفني إذا مخصص لنخبة مصنّفة حسب وظيفتها الدينية أو شهرتهـا فـي عطائها و ابداعها لصالح الممـارسة . اذ تشكل الركـن الجوهـري في بناء " تشكونية " ممـارسة " الديوان " و الحبـل الواصل بين الجماعات العرقية و ثقافتها المـوّحدة . تتحكم في تسلسل النسـق التصوري و رموزه اللّغـوية و الخطابية ، بطريقة تجعل عمليـات التمثيل و تشخيص القـوى الخارقـة و الرمزية أكثر تعبيرا ، دالة بذلك عـن " ركـوب " القـوى الخارقة فـي ذوات اعضاء مجتمع " الديوان " .

الفـرقـة الموسيـقيـة :

كما سبق و ان ذكرنا فانها المسؤولة عن الجهاز الديني و الموسيقي و ادوات تفسير النسق و الدلالات التصورية فـي " الجذبـة " . وهذا النوع من الواجب الذي يُـؤهل منبعه من التكوينة السوسيو ـ تاريخية لمجتمع الديوان . حـريص على الرمزيـة داخل " المحلات " أوقات ممـارسة " الديوان " و تساهـم الى حـدّ كبيـر فـي التوفيـق بين التخليـد كظاهرة دينية و العلاج . نعرض تركيبتها الجماعية علـى المنوال التالـي :

---

(1) JACQUELINE MONFOUGUA NICOLAS:" Ambivalence et culte de posse-ssion"
Ed. Anthropos.Paris.1972. Pg.167.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"المعلم" : و هي الشخصية الرئيسية للفرقة و المستحوذة على ما أسميناه بالمعرفة الاجتماعية يعزف على آلة " القونمبري " .

القنـدوز: و هو ان صحّ التعبير ـ تلميذ " المعلم" و يعزف على آلة " القونمبري " و احيانا على آلة القوتي . والتي تشبه آلة الكمان ـ انظر الصورة ـ .

القنقارمـا: أو ما يسميه البعض الآخـر ـ بالكويوبانقو ـ و هو الذي يقول الكـلام و يغني " البراج " كسلسلـة خطابية .

المقـدم: هو الذي يقوم بالترحاب للزوار ، وصيانـة الجهـاز الايديو ـ ديني (ذبح ، تطهير . . .) كما يقوم بمرافقة الراقصين الجذابين من الجنس الذكري

الشـاوش : يعتبر مساعدا "للمقدّم" مع خصوصية في قبض الزيارات ، و تقـديم الشـاي ، أو القهـوة خـلال أوقات توقف الممارسة .

أولاد قرقابو: و يفوق عددهم (15) خمسة عشر فردا . و أحيانا يكون العدد حسب عـدد أزواج هـذه الآلات الايقاعية . مهمتهم ، تكرار أجزاء الخطاب بعـد الكويوبانقـو .

الكـركتـو: هـو الذي يضرب على الطبل في نفس الوقت الذي يعزف فيه "المعلـم" على " القونمبـري " . تختلـف هذه الطريقـة من جهـة الى أخـرى و مـن " محـلّـة" الـى أخـرى .

العـريفـة : و هـي الجنس النسـوي الوحيد الذي يشكـل عضوا مكملا للفـرقة . تقـوم بنفس مهـام " الشـاوش" اتجـاه النسـاء الزائـرات . ثـم من نشاطها الرئيسي ، أنها تتكفّـل بالنساء اللاتي تقمن "للجذبة" أو اللاتـي في طـور الانسيـاب و التسـبّب .

واضـح أنّـه يستحيـل تصـوّر مؤسسـة " ديوان سيدي بلال " دون هذه النخبة الفنية ، كما يستحيـل اعطـاء تعريف للمقـدّس و مناشدة حياة دينيـة أصيليـة فـي سياق خـارج عن ظواهـر الممـارسة . و عليـه فهـو يبدو كظاهـرة "مألوفة" و جـزء ضمني لا ينفصـل عن مجتمـع " الديوان" . تحـدّده مجموعة مـن المعاني الأنثروبولوجيـة و " سلوكات الامتثال " التي تستمـدّها من الأسطورة المؤسسـة و النسـق التصوري المحيط بـه ، و بذلك يكـون هـدف تفجيـر المقـدّس متعلـق بالا دلاء عن قيمة ممـارسة " الديوان" التاريخيـة و الثقافيـة . كما أنـه بانزلاقـه و توغّلـه الى هـذه المحطات النفسية و الروحيـة يتخـذ المقـدّس صـفة آلـة تعويـة و محلّـل لعمليات مراقبـة اللاوعـي العرقي (1) الذي تتنافس فيـه دلالات " العائلـة " باعتبـارها احسـاسا ، أكثـر مـا هـي تـركيبـة ترابطيـة .

(1) VERGER Pierre:Transe de possession religieuse;...In: Actes du II eme Rencontres Internationales de Nice:" De la fête à l'extase".Coll.VIDA;Ed.SERRE.24.28 AV.NICE 1985.- P.235.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النسق التصوّري و"الدين" في ممارسة "الديوان":

يمكن لنا قبل الغوص في اعماق هذا العنوان، أن نضع بعض التحديدات العملية لما جاء فيه، بغرض رسم اتجاه بحثنا المتعلق بممارسة "ديوان سيدي بلال". وبذلك ليس من حقنا ولا من صلاحياتنا أن نبني أرضيات مغلوطة. كما فعلت ذلك بعض التصورات النفسية و السوسيولوجية التي تناولها ايفان بريتشارد بالنقد، مفتعلين واقعا "سحريا"، أو "طوطميا"، أو "محظورا". أي كل ما يمكن من مفاهيم لتغطية البنية البدائية(1). وانما نسعى الى وضع الأطر العامة لواقع ملموس و تجريبي أصيل و متغيّر.

وعليه فان كل خطواتنا مبنية على التقارب و قراءة جدول الرموز و الدلالات التصورية وعلاقتها بشبكة العناصر التاريخية الملموسة و الفعلية التي تحدّد الظواهر الدينية وبمعنى آخر، فان محاولتنا في تفاصيل هذا القسم، تسعى الى تفادي الزخرفة، وتزييف بنية مجتمع "الديوان" العرقية. لتنصّب حول الفعل الديني المحدّد بعاملين لا ينفصلان: أحدهما تمثله الطقوس، والأخر تمثله الأسطورة (2)، لاحتوائها على عناصر ثقافة مجتمع "الديوان" و تاريخه الخاص. وفورما نعتبر أنّ "الديوان" "دين"، ينبغي أن نكون على يقظة باننا لا نعني نسقا عالميا، كالدين الاسلامي، والمسيحي (....) وانما تلك التصورات التي تبرّر مجرى الوحدات الاجتماعية. وتفسر معاني مؤسساتها، والتي تنفجر عنها تعددية الإلاه.

وبذلك يجوز للديوان أن يكون دينا، انطلاقا من العلاقة "المعقدة" التي يبديها مجتمع "الديوان" بالاله. هذا الأخير الذي من شأنه أخذ ظواهر مختلفة، ومواضيع شتّى، سيما منها مواضيع الأسلاف، التي تعتبر طقوسها جذورا للديانات(3).

في هذا الجزء الذي تلعب فيه "الأسلاف" و "الجنون"، و "الشخصيات الرمزية" و "الآلهات" دور الوساطة، أو غاية في حدّ ذاتها، يبرز النسق التصوري و دلالاته الاسطورية، كمحلّل للفعل الديني، و اجابة محتملة لارتباط الانسان كفرد بعمليات "نشوء الكون" (4).

---

(1) E.EVANS.PRITCHARD: "La religion des Primitifs: a travers les theories des Anthropologues. petite Bibliothéque Payot-1965 P.8.

(2) E;E;EVANS.PRITCHARD: Ibid.p.87.

(3) E.E.EVANS.PRITCHARD: Ibid.P.31.

(4). "نشوء الكون" ـ "و مصالح يرتكز على عرض بداية الكون ـ كما تعرفه "سوزان لالمان" في صور أسطورية مع استعماله لتحديد انقطاع الزمن الاصلي و تدخل "زمن جديد"، أو مرحلة تاريخية جديدة، تحتفظ بنفس مقومات ثقافة "نشوء الكون". اذ يكون التغيّر على مستوى الزمن، و ليس على مستوى الافكار و المعارف.

-SUZANNE LALLEMAND: Cosmologie et Cosmogonie. Cit. AUGE Marc. In; Construction du Monde.- Ed. P. Maspero. 1974. P. 20.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمستوياته المختلفة ومحاوره (ماء، نار، رياح، نبات، حيوان، معادن، سماء، أرض، .....) التي تعطي لسيرورة التاريخ زمانا ومحتوى . عندئذ يمثل النسق التصوري ، العقلانية الرمزية ،التي تنسق بين ديناميات اقرار الوساطة وبناء العالم الماورائي ، وتدجين نظريات القدرات .

يبدو أن تبرير هذه الابعاد ، وتحقيقها متوقف أساسا على موضوع " الديوان "أو رجل" الديوان " وكيفية تنظيم أحواله ، وأفكاره حتى من حيث سلوكه الديني ،اذ بهذه الطريقة ينظم خطواته ، وتسلسل تصوراته ، وتجاربه سواء بصفة رمزية أو واقعية : وبذلك فهو يضع منهاجا يوفق فيه بين ما هو طبيعي وعادي وما هو بعيد عن العقل ،أو ما يثير دهشة العقل . فيتخذ من أوقات الحاجة الى اثارة العقل ، أو الذاكرة وما تخفيه من ممارسات اعتقادية راسخة ،وسيلة للممارسات الاحتفالية مهما كان نوعها . وهو بذلك يقطع ،أو بالأحرى يفصل بين التراكم الزمني ، والمواضيع التي تملؤه ليميز بينها وبين محتوياتها . أو لتمثل حدا قاطعا يجمع بين الانتاج التصوري ، والحلول الرمزية : وفي هذا المعنى اذن : تعد اصطلاحات " المواسم " كأول دليل للبعد التصوري يستخدم لتنفيذ ممارسة احتفالية ضرورية لكل قياس تفصيلي وحسابي . اذ تسمح لنا بالتمييز بين ما هو دوري أو خطي .

الواقع أن توقفنا عند هذا المصطلح كان لأول وهلة يظهر من دون جدوى ،الا أنه بعد التمعن بدقة فيه صار لازما ربطه بمعظم التصورات والانساق الفكرية السارية في مجتمعنا ،وخلال الاحتفالات الدينية : وبذلك ظننا أنه بامكانه ان تجيبنا على تساؤل متعلق بهذا المفهوم ؟ ثم علاقته مع نظام الممارسة الدينية ؟ وهل هي مجرد نقاط بداية وانطلاقات لكل احتفال ،تدلنا على ظواهر قياسية وظرفية فقط ؟ أم هي (المواسم) تخضع لنظام روحاني عالي : وبالتالي مؤشر يعكس لنا مضامين تركيبية ، وخفايا تاريخية محددة في الزمان والمكان ؟

" المواسم " كمراجع زمنية ، وأسطورية :

ظاهريا، تبدو " المواسم " : التي تجري فيها الاحتفالات بممارسة " الديوان " كمناسبات وظروف زمنية أنها عديدة ومتنوعة : كليلة سبعتة وعشرين من شهر رمضان أو في النصف من نفس الشهر .وكذلك في ليلة المولد النبوي – أو في الخامس عشر من شعبان للعام الهجري – أو أحيانا في حالات يكون الاحتفال استثنائيا : كالذي كان يقام به في فصل الربيع بحيث في هذا الفصل ينتج محصول أو منتوج " الغول " ، اذ على اثر فاعلية وقوة الاعتقاد والايمان بتجربة هذا الحدث ،تعكف الجماعات العرقية الى منع استعلاك هذه المادة ،الا بعد أن يتم الاحتفال والقيام بممارسة " الديوان " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه بدت هذه المناسبة أو عرس " الفول " (1) الاستثنائية ، أنها ليست مجرد صفة لطقس زراعي وانما ترجع في تطبيقها الى حدث تصوري معاش ، يبعث الى عهد العبودية ، أو مرحلة التنقيل المجبر ، والتي كانت تسودها التفاتات الطبقية وتغيب العدالة الاجتماعية الى حدّ كبير ؛ هي تلك المرحلة التي كان يباع فيها الانسان ككائن بمقدار قيمته " حفنة فول " ، أو من " الملح " كمادتان كان يتقايض بها تجار البشر ، مما أدى الى أن يخصص لهما مكانا في سلم النسق التصوري بصفة استثنائية ، كمادتان تستعملان خلال التبادل ، أو كقيمتين تبادليتين .

يبدو أنه من المهم التوقف عند هذه الحالات الاستثنائية ؛ لأنها من جهة تشدّ انتباهنا حول الافتراض الذي يرمي الى البحث عما اذا كانت هذه " المواسم " ظروفا زمنية ، وبالتالي ظواهر قياسية للاختفال / أم أنها تفصيل لجوهر تشكوني وبالتالي تعبير عن تشكل السيرورة التاريخية ؟ . فمن الواضح أنّ الاهتمام بها يعني أنها لا تخفي طابعا اصطناعيا ، بل هي ظروف أصبحت تمثل حاجة اجتماعية ودينية تتميز بها كمواعد ، تتجمع فيها الجماعات العرقية ليصبح هدف القيام بممارسة " الديوان " مناسبة للاحتفال به وبموضوعه كمسعى مطلق واتجاه مجرد باطني .

وبالفعل بهذه الطريقة التسلسلية أو الترتيبية ، استطعنا أن نميز مناسبات أخرى احتفالية بممارسة " الديوان " ، لم تكن معززة بتحليلات تبيّن بصفة تركيبية ، وظيفة هذه التواريخ ومغزاها الجوهري ؛ مثال دراسة فيفيانا بناك (1954) ، أو دراسة ج.ب.أندرو (1903) ، أو دراسة ا.دارمينغام (1954) فلم تحدّد أهمية هذه " المواسم " أو المواعيد . كما لم توضّح اختيارات هذه التواريخ بالذات من دون غيرها ، للدلالة عن خصوصيات ممارسة " الديوان " من جهة والنسق التصوري القائم في البنيات الذهنية من جهة ثانية . لذلك كان توقفنا عندها لاثبات خط المواجهة اتجاه التأويلات ولتدعيم افتراضنا حول هذه المناسبات كمراجع " لتشوكون جديد "(*) نلاحظ أنّ هذا الجوهر الديني ليس خياليا ، وانما واقعا ماديا قدم تبريرات موضوعية مناسبة للاوضاع . خلّدها الانسان ليمجدها ويتشرع بها . ولعل مثال تصورات الاحتفال في ليلة السابع والعشرين من رمضان " لخير دليل عن أهمية هذا البعد الديني في تركيب النسق التصوري لممارسة " الديوان " ، لأن طبيعة جوهر هذا التاريخ متضمنة لرسالة وفكرة رمزية تعمل بصفة ديناميكية على مستوى المبدأ والبنية التصورية .... أليست ليلة " السابع والعشرين من رمضان " هي نفس الليلة المفضلة عند الله ككوة مطلقة ـ؟

(1) Emile Derminghem: "Le culte des saints dans l'Islam Maghrebin" Ed. :Gallimard, Paris 1954.PG. 402.

(*) ـ استعملنا مصطلح " تشوكون جديد " للدلالة أيضا عن استعادة لتسلسل المراحل التاريخية ، المنتجة من منظور شامل يستمد وجوده وتبريراته من وحدات المعتقدات والمعارف المرتبطة بالوسط الطبيعي والانساني ؛ ـ نفس المرجع السابق ـ
suzane lallemand : Cosmologie / Cosmogonie . Ibid.pg.20.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليست هي ذلك الموعد الذي يحمل في مغزاه ، و معناه صورة و فكرة " الملائكة " و " الروح " ؛ التي تعادل في المعنى العام الموكل للجنون كقوى خارقة خيّرة أم شريرة التي تنزل الى " الارض " في مدّة مثار اليها لا تتعدى " مطلع الفجر " . و هي عندئذ سلام على الاشخاص و العباد . (٨)

كل هذا معناه ، " أنّ الانسان ديني بطبعه " أو " كوني " (1) و نظن أنه من هذه الزاوية التي من المفروض أن تحلل أيضا سلوكاته و انفعلاته مقابل المبادئ ، و المعايير الروحية و الدينية . ففي هذه الليلة بالذات تخرج معظم الفئات الاجتماعية ، أو نسبيا (النساء) لتتعبأ لها في صورة صامتة و مجرّدة ، تنتقل بواسطتها من العالم المادي الى عالم الالوهية ، و التقديس ، تسطحها ممارسات تكميلية ، كاشعال الشموع و تطهير بعض الأماكن الخاصة بمواد التزيين (كالحنّة ، و البخور ، الجاوي .....) و رش الرائحة ، و اقرار التمنيات ، و طلب الرجاء من الله .

هنا تكمن على حسب ظننا بعض التشويعات ، و الالتباسات التي تحملها نظرية البناء الفوقي الماركسية في منحها الأسبقية الفعلية للبناء التحتي في تحديد طبيعة الممارسات . فهو محتمل جدّا أن يكون للبناء الفوقي بعدم ، ليس الدور المحدّد و المسيطر فحسب و انما يتعداه ليشمل دورا مثاليا لأنه يقدّم للحقل التصوّري و الفكري في علاقتهما بالمادي بنيتهما ، و هيكلهما كحوادث تجريبية و مفهومة .

اذن ، فهل يخضع مفهوم " الوعدة " لنفس المحتوى الديني و يستجيب له ؟ و بالتالي لنفس التصورات الايديولوجية ؟ الواقع أنه لمجرد تحليل هذا المفهوم و التعمق في جوانبه الجوهرية . نجد أنّ دلالاته الضمنية قادرة على أن تدلنا على صفة التجريد . اذ " الوعد " أو " العهد " لغويا ، و كمفردات منفردة تتركنا نتساءل : هي لمن ؟ أو موجهة الى من ؟ . و لاستنباط هذه المضامين الخفية و الجوانب المكوّنة للمفهوم و استخراج العناصر التي بامكانها أن تجيبنا على الافتراض المقترح ، ينبغي أن نتمحص في التطبيقات المادية ، و السيرورة الاستعمالية و الوظيفية لهذه الممارسة .

( ) ، سورة القدر – و آياتها الخمس . المكتبة التجارية . مصطفى الباز . دار الفكر . بيروت 1985 . ص-599 –

(1) JACQUELINE Monfouga- Nicolas :"Ambivalence et culte de possession". Editions - Anthropos. 1972. P.43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و في هذا السياق بالذات ، تختفي الشخصية " الموعودة" من طرف مجتمع " الديوان " - سيدي بلال - لترتقي بها الجماعات العرقية الى مستوى و هيئة الشخصية القادرة و المجهزة بكل مؤهلات القوة على تجسيد أشكال الانتماء ، و الكفيلة بالتمجيد ، بما أنها أكدّت وجودها بصفة ملموسة و تجريبية . تعبّر عنها في هيكل و بنية رمزية ، و تصورية ، و ذلك بتطبيع المحتوى العلاقي الذي يجمعها بالشخصية " الموعودة" بالاستعانة بالنسق الرمزي الحيواني (ثور ، طير ، ماعز ...) - و هي العلاقة التي سنتعرض لها فيما بعد - و تأكدها صورة الثور الأسود التي هي محدّدة كقناة لتنفيذ التقديس و الرابطة الاعتقادية الموضوعية بين شخصية " سيدنا بلال " و الثور الأسود ، وبذلك للدلالة عن الطابع التوافقي الباطني الذي تتخذه " الوعدة" جوهرا لها ، تقوم الجماعات العرقية على أساس الالزامية بتركيب و بناء العلاقة بالشخصية الموعودة " سيدي بلال " باعتبارها المجتدة لخلاصة مرحلة تاريخية و بين العناصر الموضوعة كمقنوات أنثروبولوجية لتدعيم خطوات التقديس و الوساطة .

لهذا فان مدلول استعمال الثور الاسود زمنيا يجيب عن مقتضيات تصورية و رمزية ، فهي لغة يتروّضها كل من شبّ فيها .

انّ توقفنا عن هذه الظروف الاحتفالية ، و تصنيفها عبارة عن مشهد واعي يستعمل لعدة اسقاطات نحصرها في محورين أولها منهجي ، يستهدف دراسة أبعاد البنية الذهنية في صفقاتها الذاتية ، و تطبيقاتها . أما المحور الثاني ، فهو متعلق بخصوصيات ممارسة " الديوان " كنسق ثقافي مزدوج متلاحم ، و مركب يسمح لنا بتمييز محتويات الظواهر المقدّسة ، و علاقتها بضرورة استعادة معنى الاستمرارية التاريخية ، المعبّر عنها داخل النسق التصوري بآلياته و أجهزته الايديولوجية (1) .

الجهاز الايديولوجي و تقنيات التقديس في " الديوان " :

يلعب الجهاز الايديولوجي داخل المؤسسات الدينية كمجتمع الديوان دورا بالغ الاهمية . فهو يتنوّع هياكله و أجهزته يقوم لخدمة الجماعات العرقية باعتبارها المتحكمة فيه ، و المؤهلة لتسييره و التي تمنحه اشارة التدخل أو الانسحاب ،

---

(1) - يمكن تعريف الجهاز الايديولوجي بتولج . رانسيار (1974) في عموميته و قبل تدخل مصطلح الصراع الطبقي و هو من هذه الزاوية ، يلتقي مع وجهة نظر ل . آلتوسير "للدّين" ، اذ يتساءل ما اذا كان الدين هو الشكل الحقيقي و الصافي للمجتمعات البدائية عند غياب الطبقات . على غرار الايديولوجيا و أجهزتها " اذ الدين عنده " هو الوجه البريء للايديولوجيا . و لن يتسنى للدين بلوغ الصفاء ، الا في اطار المجتمعات بدون ايديولوجية الطبقات .

AUGE (Marc) ; Religion et idéologie" ارجع الى "الدين و الايديولوجيا
in : Genie du paganisme ; edition Gallimard, 1982.- pp.36-40

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما ترجع وظيفته الى تمتين و انسجام قواعد ممارسة " الديوان " من جهة ، و اعادة انتاج نفس تأويلات النسق التصوري كسياق شامل من جهة ثانية . و هو بهذه الحالة يسير بصفة موازية مع القوى الخارقة المختلفة و القوى الثانوية . مهمته كجهاز تمكن في التحاور و اقرار الوساطة ، أو على توجيه قنوات و خطوات الوساطة التي تعتمدها الجماعات العرقية . و تعميم جوانب القداسة و الاحترام ، كأوجه خارجية للتحليل . وعلاوة على هذا ، يقوم هدف الجهاز الايديولوجي و تقنيات التقديس للالتماس و التقرب من النظرة المجردة التي تمنحها هذه الجماعات العرقية للسيرورة التاريخية و تشكيل المجتمع العرقي أو تأسيس الشخصية العرقية و التي تعبّر عنها في جوهر رمزي متواصل عوضا من أن يقوم من أجل ضرورة تعسفية و قهرية تخدم مصلحة المسيطرين ـ وكأنّ مسؤولية تقنيات التقديس الموضوعة لتعزيز النسق التصوري في " الديوان " هي في نفس الوقت مسؤولية نزوله / صعوده ـ نزوله في حالة تطبيقه و ممارسته ماديا ، أما صعوده ، فكنسق أو مجموعة من التصورات و الافكار التي تحملها الجماعات العرقية و القابلة للملاحظة . ما دام نزول و صعود النسق التصوري مضمونان و متوفران ، كلما التقيا بالظروف الزمنية الواردة بمضمونها المرجعي . ففي العديد من المرات يبقى الجهاز الايديولوجي غامضا ، و تقنيات التقديس بدون مخرج لها ، لولا ترديدات مناسبة الاحتفال ، و قيام " الديوان " ، باعتبارها ضرورية للتعبير عن أشكال التأهيل و التحكم في القدرات .

انّ اتباع وجهات نظر كل من ل . ألتوسير و م . آلياد : سواء في تمييز حدود " الدين " عن الايديولوجية و أجهزتها أو في استخلاص تصوّر نشوء الكون و تركيبه ، هي محاولة نبتغي ضمنها تحليل النسق التصوري و التقرّب أكثر فأكثر من مستوياته و محاوره الخفية و المعمول بها في ممارسة الديوان واقامة العلاقات الممكنة لتفسيره بحيث أن مساعينا تستهدف التوغل الى أعماق عالم الرموز ، والاستفهام حول تنفيذ الانتقال الذي تستغرقه التقنيات من صورة ادوات صامتة و جامدة و بالتالي كلوحات فنية الى مرحلة التقنيات الفعالة التي تضمن و تمنح القدرة لمجتمع " الديوان " . هنا نتدخل قليلا ، لنتخذ من بعض وسائل التقرب من القوة المطلقة و الشخصيات التابعة لها ، نماذجا لتحليل و وصف العلاقات الرمزية و مؤشرات لالتماس بنيات هذه الرمزية في مثل هذه الممارسات .

ففي كل مناسبة احتفالية أو " موسم " تخرج الجماعات العرقية بالثور الأسود لتقوم بجولتها المعتادة اعلانا عن قدوم موعد الاحتفال ، وكطريقة للاقتصاد في تحضيرها بالاسعامات الممكنة . و عند عودتها الى المحلّة الرئيسية ، تتعاون الجماعات فيما بينها لتطهيرها ، و ذلك باشعال الشموع في أركانها و تزيينها بواسطة البخور و المواد المخصصة لذلك كالجاوي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في انتظار حضور الاخصائيين في ذبح الثور الاسود ، و الذين هم من نفس " المحلّة" أو من "محلّة" أخرى ـ ولكنهم ليسوا خارجين عن الجماعات العرقية أصلا ـ بحيث عند التحاقهم بالجماعات و بعد التحية للأفراد الحاضرين يشرعون في الوضوء . كمرحلة تطهيرية ذاتية ثم يحضّر لهم " المقدم" أول أدوات الذبح وكل مستلزمات هذه العملية . فيخرج طبقا متوسط الحجم ؛ فيه مأزران أو ثلاث ، وعلبة من " الحنّة" ، و شموع بيضاء طويلة نوعا ما ، و ملعقة من الخشب ، وصحنا مجوّفا تقريبا ، نوعا من البخور المخصص لهذا الاجراء . و أخيرا سكينين أو ثلاث متوسط الطول و حادين ؛ يشرّع " المقدم" أولا خلالها في تمرير المأزران على البخور الخاص ، ثم يلبسهما للذباحين ، و بعدها يمنح لهما السكاكين بعد تطهيرها هي أيضا بالبخور الذي يتخلله بطريقة متقاطعة .

اذ يتسلمها الذباحون عن طريق الفم ، يمسكونها لمدة تطهير الثور الاسود . اذ في أثناء ذلك يضع "الشاوش" على رأس الحيوان الى غاية ذيله كمية من الحنّة مقتطعا كذلك العمادة على الجهة الظهرية للحيوان ليرسم شكل "صليب" ثم في رجليه الاربعة . بعدها يحاول "الشاوش" و أخصائيّ الذبيحة تمرير جرعات من الحليب في فمّ الحيوان الاسود ، بواسطة ملعقة خشبية . ليشرب فيما بعد الذباحين جرعات أخرى ، ثم يمرّر باقي الحليب على الحضيرة .

مباشرة بعد ذلك يساق الثور الى الساحة الكبيرة ، يوجّه اتجاه القبلة ، حيث تكون الشموع الكبيرة مشعلة في أركان الساحة كمركز توجيه رمزي و فعلي في آن واحد . تنتهي اجراءات التقديس بعد سقوط الثور الاسود ، بقدوم "العريفة" الى الحيوان فتغمس أصابعها في ذلك الدّم ، ثم لتمسح على جبين الاطفال و تحت أذنيهم .

أما النساء ، فمنهنّ من ترغب أن يمسح الدمّ على حزامها أو على مستوى بطنها امتثالا لتلبية موضوع وجودها في المحلّة .... و منهن من تأخذ نصيبا من البخور الخاص برمزية موضوع حظورها .

داخل هذه العلاقات الالوهية ، تجدر الاشارة الى أنّ نساء الجماعة العرقية المنظمة تكون في تأهب تام لتحضير الطعام المناسب لليالي قيام ممارستهن ، اذ يحضّر في الليلة الاولى مأكولا يطلق عليه اسم "الدرنو" الذي هو مزيج من الارز المطهي و الحليب ، يضاف اليهما قليل من السكر و السمن الطبيعي يوزّع منه على الزوار .

عند هذا القدر ، يبدو أنّ ممارسة "الديوان" تقوم على نسق تقني منسجم ومنطق خاص ، يبرر بنيات الممارسة و جوانبها النظرية و الاستعراضية لحقيقة ايديولوجية ( ) .

(*) Mercier Paul :"Histoire de L'Anthropologie". CIT.IN. CONSTRUCtion au Monde:Religion/Representation/Ideologie ; marc Auge: Ed.F.Maspero.PARIS.1974.P.95

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحيث أن اشكالية هذه الحقيقة ، هي أيضا أنثروبولوجية يحدد هانوع موسيقي سنتعرض له في الأقسام اللاحقة ـ مخصص لهذا اليوم الأول ، تدعوه عامة الجماعات العرقية بـ " الكويو " دلالة عن صيغة طرب و ايقاعات صوتية تأتي من فعل دقات الطبول و أزواج " القرقابو " . تستحضرها الجماعات بصفة منسجمة و فنية ، في شكل حلقات مستديرة يتوسطها الحيوان الأسود و كذا المجموعة العازفة .

يتمتع هذا النمط الموسيقي بشعبية و قبول واسع يصل الى حد الاعجاب لأنه يرتكز خصوصا على خفة ضربات الأرجل و سرعة ارتفاعها من مكان لآخر ، وفي كل الاتجاهات من دون الاخلال بالنظام الايقاعي . اذ تخطر العناصر المكونة للمجموعة في طريقتها الاستعراضية ، الى الرقص و اللعب بأزواج " القرقابو " و استحضار الخطاب ـ الذي سنتعرض له بصفة دقيقة في الأقسام اللاحقة ـ مستهلين هذه البدايات ، بذكر الشخصيات المقدسة و الرمزية ، وعلى رأسها شخصية " سيدي بلال " .

أما في اليوم الموالي ، فتجتمع الجماعات من جديد في " المحلة " للاعلان الفعلي و الرسمي " للوعدة " . فتستقيم الجماعة التي تمثل الفرقة الموسيقية في شكل نصف دائري ، فاسحين المجال للراقصين (الجذابين) . اذ يعلن عن هذه البداية ٣ لمعلم " بتلاوة أو قراءة الشهادة أولى ، و بعدها يخرج " المقدم " ، أو " الشاوش " ما أسميناه بالجهاز الايديو ـ ديني ، والذي يتمثل في طبق كبير الى حد ما ، توجد به أنواع متباينة من البخور و المصنفة على أصناف القوى الخارقة و الرمزية ليستعمل كل صنف منها حسب طبيعة القوى الساكنة ، أوالمراد تمثيلها .

وللتوضيح أكثر ، نضرب هذا الجدول العام ، الذي يستهدف ابراز الأنواع المختلفة لمادة " الجاوي " كاحدى و أولى التقنيات المستخدمة في ممارسة " الديوان " و علاقتها بعمليات تجسيم الشخصيات الرمزية .

المادة ..	لونها	استعمالاتها العرقية رمزيا
الجاوي	أبيض	بابا حمودة / سيدي عبد القادر / سيدي علي / ...
= =	أسود	سرقو / جناي / بوري / مكيري / جاطو / مقزاوي / .
= =	بني	لالا ميمونة / لالا عيشة / لالا مليكة / .....
= =	رمادي	مكيري .....
المسك	بني	يستعمل أحيانا في حالات النشوة
عود " القماري "	رمادي	يستعمل غالبا عند استرجاع الحالة الطبيعية

جدول رقم ـ 1 ـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يحتوي الطبق على مجموعة من الأدوات و التقنيات المحددة ضمن النسق التصوري العام ، تتمثل في " السبحة " و عصا طويلة نوعا ما ، و قطعة جلد خروف (النهيدورة) تتماشى في كليتها للدلالة عن استحضار للشخصية الرمزية : " سيدي عبد القادر التيجاني " .

كما نجد في الطبق أيضا قطعة حجرية بيضاء ، يصل وزنها تقريبا الى الكيلوغرامين أو أكثر ، يمثل بها شخصية " سيدي علي " . و ملعقة خشبية كبيرة تستعمل لخلط الطعام بصفة عامة كما يستفاد منها ايضا لخلط " الرويبة " . . . عند تجسيد شخصية " بابا حمودة " . هذه الشخصية التي في اثناء الرقص عليها يقوم "المقدم" بتحضيرها وذلك بمزج : الرويبة + سكر + ماء الزهر . . .
ولعل هذه النماذج الصورية لخير دليل و تعبير عن الاستعمالات الرمزية ، و التي تخفي اسلوبا خاصا لاعادة تقييم أو تقويم الذات الفردية و الشخصيات الرمزية كظواهر و تجارب ملموسة تعكس بصفة مطلقة النسق التصوري كركن من الاركان الاساسية لممارسة " الديوان " و ادارة " المحلات " .

( ) ـ أنظر مجموعة الصور ـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيما يتعلق بالالبسة و البدل ، فهي عديدة و متنوّعة توضع في مكان آخر عوض الطبق ؛ قد يكون صندوقا ضخما ؛ كالذي كانت تملكه العائلة الجزائرية في القصبة ، و الذي كان يستعمل لادخار المواد الاستهلاكية . اذ تخبئ فيه الالبسة و يساير استعمالها في ممارسة " الديوان " نشاطا تصوريا بكامله . فهي متشابهة في كيفية لباسها و وضعها على الراقص و لكنها مختلفة في طريقة خياطتها تكمن هذه الاختلافات في طريقة وضع الرسومات و المعاني الصامتة التي تحملها البيانات .

و لهذا التنوّع الذي تعرفه الالبسة ، ركبنا جدولا نصنّف فيه أنواع الالبسة حسب لونها و استعمالاتها الرمزية للتشخيص .

المادة	لونها	استعمالاتها الرمزية
برنيوس	أحمر	بابا حمودة
=	أبيض	سيدي عبد القادر
=	أخضر	سيدي أحمد التيجاني .
=	أزرق	سيدي علي
=	أسود	" سرقوز " + " مقزاوى "
=	برتقالي	" لالا مليكة "
=	بني	" لالا ميمونة " . سلطان ڤناوى .
=	بنفسجي	" لالا حويي "
=	وردي	" لالا عائشة " .

واضح أنّ مادة الالبسة واحدة و متشابهة في حين أنّ لونها و استعمالاتها الرمزية كمتغيرات مستقلة تبقى مختلفة لانّ قائمة النسق التصوري لا زالت طويلة لذلك فانّ هذه العملية مقصودة و يعدّ التصنيف هنا وسيلة منهجية لربط كل عنصر بالوظيفة المخصصة له .

و واضح أنّ وظيفة هذه الألبسة موحّدة تقريبا ، تكمن في تمثيل الشخصية المراد تجسيدها و تخليدها في آن واحد . اذ من خلالها يتجرد الشخص (الجذاب) من هويته حتى اسمه العادي لينتقل الى إعادة احياء الاسم الرمزي للشخصية التي يحملها (1) . هذا الانتقال تساهم فيه الالبسة و البدل بصفة أكثرها دينية . بحيث تسعى الى توسيع نطاق التقديس و تعيين رابطة الانتماء بانواعها المختلفة .

(1) Lévistrauss Claude:"La Pensee Sauvage " Edition; Plon;Paris; 1962 . Pg173.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و تكملة للمضامين الروحية في ادارة " المحلات" بصفة خاصة ، وكمنطلق لتعيين النسق التصوري يتضمن الطبق ايضا مجموعة أسواط مزدوجة ، يتراوح عددها من (4) الى (8) أزواج ، مصنوعة من العضو الجنسي للثور الاسود يتم ظفرها و تجفيفها مسبقا و أصلا تستعمل عادة حينما يدخل الراقص حالته النشوية يضرب بها جسمه دون أن تلاحظ عليه آثارا لها و لا يبدي آلاما من قساوتها . و لنفس الاجراءات يلاحظ في الطبق أزواج من السكاكين تعتمد عليها الجماعات العرقية " ثورما" . للرقص بها و تمثيل الشخصية الرمزية المتمثلة في " مولاي ابراهيما" . اذ تجدها (أزواج السكاكين) مغلفة بقطعة قماش أحمر . لا يمكن أن يتسلمها الراقص ، الا بعد أن يتمعّن و يترجم بعض الشبكات الاتصالية مع النسق التصوري ليتجنب من خلالها كل شكوك الاعتداء على حدود القوى الخارقة أو عدم احترام قواعد التنفيذ لاوامرها أو مستلزماتها الرمزية . بحيث يأتي " المقدم" الى الراقص ، فيرفع له ثيابه الى صدره و يمسكها له بواسطة قطعة قماش أو حزام أحمر ، ثم يضع في الموقد المشعول مادة الجاوي المخصصة لاستعمالات هذه الجماعة العرقية فتنبعث من الموقد رائحة مميزة ، فيمرّرها على جسم الراقص و خاصة على مستوى بطنه ، ثم يأخذ أيضا تلك السكاكين ، فيمرّرها هي الاخرى تحت هذه الروائح كعملية تطهيرية ، و بطريقة تتقاطع فيها الايادي لتشكيل شبه "صليب" يسلم الجذاب على الجماعة المنتجة للايقاعات ، و ذلك بتحيات في شكل تتقاطع اليدين ، ثم يتهيأ الجذاب لاستلام السكاكين من " المقدم" ، و لكن يكون في اتجاه عكس اتجاه " المقدم" . أي أنهما لا يلتقيان وجها لوجه لاستلام السكاكين ، و انما عكسيا و على طريقة تصورية ، ولمجرد الانتهاء من التسليم كتحية للجماعة يبدأ (الجذاب) في الرقص لمدة معينة ، يتهيأ خلالها احتراف فن الجذبة و تمثيل الموضوع الأسطوري و ذلك بضرب جسمه ، على مستوى بطنه بتلك السكاكين . عدة مرات متتالية و بكل قوة ، من دون أن يترك آثارا لوجود الدم ، تحسه في ذلك الايقاعات الموسيقية و درجاتها المتفاوتة .

أما الحديث عن " الصاطورات" و التي نجدها أيضا ضمن الطبق ، أو معلقة على جدران " المحلة " الى جانب الأدوات الأخرى ، فهي مخصصة لجماعة من القوى الخارقة (الجنون) تدعى بـ " مڤزاوى "(1)
تمثلها ثلاثة أصناف من القوى الرمزية : - سرقو - مكيري - جاطو - و يتمتع كل واحد منها بنظامه التصوري و القدسي الخاص و الذي يسمح اقرار الوساطة و التقرب من القوة المطلقة .

بدليل أنه خلال عمليات تشخيص و الرقص على "مكيري" - صياد ، فارس - تحضر كمية من الرماد ، في الوقت الذي يتأهب فيه الجذاب بلوغ الموضوع الأسطوري . ليدّهن بها له " المقدم " الوجه و الاطراف ، دلالة عن طريقة التمويه و التحيل في الاصطياد المعتمدة من طرف الجماعة العرقية أصلا .

(1) Derminghem Emile: Leccult des saint dans l'Islam maghrebin. Edition.Gallimard; paris;PG. 343

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما عن معاني الرماح ، المخصصة لتمثيل شخصية - سرقو - كفئة من القوى الخارقة "الخلاوية" و الغير مستقرة ، فهي ترمي في مضمونها الوظيفي الى نشاط الصيد و الحروب ، وتندرج ضمن وسائل انتاج جماعة الطوارق (1)
تتم عمليات تمثيل هذه الصورة العامة للمسار التاريخي الذي عرفته الجماعات العرقية و تذكرها للتأثيرات التي فرضتها عليها قبائل الطوارق ، باتخاذ اللباس الأسود و المتقاطع بقطع قماش بيضاء، سبيلا لاعادة تجسيم و تكرار وضعية اجتماعية و سياسية اختزنتها ضمن السلسلة الأدبية لممارسة "الديوان" ، لتعيد احيائها في هيكل رمزي مليء" بالخيال المروّع .
بحيث تنتهي حركات" الجذاب" في هذه القطعة الأسطورية بتناول كميات من "الخمر" - ببق مفجي جمركي - الذي استبدل بشرب الحليب أو الليموناذ تمييزا بين الحرام و الحلال . يفيد أستعماله في هذا " البرج " كشرط لتمثيل الشخصية الرمزية أو " الجان" ، للدلالة عن ربيط " الخمر" بالمواد المتقايض بها .

من هنا تبرز أهمية النسق التصوري الذي تقوم عليه ممارسة " الديوان" في كونها احداثية ، أواعلامية مبنية على أساس وظيفة الحدث أو التجربة التاريخية و يتضح بذلك ان دور الجهاز الايديو - ديني ، يمكن في اقرار عمليات معرفة الذات من خلال المواضيع الممثلة ، و يبرز روابط الجماعات العرقية بالشخصيات الاسطورية و المقدسة عبر مجموعة من الاشارات ، و تقنيات" الجذبة" . لذلك، فان هذه التقنيات هي أكثر انعكاسا لمحتويات المتغيرة السوسيو - ثقافية التي تعنيها الجماعة العرقيةوالتي توظف على اثرها ديناميكية الذوات الخارقة .

" فالجنون" ، قبل أن تكون تعبيرا رمزيا فهي معرّفة بوساطتها ، اذ تعمل على تنقيل الخطاب الاجتماعي أو الموضوع الاجتماعي . كما بامكانها أن تصبح قوة مطلقة في نفس الوقت لقصور قوتها و الايمان بها . كما أن علاقة مجتمع "الديوان" بهذا التوظيف النسقي الباطني و الخفي يمكن اعتبارها دلالة لانتماء سلفي تتغيّر على اثره مكانة الاسلاف ، لترقى الى مستوى الالوهية . كل هذا من أجل استخلاص ملاحظة قلما انتبهنا اليها متعلق بتعددية صوّر الوساطة ، الكائنة بين الانسان و القوة المطلقة . تتجزها سلسلة من الاشكال الرمزية كالألوان ؛ الاحمر ، الاسود ، الاخضر ، الازرق .... أنواع التدخين و أشكال البدّل ، و غيرها من لوازم و تقنيات المراحل الانتقالية التي يمر بها " الجذاب" في مجتمع " الديوان" ، كرغبة لاستعادة ما يربطه بالموضوع المقصود تمثيله ، أو ما يميّزه عن الآخرين من حيث تكوينه الداخلي و العميق .

(*) Exemple des "Reguibates" qui chargeaient des enfants de 7 à 8 ans ; pour les vendre ou troquer au Souk de Timimoun - Ibid. pg.349.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي نفس معنى تعددية صوّر الوساطة التي يتخذها الجهاز الايديو ـ ديني لتمديد الزمن القدسي ، والارتقاء الى مستويات الاشارة المجردة . هناك أيضا حلقة الحيوانات ؛ فهي أيضا تحظى بنطاق واسع ومجالا تصوّريا فريد من نوعه اذ كما جاء على حدّ تعبير بول فردي ؛ "انّ الحيوان بامكانه أن يصبح الاهما من فترة أعين مفتوحة الى غاية اغماضها" (1) . اذ في هذه الزمانية المقدسة التي يقطعها "الجذاب" تنفجر مادية علاقة الانسان بالحيوان لتتعدى وظيفة القربان وتدخل مجال التمثيل باتخاذ جلود هذه الحيوانات كأقنعة ، أوألبسة يضعها الراقص لتمثيل الفريسة التي يرغب اقتناصها .

وهي بذلك تمثل شرطا آساسيا لاجراءات الزمن المقدّس والوسيلة التي بامكانها التعبير عن ابعاد مجردة (2) . وبالتالي فهي في هذا السياق الباطني اذن، تساهم في تسطير محتوى التجارب المعاشة وطبيعة نمط العيش الاولي . كما أنها ترفع من مستوى البناء التصوري والاسطوري للموضوع الممثل سواء عن طريق الوظيفة البيولوجية أو الدينية وذلك بتمتين مواقف البرهنة على امتلاك " نظريات القدرات" (*) . وضمان الأسس الروحية لممارسة " الديوان" .

واذا كانت هذه العلاقة معاشة سلفيا ، وبالتالي توحي الى نوع من الارتباط الدفاعي وتعبيرا عن رابطة طوطمية . فانها ايضا تمثل حلقة إرتباط قبلي تحذو بها حذو اللوازم الايديولوجية لانتاج التقديس، والارتفاع الى مستويات الزمن السلفي ، بتطبيقاته الملموسة . ومن هذه الزاوية يبدو جليا أنّ " الديوان" في نهاية المطاف تاريخ ، أوعلى الاقل متضمن لبقايا تاريخية .

بهذا يلخص لنا مارك أوجي هذه النظرة بقوله ؛ " بأنّ هذه الانساق لاتمثل نظريات فلسفية ، وانما بناءات تشكل عالما ماديا " حدسي" قابلة للتواصل ، لانها تعتبر سوسيولوجيا كيانات ووحدات نمط ديني وتاريخي " ...(3) .

هذا التاريخ ، يمكن ترجمته ، كما وضحت ذلك نظريات المقدس اسطوريا ، لاستعابه التكوين المرحلي للجماعات العرقية وبالتالي استمراريتها الانثروبولوجية .

---

(1) VERDIER PAUL :"Transe et possession dans le conte populaire celte" In.2eme Rencontres Internationales de Nice .Coll.Vida. Ed. Serre. 34.28.AV .1985 .Pg.339

(2) Zemplini Andras:" possession et sacrifice" Ibid. Pg.251

(*) ـ "نظريات القدرات" مأخوذة عن كتاب مارك أوجي ؛ "Theories des pouvoirs"

Theories des pouvoirs et ideologie :Etudes de cas en Cote d'Ivoir. Coll. Savoir. Paris . 1975.Pg 180.

(3) Auge Marc :"Legende du paganisme " - Edition; Gallimard . Paris . Pg. 103/104

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و بذلك، فان" احترام المقاييس التطبيقية لمحاور الزمن الأسطوري ، وتنفيذ معايير الانتقال التي يخدمهـــا النسق الديني في ممارسة" الديوان" ، هـو بمثابة تجـــديد لتأكيد الذات الفردية و الوعي العرقي فـي الاسطورة و امتثالية انماطها المثالـــي الذي تتضمنـــه جوهريا .

هذا ما تفسره لنا على كل حـــال ، عبارات ، " الراحة" ، " صبـتروحي " ، " ارتحث . . كجملة من الدلالات التي تلخص اتجاهات الاضطراب و طبيعة محتوياته و تنسيقهـــا بالحلول الممثلة في وحدة القوى اللاطبيعية التي تشكل وقتئـــذ ، مهوئة ثقافيـــة و دينية لاشكـال الظغوط التي يفرضها الخيال الاجتماعي موتطبيقات ما أوجده المحيط مـن قنوات دفاعية مختلفة (1) تتلائـم و الاستعدادات الفوقية و تجيب عـن التفضيل فـــي الاستعانة بالرموز و الانساق التصوريـــة .

(1) FRANTZ Fanon "LA SOCIOLOGIE D'UNE REVOLUTION" -Coll.F.Maspero. Paris. 1982.Pg. 117.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجذبة : تضارب في النسق النفساني ، ام حلقة تمثيل ثقافي ؟

ان الحديث عن " الجذبة " في ديوان سيدي بلال ، كأننا نتحدث عن نواة ايـة مادة طبيعية . سواء من حيث تفاعلها مع الجزيئـات الأخرى ، أو لدورها الديناميكي في انتاج الشكل النهائي الناتج .

فمكانتها أساسية في نظر الجماعات العرقية ، لغنى واستخـلاص محتويات الجهاز الايديو ـ ديني والنسق التصوري ، اللذان تفجره مـا في مجموع رموز جسمانية .

كما انه ليس من السهل معرفة الظرف الذي يلتقي فيه المفهوم الاسطـوري كمادة اعتقادية ، والوسائل التي تترجمه الى طاقة حركية ، اذا ما لـم تخضعها قواعد ومقاييس نابعة من اطار المفهوم الروحي والديني للممارسة .

هذه المقاييس التي تخضع لها " الجذبة " والتي من خلالها تأخذ طقوس ممارسة الديوان " بعدها الديني الحار ، لتجاوزها مستوى المحسوس ـ ديوان سخون ـ هي أيضـا مجموعة قيّـم قسوى ، تبرهن عن ملكات " اعجازية وقوية تخمـر مجالات المقدس وفضاءات " الجذبة " كرقصة ، أو كزمن رقصي ، بحيث يمكننـا قراءة داخل هذه المسافة الزمنية والمراحل التي تستغرقها " الجذبة " اذا ما كانت إلاهية " أو دون إلاه (1) اذ الفرق بينهما منبثق عـن طبيعة الموضوع الذي يريد " الجذاب " ـ رجل او امرأة ـ تمثيله وبالتالي ناتج عن البعد وحجم أهمية الرقصة .

مع الإشارة أن كلاهما يشكلان حقلا دينيا مستقلا ، نابع من المحيط الذي أنتجت فيه . فعلى سبيل نماذجنا اللسانية يمكن " للمسكون " و " المغروب " و " المملوك " و" المصادف " التي هي حالات متفاوتة الموقع من شبكة مصادر " المرض " التي بنتها الثقافة المحلية ، أن تكون لها حصة رقص ، وفي أثنائها نستطيع عن طريـق مؤشرات ودلائل (الزمن ، التصرف في إستخـدام الجهاز الايديو ـ ديني ، استبطان الموضوع الخطابي ، انسجام الجسم في الأزياء الموسيقية .....) أن نحكّـم على جهة إنتماء " الجذاب " ومكانته في مجتمع " الديوان " .

نخهم من هذا أن " الجذبة " في علاقة وطيدة بظواهر السكون التي تظهر تحت أعراض نفسية فيزيولوجية أو عضوية لاتجد لها مبرّرا ، الاّ داخل الأنساق الثقافية التي تعترف بوجودها

---

(1) ـ عندما تكون تعبيرا ثقافيا موضوعه متصل بالقوى الخارقة كالآلهات . او عندما تكون مجرد شروط او ظروف اجتماعية ثقافية مقموعة في محطات نفسية شعورية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو متقاربة معها في صياغة الألم ، وفي درجات الاعتقاد بوجود الذوات كأجسام منفصلة .

أما " الجذبة " الإلاهية ، فهي التي يتجرّد فيها الشخص الراقص من طبيعته الانسانية ، ليتقمص : جانقاي ، بابا تورما ، بوي بوي ، بودريالة مولاي إبراهيما ، (. . .) وغيرها من الآلهات أو القوى الخارقة بحيث يتميّز هذا التجريد على خلاف سابقه المنغلق على الذات لتحاوره مع المحاكات النفسية و الأفشية التي تغلّف موضوع الرقصة بإرتقاءه الى عالم الأسلاف و النمط الأولي ، و تتّضمنه محتوى تشكوني يجعل من الرقصة ذاتها تمثيلا دينيا مقدسا ، ينفجر عنها سلوك "عنيف" و رائع ليس بالمعنى السلبي المنحط ، و انما بالمعنى الذي تكون فيه وضعيات الجسم مذمورة بنزول الشخصية الرمزية ، (توقف الجذاب عن الحركة ، بداية ارتعاش الأطراف العلوية ، استقرار النظر ، . . .) دلالة عن غياب الإحساس في تسليط الألم على الجسم و تعبيرا عن "خشونة في المقدس" .

هنا يمكننا أن نتوقف لحظة ، لنحدد تعريفا مبدئيا "للجذبة" سواء من زاوية تحقيقها للشفاء و التخفيف الذي يشعر به "الجذاب" ، أو من منظورها التمثيلي و النموذجي ، يقضي تضمنها زمنا رقصيا ، تثمره حالة معنوية .

إلا أن هذا التعريف يبقى سابقا لأوانه و عاما إن صح القول ، للمسائل التي صار يثيرها و المتعلقة بظواهر "السكون" ، التي صنفت حسب طبيعتها الفيزيولوجية و النفسانية و السوسيولوجية . اذ كثيرا هي الأطروحات التي قدمت للمعالجة و المناقشة في هذا الصدد ، خاصة تلك التي عرضت خلال الملتقى الدولي لمدينة نيس تحت عنوان : "الجذبة - الشامانيزم - الاستحواذ و ظاهرة السكون" (1) .

---

1) Actes du II^éme Rencontres Internationales de Nices : de la fête à l'extase.
24 .28 Av.Coll.Vida.Editions Serre.1985.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو التي اهتمت بها أ. جاكلين مونفوقا . نكولا : "التناقضات ، وطقوس السكون " تشرح ضمن أحد فصول كتابها ، اختلافات هذا الزمن الرقصي (الجذبة) باختلاف أنواع حـــــالات السكون ، بحيث أن الموسيقى لا تؤثر في "الجذبة " ذاتها وإنما في الشكل الذى ينبغي أن تأخذه .(1)
كما اهتم " بالجذبة " ايضا كل من . م . إلياد : مبيّنا توارث القدرات والـــسلطة السحرية (الشامانيزم) سواء كعلاقة ثقافية بالآلهات أوكداء فيزيولوجي ، عن طريق التقنيات البدائيـة للنشوة ، مبرزا مكانة ـ الشامان ـ في مجتمعه لكثافة اتصاله بالتجارب الدينية والسحرية (...) (2)

كما أن من أهم الباحثين الذين ساهموا في تطور تصوّر "الجذبة " ـ أ . جورج لابا ساد : الذى يعتبرها ممارسة شعبية ، يعتني بها عناصر تنتمـــي الى الطبقات الدنيا من المجتمع خاصة منها المجتمع النسوى .موضحا ذلك بأنها ليست شيطانية ، بل هي سلوك جسماني معقّل ثقافيا (3)
أ . جليبار ـ روجي يرى أنها باللاتينية ـ اكستازيس ـ (extasis) ذلك الفعل للانتقال " أو التأهب للانتقال " مرافق باضطرابات ، وهلوسة الفكر ، ومجموعة التحركات ، التي تنبثق عن كثرة الأصوات ، والمحادثة مع العالم الآخر . مصنفا " الجذبة " الى صنفين يسافر في الصنف الأول الشخص الراقص الى عالم الأرواح . أما في الصنف الثاني ، فالأرواح هـــي التي تقوم بزيارته .(4)

بالمقابل إلى هذه التصوّرات ، تنطلق أشكال " الجذبة " تدريجيا مرة اخرى في سياق جديد ، يحدّد زوايا الاقتراب منها في طبيعتها النفسانية والفيزيولوجيـة

---

1)Jacquelin Monfouga.Nicolas:Ambivalence et culte de possession ..Editions. Anthropos-Paris 1972 P.P197.
2)MIRCEA Eliade :Le chamanisme et les techniques archaîques de l'extase;Editions .Payot.Paris.1968 PP.27
3)Lapassade Georges:Essai sur la Transe.Editions-Universitaires.Paris 1976 PP.12.
4)ROUGET Gilbert:La Musique et la Transe.Esquise d'une théorie générale des relations de la musique et de la possession.Editions.Gallimard.Paris 1980.PP.30.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" الجذبة " والحركة المغناطيسية : (Magnétisme)

تكتسي "الجذبة " في هذا التيار بعدا تحليليا تجريبيا للمحرضات والمنشطات الداخلية للشخص الراقص . كما تفسّرها إنطلاقا من الإستعدادات الأوليـــة التي توجد في المحطات السفلى للتركيبة النفسية ، مجزئة ميادين " الجذبـــة" الى أقطاب تحليلية أي : على ضوء نسق عقلاني لاستنطاق أنواع التوازنـات والتكيفات . (...)

فالأمر بالنسبة لهذا التيار ، متعلق بادئ ذي بدء بكيفيات استخراج الأنا اللاشعور ومراقبة الانحكاس الشوطي ، الذي ينتج عن مؤثر معين في ظـــروف محددة ، وفي جوّ تقبّل واستعداد خاص . وحيث تجد تغيرات الشخصية مباشرة عناصر تحوّض احباطاتها وميولاتها المكبوتة ، في امتلائها أحـد القوى الخارقة .

فبامكان التحليل النفساني ضمن هذه التجزئة لميادين " الجذبة " ان يخضعها للطريقة العلاجية — ج . دونار (DONNARS.J.) باستخدام — ت . ت . ت . على " الجذبة " دون حالة السكون التي اخترعها دافيـــد إكستاين النفساني البرازيلي — كوسيلة لمعالجة الاضطرابات العصبية لبعـض الحالات الجسدية النفسانية " "Thérapie des nevroses de certains états Psychosomatiques بحيث يقوم هذا المنهج على جوهر نفسي فيزيولوجي يسمح بدخول المشارك الى هذه الحالة المتبدّلة الوعي ، عن طريق نوع موسيقي تسيطر عليه ايقاعات الدابول . كما أن في سيرورة دوران الرأس أثر على حصيات الأذن (Otolithes) ينجم عنه إختلال في التوازن المجالي (...) تدعمّـــحالة التشوق بزيادة سرعة التنفس التي تؤثر على تموازن (O_2 /CO_2) ونتائجها على معـــدل إنحلال البيكربونات في الدم ، فان هذه العملية تقرب العربي الى وضع المزاج التشنجي (Spasmophilie) الذي يخلق اضطرابا في المقاومة ، لتصدر عنه أصوات وسلوكات عنيفة أو امائية خاجلة أو يأسة نابعة من ما بعيد (1) لتنتهي " الجذبة " بعد كلّ وارهاق بهدوء خارق وتخفيف من ثقل المعانـــاة تأخذ من خلالها " الجذبة " كنتيجة بعدها السوسيو — درامي ، أودراما — أخلاقية ، أودراما — نفسيـــة وذاتية ....

---

1) DONNARS.J. Transe et Psychothérapie. In. Actes du II éme Rencontres Internationales du Nice. 24 .28 AV. COLL. Vida Edition .Serre. Nice. 1985. PP. 7.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما نجد " الجذبة " عند ديدي ميشو (DIDIER.M) وليون شارتوك (Leon.Chertoch) مرتبطة كثيرا ، وفي حالات مخالة بالمعنى الحقيقي لاشكاليتها بالهيستيريا . اذ يعتمد هذان الباحثان على قلب تساؤلها بوضع الهيستيريا لاكتمظ تفسيرى ، وانما بقلب ظواهر الاستحواذ كمتغييرات لفهم الهيستيريا واستنتاج عواملها المشتركة ، بالاستناد على أفلام وثائقية : " الهيستيريا ، لغة الجسم " .

بحيث تمخض عن بعض الحالات المجولة في هذه الوثائق (ثلاث حالات) استنتاج محورين : أولها متعلق بأزمات الهيستيريا والثاني خاص بأعراض تحول الهيستيريا . لتنتهي اشكالية السلوكات الملاحظة ، بوضع مختلف تأويلات اللاشعور الجنسانية (sexualité) أو الجماع محل نقاش وتلاعب : عجز جنسي (impuissance) اغتصاب (viol) عفيف (déplaisir ، تضارب على مستوى وظائف الدائرة التناسلية (confusion au niveau des fonctions de la sphére génitale ، مجامعة (coît) الانجاب (Accouchement) .

اذ تستطيع أن تشكل هذه الأعراض " لغة جسمانية " يميزها هذا الاختيار العفوي ، أو هذا التصوّر المدفوع (1) .

ويذهب أيضا كل من . م . بوصات و . ا . ك . كيرغيوس . و . م . أ . رودبورى و . ب . بوصات . الى امكانية الأنساق التفاعلية والطاقوية تفسير ظواهر الجذبة والاستحواذ . اذ تظهر الاضطرابات العقلية حسب الأساليب المعبّر عنها اجتماعيا في توافقها مع الحوار الداخلي في صورة فولكلورية ، يتقمص خلالها الشخص نفسي شخصية الإلاه ، مستعيدا بذلك عن طريق العلاج النفساني سيرته الذاتية وأوضاعه المتصارعة ، مبرزين في نطاق أوسع ، أهمية التصنت بين العلوم للخروج بمفاهيم تحليلية متطورة واعطاء دفع جديد لتخمينات العقلية والنفسية التي عادة ما تتحجم بسبب تقنياتها ومناهج بحثها (2) .

---

1)DIDIER.Michaux:Hystérie,Transe et Hypnose.Ibid. PP.21

2)BOUSSAT.M.&KIRGUS.C.C:Transe et Psychose.Ibid. PP.281.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هذا المنطلق النفساني والفيزيولوجي والقراءة " الخارجية " لسيرورة "الجذبة " كصنف أو مادة تجريبية تخضع للعمل المخبري ، يمكن لنا أن نفهم جيدا من هذه الرؤى المتنوعة ، التشوق في تقديم الضمانات لهذه الحالات وتحمل مسؤوليتها كهياكل مرضية غير سوية . منتزعة بذلك للمحتوى الثقافي العميق والمغزى الاجتماعي والتاريخي للسلوكات المبنية في اطارها الواسع ، وظائفها الاندماجية داخل النسيج العام للمجتمع .

ففيما يخصنا ، فإن تركيزنا منصب حول موضوع " الجذبة " في حد ذاتها وليس " الجذيب " كفعل رقصي ليتسنى لنا فهم المعنى الذي تأخذه " الجذبة " والدلالة التي يعطيها لها "الجذاب". اذ يكفينا أن نربط بين المؤشرات التي في حوزتنا لمعرفة المضمون الأساسي "للجذبة" كطريقة عنيفة مقدسة ، عندما تجريها الجماعات العرقية كفئات عرفت في مرحلة تاريخية استعمال وبتر لجذورها السياسية والاقتصادية والثقافية التي تختزنها كما هو متشابه في تكويناته (عبيد) ومحدثة الإنتماء الرمزي (سيدي بلال) .

"فالجذبة" في هذا السياق ، قبل أن تكون علاجا هي سفر روحي ، يمكننا أن نعبّر عن الجانب الثقافي للمرض العقلي و " إنهيار أعصاب الآلهات" كما يقول الطنقاويون . بحيث ليس مهما أن نعرف إذا كان يليق وضع "الجذبة" في هذا الصنف أو ذاك من جملة الأمراض الغريبة المعاصرة ، إنما المهم أن نعرّف في أي صنف يضعها "الأهلي" ذاته ضمن نسقه الفكري .(1)

اذ لا معنى لها (الجذبة) خارج نطاق استخدامات الجهاز الايديو ـ ديني و العقلانية الرمزية التي تسيّرها . كما لا نعني بزمانها الرقصي عذرائيته الفضائية ، بل بالعكس فقد يمكن سفدها بموضوع للتمثيل و الاتصال بأحد الشخصيات الرمزية ، لمجرد تحريضها و التأثير فيها .

---

1)ROUGET Gilbert:la musique et la transe.esquise d'une théorie générale des relations de la musique et de la possession.Editions.Gallimard.Paris 1980.PP44.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالأمر جدّ معقد ، حينما نكون بصدد فكرة زمنية الموضوع الممثل و استعمالات البدّل و أنواع الملابس و الأقنعة و أصناف المدخنات المستعملة سواء للتطهير أو لجلب القوى داخل مكان التقديس في تكوينها سيرورة ارتقاء الذوات الخارقة من مجالها المحسوس رمزيا ، الى مستوى التمثيل و الامتطاء مثلما تمتطى الأحصنة .

فكلما كانت الشعارات قوية و متصاعدة تدريجيا في مواضيعها من الأقل صعوبة الى الأكثر خطورة و ترويع ، كلما كانت دلالات " الركوب" و التجرّد من الطبيعة الفردية معاشة واقعيا مما يجعل "الجذيب" على : "بوري بوري " ، "مكيني " ، "سرقو" "مقزوى " (...) ليست منعكسا شرطيا ، وانما منعكسا مكتسبا يستدرك من خلالها مجتمع "الديوان" القيمة الفعلية لمعنى التزامه أمام أرواح الأسلاف و الشخصيات الرمزية و القيمة الفردية أمام مهمة السفر و تحوّل الشخص "الجذاب" الى وسيط بين الأفراد و الآلهات الثانوية .

نشعر هنا وكأننا أمام وضع "للجذبة" التي تريد أن تكون نموذجية أو مثالية بالمعنى الذي تسطره العقلانية التصورية و الدلالات الرمزية الأسطورية ؛ اي أنها تريد أن تكون حدّا قياسيا بين "الجذبة المثقفة" و " الجذبة" كشكل أولي "للمرض" ، أو بين "الجذبة " العنيفة و الخليرة بقداستها لكثافة تمثيليات المواضيع الأسطورية و اكتمال وجهها الرمزي (ضرب الجسم بالأسواط ، أكل اللحم غير الطازج ، الرماد ، الرونة مواد تزيين المدلعة نانا عيشة ...) و "الجذبة "السطحية ، التي و ان ارتقت الى مضمون المفهوم الأسطوري ، تبقى جزئيا "عارية" لغياب تقنيات ترجمة الحركات ، أو لعدم تناسق الحركات بالموسيقى و غيرها من العناصر الناقصة التي تجعل من "الجذبة" باردة حتى و ان استغرقت من الشخص الخارج عن مجتمع "الديوان" وقتا طويلا و كلفته تركيزا قويا (ارتعاش الذراعين ، اهتزاز الجذع ، سيلان العرق بداية تمرّن الرأس يمينا و يسارا ، فقدان الحساسية بما يدور حوله) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واضح من هذا اذن ،اننا امام صنفان من " الجذبة " ، احداهما تمثل فيها وسيلة تقنية للتعبير عن خضوط المجتمع وبالتالي ليست ظاهـــرة عصبية وعقلية ــ كما جاء على حد تعبير روجي باستيد ــ مستشهدة بـه أ . جاكلين منفوقا نيكولا (1) ،اما الثانية فتمثل بالنسبة لمجتمع "الديوان" الوجه الآخر لحالة الوعي وغاية ثقافية ورمزية تحدد عفويا هوية أفـــراد المجتمع داخل نطاق ممارستهـــــم .

من هذه الزاوية التحليلية " للجذبة " برزت بعض المواقف المناقضـــة للتيار النفساني نتناولها للبعد الانثروبولوجي الذي تحظيه الجماعات العرقية لمحتوى وجوهر " الجذبة " .

إذ تعرفها بذلك أنها استعداد خاص للجسم ليستخدم كحامل وقنـــاة للإتصـــال بأشكال ربانية وألوهية (Luc De Heusch) . (2) بحيث ترمي الى اصطحاب أرواح الاموات والاسلاف .

يتميز هذا النوع من " الجذبة " بالسامية يصبح جسم الشخص لعبة فـــي يـــد الإلاه الذي ينزل جسمه . ويختلف معناها باختلاف أشكال السكون والاستحواذ (السعيدة / والبائسة) Possession heureuse et possession malheureuse. يستهلها المرقي " بجذبة" يدفع فيها الشخصية الرمزية الى إظهار هويتها اذ لايمكن التأثير فيها الا بعد معرفة إسمها الذي يتم التحقق منه في سيرورة " الجذبة " .

اما من جهة أ . زمبليني : " فالجذبة " شأنها شأن القربان (Sacrifice) هي تلك الوسيلة التي يتحملها الشخص مثل مايتحملها الحيوان في الاتصـــال بين العالم " المقدس" والعالم " المدنس" بحيث يتخلص من شخصيته الطبيعية لصالح الإلاه الذي يركبه خلال طقوسيات " الجذبة" وشعائرها .

متساءلا بذلك عما إذا كانت زمانية "الجذبة" الشعائرية هي زمنية تقـــرب . ففي الميادين التي درسها تبدو " الجذبة" على اختلاف صور السكـــون أنها شكل من أشكال الادماج الحي ــ شيء داخل الجسم ،او جسم داخل جسم وعلاقة تلاحم وتشابك لكائنين مترابطين .(3)

---

(1) Jacqueline Monfouga .N.:"Ambivalence et culte de Possession" Edition: Ed. Anthropos.-Paris. 1972. !P. 179

(2) LUC DE HEUSCH:"Possession et Chamanisme";IN. actes du IIeme rencontres internationales de NICE. 24-28. AV. Coll. VIDA. Edition: Serre 1985.- PP. 13.

(3) ANDRAS ZEMPLINI:"Possession et sacrifice". Ibid. Pg. 245 / 254 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفس الموقف النظري يتبناه الكثير من الباحثين فيما يخص " الجذبة " وان كان هذا بتحفظ شديد راجع لخصوصيات تظاهرها ميدانيا . يعبّر عنه ج . روش . في كتابه : " ديانة وسحر الصونغاي " (1960 ص . 290) قائلا بأنه تنتهي الرقصة الى حالة نشوة دون ان تعني انه حصل تحول في الشخصية ، بل بالعكس فهي تقوي الساحر بوسائل استحضار ورد فعل خارقة ، يمكنه في بضعة اسابيع مراقبة مايجري في القرية على بعد (200) مائتين كلم ليستنتج الشر ويهدد به (1) .

اما بيار . فارجي ، فتعد "الجذبة" بالنسبة اليه شكل من اشكال اتصال المؤمن بربه وهو شعور ليس معطى لكل واحد . المهم هنا اذا تعلق الامر بسلوك اركيتيبي مكبوت يعبّر عنه في " جذبة تحرر " (Défoulement) . (2)

في حين أنّ . فـ . بـاك . وان كانت لاتتناول " الجذبة " كمحور منفرد في دراستها ، فهي تدرج الكل داخل محتوى تشكوني (Cosmogomique) (3)

---

(1) Jean ROUCH: " La religion et la magie songhay" . Edition: P.U.F. Paris. - 1960. ; Pg.290.

(2) Pierre VERGER :" Transe de possession religieuse chez les Yourouba, et les FON du Nigeria et de la republique du Benin, et chez leurs descendants au Nouveau Monde."; Ibid. P. P. 235!242.

(3) VIVIANE PAQUES:"L'Arbre cosmique dans la populaire et dans la vie quotidienne du NordWest Africain." ou "le contenu cosmogonique des danses de possession chez les GNAWA du Sud Marocain!" - Ibid Pg. 213:216

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" الجذبة " كحلقة تمثيل ثقافي :

انطلاقا من هذه الارضيات النظرية لاصناف " الجذبة " والتي يلخصها لنا . ك . ل . ستروس : في هذا الانتقال من زمن طبيعي يومي الى زمن اسطوري (1) دلالة عن تحول زمنية المدنس الى زمنية مقدسة بفعل غايتها بلوغ نمط الحياة الاولي الذي يحياه الأسلاف ، وارتباطها حسب سيرورة دينية بأسماء الأولياء ارتقوا الى منزلة القوى الرمزية ، تشكل لدينا رؤية كافية حول سيرورة " الجذبة " في العيادين التي توقفنا عندها .
فنميز فيها تحول علاقة داخلية وضمنية بقوة مجهولة غير مسماة ، الى علاقة خارجية وطاردة لقوة صارت معروفة وسمحت لنا بالنظر الى تظاهراتها " كارث عائلي " . (2) يستبعد كل التصورات المرضية وغير السوية ، أو تسرب قوة رمزية عالة ومحتلة .

اذ نفهم من تظاهراتها " كارث عائلي " تعبيرها عن قيمة ممارسة " الديوان " داخل مجتمعها وتلبيتها لنوع من الحاجيات الداخلية تعبر عنها الجماعات العرقية خلال اجتماعها في " المحلة " بارتقاء ذلك الوعي بالشخصية أو ذلك الشعور الثقافي والتاريخي الى مستوى التنفيذ الرمزي .

وقد يتشخص هذا الارتقاء للوعي العرقي ومفهوم العائلية ، في " الزيارة " التي لاتعني اساسا دعم القدرة الشرائية للمؤسسة ، وانما ايضا مشاركة المجتمع في تظاهير سفر " الجذاب " لملاقاة الموضوع الاسطوري وتمثيل شخصياته ، اذ تتأسس على اثرها ويلعب فيها " الجذاب " دور الرابط بين الطرفين .
وقد امكن لنا ضمن تصوير شريط حول الجذبة قمنا به بامكانياتنا الخاصة ، من أن نراقب مراحلها نحو مايسمى " بالنشوة " (Extase) كقصب تنتهي اليه المواقف الاسطورية والاحوال التاريخية والمواقف الثقافية المنبثقة عن النسق التصوري ، كظرف احتفالي موجه لاعادة تجسيد وتخيير الماضي الانساني

---

(1) C. L. STRAUSS:" Anthropologie structurale": Edition: Plon . Paris.- 1958.- P. 233.

(2) LUC DE HEUSCH:" Possession et chamanisme ": OP. CIT. P.15

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظهر لنا خلال ملاحظاتنا المشاركة ذلك الانتقال في المواضيع الخطابية من البسيط الى المعقد ومن الصغير الى المروّع ينفذ القسم الاول تدريجيا مجموعة من الشباب والاطفال ـ ذكور ـ يتناوبون في تقليد او ابراز ملكات ابدانهم فرديا او ثنائيا .

اما القسم الثاني والذي يقتضي معرفة عميقة في إدارة تقنيات " الجذبة" فهو مخصص للكبار من الجنسين وهو المهم لكونه يسرفع من قيمة المذامين الرمزية لطقوس الممارسة ويبرز لنا بوضوح البعد الانثروبولوجي في " الجذبة" وممارستها كنداء لحياة دينية مقدسة .

فبعد ماتشكلت المجموعة الموسيقية، التي وصفنا تركيبتها في الاجزاء السابقة في حلقة نصف دائرية ، فاسحة المجال للرقص وبعد أن طرحت اجهزة " الديوان " امام " المعلم " و"المقدم " أو " الشاوش " وبدأت تتصاعد اولى روائح المواد المدخنة

قامت عجوزتان للرقص و اخطرت " المعلم" الى ان ينتبه أكثر في اتباع السلسلة الخطابية ، لأنهما يعرفانها معرفة الشخصيات اللاتي سيمثلانها . قدمت خلال استعراضاتها الأولية تحية لمجتمع "الديوان" عرفانا لبداية المقدس و تكريما لتحمّل مسؤولياته .
استهلتا رقصتهما الدينية ابتداء من" برج بودربالة ، بابا مرزوق ، بابا حمو جالي موسى البحري "... الى غاية " بوري بوري ، مولاي ابراهيما ، جانقي ماما ، محمد طاوس ، بابا قورما ، ..." دون انقطاع منها دلالة عن معنى تكفلها بالمفهوم الأسطوري ، اذ لم تسقط و لا واحدة أرضا معلنة نهاية مهمتها الدينية ، الا تلك العجوز التي انسحبت لاحساسها بتشعب المواضيع الأسطورية و اختلال تسلسلها في ذهنية "المعلم" أو لتشبعها داخليا .

فعوضها هذا الأخير بعد أن سلم آلة القنبري الى وارثه المباشر مقتحما فضاء الحلقة بـ "الجذبة" على بابا قورما ، ليس حبا منه مادامت مسؤولية الموسيقى في يده ، وانما لبداية انسيابه و سيطرة الشخصية الرمزية عليه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فشرع رقصته في ذهاب و ايـاب منسجـم مع الايقاعـات الموسيقية ، تتداول علـى زيارتـه الحضرة بانتظـام . ومـا ان انتهـت هذه العملية حتـى بدأت ترتفـع الأنغـام قام خلالها "المقدم" باحضـار قصعة حديدية ، و وضع فيهـا كمية من المـاء و وضـع فـي وسط القصـع أيضـا موقدا تتصاعـد منـه روايـح ، دلالـة عن طهـارة الماء ، ثـم أخـذ عصـا خشبية طويلة في الوقت الذي كـان يدور فيه "الجذاب" حول القصـع ، و أخضعهـا هي أيضـا لعمليات التطهير ثم أعطاهـا لـه بطريقـة لا يلتقـي فيهـا وجـه "الجذاب" بوجـه "المقدم" ، مواكبا دورانـه علـى القصـع في رشاقـة أدائية ، يهـز تارة رأسـه يمينـا و يسارا ، و أحيانا بيديـه في حركـات تشبه طريقـة الجذف أو ضربات المقذف .

ثـم و هـو يدور حول القصـع بشكـل متزايد ، ارتفعت سرعة الايقاعات و سقط علـى اثرها أرضـا علـى ركبتيـه و أدخـل يداه داخـل القصع اين يـوجد الماء ، و بدأ يحركـها فيه بطريقـة و كـأنـه يسبـح .

و تـأتي مرحلة ثالثـة ، ينقطـع فيهـا الخطاب و تزيد الجماعة من حـدّة رنـات القرقابـو و من آثـار القنبـري ، يمسك على اثرها "الجذاب" ذلك القصع و يرفعـه بيديـه الاثنتين فـوق رأسـه ، محافظا رغـم كل ذلك على رقصته و خطواته الاهتزازيـة ، ليسكـب ذلك الماء علـى رأسـه فتبلّلت الأطراف والجهات العلويـة ، وبقيت السفلـى غير مبلّلة مما أدى بـه الى أن يلقـي بنفسه علـى الأرض معتمـدا تبليلهـا و ذلك بالالتفـاف و الدوران علـى نفسه في المـاء ، مرة يمينـا و مرة علـى يسـاره، مبينـا صورة سباح يخـوض في الأعمـاق ، أو سمكة تتخبّـط فـي شبـابيك الصيّـد .

و هـو علـى تلك الحـال حتى يخمـى عليه ، فتتوقف كـل الايقـاعات محلنا بذلك علـى نهـاية التمثيـل ، فيتكـفل بـه "المقدم" ليمنحـه قليـلا من الرائحة و كمية من الحليب و بعدها يباشر الى دلك عضلاتـه ، فيمدّها لـه الى أن يستعيـد قـواه و تتأكـد عودتـه من السفر المقدس فيحضر لـه غطـاء و ملابس جـافة . ( )

( ) ـ أنظـر الشريـط الفيلموغرافـي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كـــانت تلك العجـــوز خـلال خطواتها انتال المقدس التي أداهـا "المعلم" قـد انسحبت من حلقة الرقص بفعل تنازلهـــا عن هـــذا التمثيـــــل الذي لا ينبغـــي أن يشتركـــان فيه ، لتعـــود تحت تأثيرات سلسلة الإضافيات التي لـــم تمثلهـا ، ترافقهـــا "العريفة" في كـل استلزاماتها التشويـــة ، متخـذة من كـــل أصناف القوى الرمزيـــة التي تدلّ علـــى أصـــل مواليـــي (صنف حوصـــا ، صنف بنبـــرا ، صنف سراقـــا صنف مقزاوى ،...) مطيّـــة لهـــا لبلـــوغ حلقة من حلقات الاسطـورة المؤسسة و الثانويـة (لالاعيشة، صاونـ ـــدي ، ســـي سّي بنبرا ...) لتصل الى فئة "مقـــزاوى" التي هـي أصناف من القـوى الرمزيـــة التي يحرك منهـــا في ممارسة "الديوان" بالخطيرة و المرّوســـة :

اذ فيها من يأكل لحما غير طازج أثناء رقصته الدينية (جينارو لملـــم) . وهنالك من يمتص دم أحد الحضرة وخاصة من العبية ( ) ومنها أيضا التي خلال تمثيلها يتحول حاملها الى قوة أو إلاها يستقر في الأوساخ والقـذورات (جاطو) ،(كورى) وأما التي جاء على إسمها هذا الصنف كله : أي "مقزاوى" ففيها يتحول " الجذاب" الى مدمّن علـى الخمور ، اذ كانت تحضر في ممارسة " الديوان " مادة " النيزات " والتي استبدلت بالعطور ثم ماء زهـر و حليب ....

وفي نفس الصنف دائما (مقزاوى) توجد قوى فرعية أخرى تتبع نفس السلسلة التصورية ، يتم فيها الرقص على (مكيرى) مثلما لاحظنا ذلك في حلقات تمثيل تلك العجوز بتحضير كمية من " الرماد " . اذ بعد مـــا تبدو تصاعد نشوتها ، يضع المقدم كمية من الرماد المستخرجة من الموقـد في علبة ، لتنحني هي فيما بعد ، وتبدأ في تزيين وجهها ويديها ورجليها كأنه تمويه واستعداد كان يفعله الأغارقة عند إعلانهم بـداية العيـد . وهي على تلك الحال ، حتى تستنزف قواها فتنسحب مرة اخرى .

وبما ان غاية وموضوع الاحتفال " بوعد سيدى بلال" ، هي تجديد لسيّر الأسلاف وتذكر لأرواحها في قالب ديني مثالي ، تعود العجوز لاتمام سلسلتها المعرفية بالمقدس ، لتصوّر في هذه المرة "(سرقـــو) وهو الصنف الأخير مـــن القوى والآلهات التي نعتها " بالخلاوية " لكونها تعيش في أماكـــن مثالية (الغابـــة ، الحجـــر ، الأوساخ ، رحالة .....)

( ) ـ كـانـت النـســاء الـرضـاع فـي هذه الـمـقطوعـة ، مـضـطـرة الـى مـغـادرة الـحـلـقـة، خـوفـا مـن هـذه الـحـوادث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقتـــات ممـــا يقـــع بين يديهـــا .
فتحفّز لها الرماح ، توضح فوق الموقـد الذي وضعت فيه أيضا كمية مـــن البخور الموافق لهذا الصنف من القوى الخارقـــــة .
وخلال رقصتها التي تستغرق وقتـــا طويلا ، تأخذ العجـوز الرمـاح ظهريا من " الحريفة " ثم تلوح بها يمينا ويسارا في حركـــات تعبّـــر تمـــام عن كيفيات الإستعـــداد لاصطيـــاد فريسة .
اذ عندمـــــا تبلغ مرحلتها الأسطوريـــة الممثلة في النشوة يلصق بظهر العجـــوز قطعـــة من جلـد الأرنـب تمثيـــلا للحيوان المقدس ، ثم تغرس الرمح في بطنهـــا بكـــل قـــوة لازدواجيـــة دورهـــا التمثيلـــي ، اذ هـــي الحيوان المقدس عندمـــا تدخـــل الرمـــح في بطنهـــا ، وهـــي الصياد الـــذي يتابـــع فريستـــه من مكان لآخر فـــي قفـــزات متتاليـــــة :

- منقزو كوبـا كينا منقزو جـــاب ڤنينـــــة
منقزو نـــانا باي منقزو كوبا كوبـــــا

تحتفظ بهذا المستوى الاحساسي بالتمثيلية المحنوية الى غايـــة نفوذ طاقاتهـــا وانخفـــاض مستواها العملي ، فتترك الرماح تستقـــر أرضـــا وتنحنـــي هي أيضـــا على ركبتيهـــا لتكمـــــل دور الفريسة المقبوض عليهـــا ، تهز رأسها بانسجام مع الايقاعـــات الى أن ترتمي الى الوراء معلنة نهاية مهمتها المقدســـة وبلوغ جدلياتهـــا مع ماضيها الثقافـــي .
فتتوقف الرنات والأنغام الصوتية ، لتتلى الشهادة ، ويعلن الدعـــاء من طرف " المعلم " لنجاح واختراق البرزخ دون أن يحدث حدثـــا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجدير بالذكر ، انه بامكان " الجذاب " أن يبدي حالات رفض وغضب لعدم تلائم استخدام محتوى تقنية من تقنيات " الجذبة " بموضوعها ، وقد تحدث هذه الأوضاع حينما يتصور "المعلم" فيقدم وكشف الطبيعة الضمنية والداخلية " للجذاب" مفهوما إذا كان وريثا جديدا أو مدربا جديدا ينبغي تدريبه والتمرن عليه .

ويظهر هذا الرفض ، حينما يبدأ العمل الموسيقي والخطابي في التأثير على أحد المحضرة الذي يقوم مرتجلا أو غير قادرا على الوقوف بمفرده ، يبكي ، لايطيق النظر الى مايدور حوله ، لمدة امتلاكه وتزول شخصية "(مولاى ابريهما) أو (جانفرى ماما) في ذاته ليشخصها ويناولها مستلزماتها بالنسبة للشخصية الأولى ، تقدم غالبا سكاكين ، أو يستلم فيها " الجذاب أداة حلاقة تقليدية ، بخور .... فاذا " بالمعلم " يحزف مقطوعة (جالي موسى البحري) أو مقطوعة (محمد طاوس) أو مقطوعة (لقناوى بابا حمو طوا نبيني) لا علاقة لها بالموضوع الذي تمام لاجله " الجذاب " .

ينجم عن هذا السوء التفاهم ، استمرار " الجذاب " في البكاء والاعوجاج بجنبه ، أو أنه يحاول الفرار من وسط الحفل . فان أمسكه "المقدم" بنفس مقدار العنف الذي يظهره ثبت ، ولن اعطاه " المقدم " أسواطا أو السكاكين أو شيء آخر فيرميها مباشرة لتعبير عن رفضه لتلك التقنية حتى ولن تكررت عدة مرات .

عندها يفهم "المعلم" أن "الجذاب" لايرغب في هذه التقنية وأنها لاتلائم وضعه والنطاق الاندنيني الذي كان فيه ولاالموضوع الذي جلبه الى وسط الحلقة ، وبالتالي لاتناسب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمليات التمجيد المرغوب فيهـــا ، ولا تمثل الصـورة الرمزيـــة التـي كـــان يحـــاول " الجذاب " اعادتهـــا وتأكيدهـــا .

استنتاجـــا لهذه الوضعيات المعكوسة التي تتخذهـــا " الجذبة" نفهم جيدا أنهـــا ليســـت محتوى لفكـرة إحساسيـــة ، كما أن أعراضهـــا التي تقدمها كمعطيـــات " مرئيـــة " ، تحـــــي في ذات الوقـــت إشكاليـــة لظاهـــرة وجود الذوات الخارقـــة وانزلاقهـــا داخـل جسـم الفـــرد . مما يجعلهـــا تشكـل خطابا جسديـــا ذا مدلول آخـــر يعبر فيـــه عن شخصيـــة معنويـــة أو ماديـــة قديمـــة بميزاتهـــا الحميـــدة والسيئـة . (1)

وهي بذلك (الجذبة) مرحلة انتقالية يمر بها "الجذاب" ، أو قسـط زمني يحيل فيه بشخصيـــة مغايرة ، تترجـم نمطا اجتماعيا وثقافيـا مقدسا ، يصفهـــا بعض الباحثيـــن بحالة النشوة (Extase) باعتبارها مرحلة زمنية وشوط تتضمنـــه " الجذبة " يصعب تحديده لولـــــم يوجد عامـــل الزمانيـــة المستغرقة للبحث عن ذات التمثيل أو حدث التمثيـــل سواء كـــانت هذه الذات شخصيـــة ، أم حيوانـــا مقدســـا ، أو حدثا تاريخيـــا . (2)

من هنا تظهر ميزة "النشوة" في طول مدتها ، وكأنها زمن إستطلاعـــي واستكشافي لموضوع يطابق طبيعة الانتماء (سيدي بلال) والتكويـــن الديني . اذ تبدو ، كأنهـــا جسرا مُظلمًا ينبغي الوصول الى طرفـــه الآخـــر . وهنا بالذات أيضا يصبح من الضرورة إقحام المغزى التصوري الذي تسيـــر عليـــه تقنيات "الجذبة" ، ليس كمجموع فني وتحفة صامتة ، وانما في دلالتها وقيمتها الإستعماليـــة التي جانب الوحدات الخطابيـــة أو ما

---

(1) VERGER Pierre: "Transe de possession chez les Youroubal...); OP. CIT. P.236.

(2) Mircea ELIADE: "Le CHamanisme et les techniques archaiques de l'extase". - Coll. Payot. - Paris : 1968 . P.358.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسمـــن بالوحـــدات الاتنـو ـ خـطـابية .
فـــاذا كـانت " الجذبـة " "حـــال من غير حال " كما جـــاء في تعبير أحد أعضاء مجتمـــع " الديوان " فهي تتناول لأول وهلة فكـرة عزوبيتـــهـا (بالمعنى البعيد عن الالتزامات) أو بالاحرى " حالة عذراء " مؤقتـة وغير مغمورة بموضوع محيـــن ليملأهـــا ، ومن جهة أخرى فلاشـــيء يقدر على إعطـــــــاء الوجه المادي لهـــذا الحال المجهـــول ، الا تلـــــــك التقنيـــات والكيفيّـــات التي تستخـــدم بها لانتـــــان المقدس والحياة الدينيـــة الحقـة وتجسيد النسق الرمزي (أنواع الالبســـــة ، الأسواط ، الماء السكاكيـــن ، الرماح ، الرماد جلود الحيوان .....) .

وبذلك فان " الجذبة " كخطوة رئيسية ضمن ممارسة " الديوان " لاتقـــف عند مجرد ظروفها الاحتفالية ، للتخليد والتمجيـــــد بل تلعب دور المنعـــش للمحطات الانثروبولوجية الخاصة باعضـــاء مجتمـــع " الديوان " على اختلاف أصلهم العرقـــي .
اذ تسمـــح عـــن طريق تكرار مناسبات الاحتفال ، باعطـــــاء المغزى الحقيقي لاستماريـة المكانة في المقدس وبالتالي في الاسطورة .

فلا ترجـع قوتها الى امكانيتها نقـل الفرد من وضعية " مرضيـة " الى حالـــة " سويـــة " كاستراتجيـــة لاعادة الانسجام داخـل النسيج العـــام ، بـــل الى تشكيلهـــا لتنـوات تمثيل أسطـــوري بوساطة يؤديهـــا " الجذاب " وتقنياته ، مباشرة بعد بلوغ الوضعية النشـــــوية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى هذا الوضع الذى وصلت اليه دراستنا حول " الجذبة " وبما أنه ينبغي أن نختم ونحبس سيلان حبرنا سؤال هام يطرح نفسه ، ويخص المصادر الأساسية التي تستقي منها المقومات الروحية للأفراد مادتها وديمومتها كوسائل وقائية لكل الذهنيات التي يفرضها الخيال الاجتماعي .

بمعنى أدق هل يجوز لنا توريط " الجذبة " كوسيلة علاجية في التحليل المخبري والعلمي (النفساني الفيزيولوجي) في نفس الوقت الذى تبدو فيه رموزها "(الجذبة) مستمدة من أنساق لاهوتية أوسع وأشمل ، وحتا نقصد نزول الذوات الخارقة (الجنون) كمعطيات ومادة مثيرة للخطاب الأسطوري (1) والتي ينبغي أخذها بعين الاعتبار .

---

(1) ـ هذه الارقيات تبين لنا الفواصل الموجودة بين هذه الذوات الخارقة كوحدات ثقافية مكيفة ، ووجودها كـكيانات دينية غريبة أو مجهولة اما لقوتها اما لمصادرها ، اما لفاعليتها ، أو لفضلها عند الله . نقرؤها في السورات القرآنية التالية :

- سورة سبأ مكية وآياتها الاربع وخمسون ـ الاية 12 .
- سورة النحل مكية وآياتها الثلاث وتسعون ـ الاية 16 .
- سورة النمل مكية وآياتها الثلاث وتسعون ـ الاية 37 الى 40 .
- سورة الرحمن مدنية وآياتها الثمان وسبعون ـ الاية 15 .
- سورة الجن مكية وآياتها الثمان وعشرون ـ الاية 1 الى 15 .

طبعت بطابعه دار القلم ـ بيروت ـ لبنان ـ 1405 هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدوسيتي و الخطاب في "الديوان" :

لتشديد الانتباه اذن على منفى "الجذبة" المتحرر فيها سبق ، يمكن القول بأنهما يجمعان في آن واحد بين الارتفاع الى مستوى العالم الروحي و القائم على مجموع الأنساق التصورية و الأسطورية ، و بين النزول الى المستوى المادي أو الملموس الذي يعكس الحاجة الشعورية الدينية على فاعلية استعمالات هذه الأنساق و نجاح الدلالات المحرية التي يتضمنها النسق التصوري .

و على هذا الأساس تعتبر " الجذبة" بمثابة المقياس الفاصل و المفسّر لجميع التكوينة الاعتقادية و التصورية لممارسة "الديوان" ، اذ فيها تستحضر الأسطورة و فيها تتجسد ترجمة الانساق التصورية بجهازها الديني و المقدس و أخيرا ، فيها يلتحق الشخص "الجذاب" بزمانه الأولي الذي هو زمن مقدس أيضا .

و لكن هذه الأدوار ليست جامدة كما نتصورها بل متقاسمة و موزعة بصفة منسجمة ، يؤدي فيها كل دوره المميّز و الذي يعمل على مستوى عال ، اذ لا ننسى وجود جانب فني تتزين به حلقات اجتماع الجماعات العرقية ، و "الجذبة" خاصة

و هذا اذا ما نظرنا اليها من زاوية خارجية أما اذا تمعنا فيها ضمنيا ، فاننا نجدها من منطلق المتممات ، حافزا معنويا و عاملا محرّرا للطاقة الجسمانية و للمضمون التصوري و الثقافي و ينطوي بذلك على الفهم للتعابير و التراجيم التي تقدمها الحركات الايمائية في " الجذبة" كزمن رقصي ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تغمره فطرة معنوية يكسوها الجانب الموسيقي والمكون الخاطبية.

لانه اذا كنا قد تحدثنا عن " الجذبة " ، كسبيل وساطي وكمحلل لمحتوى انتروبولوجي ، فاننا ، من جهة ثانية لم نتناول محوّلها الى مجموع اشارات تعبيرية وبالتالي ، فاننا لم نتناول الاّ تأثيرات الموسيقى وثقل الخطاب على احاسيس الجماعات العرقية . في بلورة القاعدة التصورية وتشبيت حبال الرباط السلفي ، كل ما نعرفه هو أنّه قلّما ، كانت اهتمامات الباحثين موجهة الى الوظيفة الدينية ، الى تلعبها الموسيقى خاصة ، والخطاب كمتغيرات لمجموع الافتراضات والبيانات التي تقدمها لنا وفي اهميتها التحليلية ، ومكانتها في دراسة ممارسة " الديوان " التي هي نفسها مكانة الاقتصاد والسياسة في التحليلات الاخرى .

وعلى هذا الاساس ـ لتفادى انزلاقات الذاتية ، ولتوجيه نظرتنا نحو رؤية تحليلية اكثر وضوحا ـ نحاول معرفة هل ان هذا الاقتراب المزدوج للتحليل ، بامكانه ان يفترض علينا اسهامات " التعددية العلمية (1) هذا ما سوف نراه ، ونحاول تبيانه في هذا القسم

مع التركيز على العلاقة الموجودة بين محورى " الجذبة " (النفسي الفيزيولوجي ، والثقافي والتاريخي) كحالات معنوية مزدوجة ، والموسيقى والخطاب ؟ وبمعنى آخر اننا سوف نحاول تعيين قدرة الثنائي ـ موسيقى خطاب على تحريك واختراق غلافات المحطات النفسية

---

1) Voir définition de "l'interdisciplinarité" in, " tradition orale et identité culturelle". de, J.C.BAUVIER et autres, Ed: C.N..RS. Paris 1980.PG.104.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبيولوجيـــة للفرد " الجـذاب " والمحطـات الثقافيـــــة التـي تكـــون جزءا مـن تركيبـاته الفرديـــة والشخصيـــة وكيفيـــة اقتـــران ، ووصـــول الموسيقـــى للمســاس بهـذه المحطـــات ، او الحـــالات المعنويـــة ؟ وزيادة علـى ذلـــك ، فـــان اهتمامنـا قائـم على استنبـــاط ماذا كـان القســم الموسيقـي هو الذى يرتـــفع الـى الداخليـات الفرديـــة ليحركهـــا ويجعلهـــا حيويـــة ؟ ام انه القســـم الخطابـــي ، والمعنى هو الذى يمنّـح للحالات المعنـــويـة بنوعيهـا معنـاها الفعلـــي والتكاملي .

وبالتالي مراعـاة ماذا كانت الموسيقى فعلا حرة ، وان الخطاب يخـدمهـا ، فتضيـــع هيبتـه (1) يبدو انه غيـر معقـــــول الانشغال بهذا الفرع الموسيقي الذى يتضمنـــه " الديـوان مـــن دون التفتيـــش في الآليـات العلميـة لهذا الفرع .

وخصوصا ان هذه الآليات تخضع هي الاخرى لنوع من القواعـــد الخفيـة ، الى حدّ وصفها بالمجردة ، ولكنها في ذاتـه الوقـــت تزخـــر بمـرونـه ملموسـة ورشاقـــــة جدّ منسجمة . هذا التصنيف للميكانيزمات التي تقـــوم عليها الموسيقى هو بصفـة دقيقـة جانـبها الغني الذى تتمتع بها ، وطابعها الميتافيزيقي الذى تظهر عليه . وفي داخل هذا الاطار

---

(1) ــ ولعلـــه من الضروري أن نشير الى أن دراسـة القسم الموسيقي على حدى و القسم الخطـابي من جهة ثانيـة ، هـي عملية ابتيمولوجية نحاول اثرها ملاحظة التـــأثيرات التي تبديها و تتركها على نوعي "الجذبة" أو "الجذابين" كأشخاص بلـــغوا وضعيات نشويـــة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاصطلاحي، يقوم بناء آليات الفرع الموسيقي
اوجانبها الفني اساسا على الآلات الموسيقية
والايقاعات التي تحدثها الانهاط والاهواء
وكذا النوطات والتموّجات كانظمة فنية
في الممارسات الدينية " والديوان " بالخصوص.

- والتي لانقصد بها شيئا آخر ماعدا مواقفا متجددة اتجاه الحوادث الثقافية
( ) لعله من الضروري ان نشير الى ان دراسة القسم الموسيقي على حدى ، والقسم الخطابي من جهة ثانية ، هي عملية تفصيلية او بسيتولوجية ، لملاحظة التأثيرات التي تبديها على نوعي " الجذبة " او الجذابية " بأشخاص بلغوا مجال النشوة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنويـــة الموسيقى ، او صنف الموسيقى في الديوان

ما من شيء ، يحـدد الانظمة الفنية ، التي تحتويـها الموسيقـى ، كمجمـوع هيكلي ، الا آلاتهـا ، وكيفية استعمالاتها ، اذ ، يتحدد بث الانغام التي تنتجها بتصور ، و وصول هذه الرنات الى المرسـل اليه ، و مدى تاثيراتها عليه ، او بالاحرى انها تجـدى مراقبـة المرسـل اليـه ، في تأملهـا ، و تقبلهـا بنفس المنظـور و الرمز الذى انتجت فيـها .

من هنا ، واستنادا ، الى العلاقة القائمة بين الصنف الموسيقي ، والاحساس به فنيا او فهمـه ، من زاويته " السحرية " والجذابة . بنيت استفساراتنـا . مـا نحيـن بذلك للموسيقـى ، نفس القيمـة التي يتصـورهـا لهـا "المعلم" او الجماعـة هذا اعتبارا ان مفاتيح الاعجاب ـ كما يقول . أ . لوبويشي " توجـد فـي ميكانيزمـات المعرفـة الفنيـة ، والتي تعد نهاية قصوى ، يصبو اليهـا العمل الموسيقى . (1)

تساعد ، بذلك الشخص " الجذاب " على التفتح الى المعنوية الموجودة فيها . واحترام قداستها ، التى هي قداسة الموضوع الممثل .

لـذلـك ، فـان هـذه العلاقـة ، تضطرنـا الى النظر اليها بصفـة مفصلـة ، داخل سياق " الديـوان " وبصفـة ديناميكيـة ، بعيـدة عـن التجميـد ، الذى ألحقتـه بهـا الدراسـات الاتنولوجيـة السابقـة . (2)

بحيث كل واحد منـا ـ ولونسبيـا ـ قادر على تمييز مـا يتوافـق وميولاتـه واذواقـه ، وما هو مزعج لهـا . . .

---

1)Mbuyamba-Lupwishi:"sensibilité musicale et spiritualité Africaine".C.E.R.A Art religieux Africain:Vol:16 n°31,32 .1982.P.169.

2)Ibid;PG;172.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما لديه ، المصفاة التي بواسطتها ، يمكن فرز الانواع الموسيقية ، والاوزان التي تتركب منها ، لانه فعلا ، توجد فروق وخاصيات ، بين الانواع الموسيقية " المرّفهة" والانواع الدينية :

التي يحددها - جاسبير - " بدرجة السموّ الى مابعد الطرب ، واللهو "(1) دلالة عن وجود تجهيزات واستعدادات دينية ، مقترنة بظروف ، ومحتويات انتاج العمل الموسيقي .

هذه التجهيزات ، التي يحملها الافراد ، هي التي تعطي للموسيقى والمعرفة الفنية ، مرتبة في صفوف الاصناف الموسيقية ، لتشكّل موضوعها ومادتها . وهذا ما تفسره لنا " الجذبة " . بحيث ، ان الانغام التي تحدثها الآلات الموسيقية سرعان ماتتحول فيها من قوة اهتزازات وذبذبات الى سلّم مرجعي ، يراجع فيه الشخص انحرافات النوطات ، ليبديها في صورة انزعاج لتوقف بلوغ حالته النشوية - ( ) -

1)Ibid ;.PG.169.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندئذ لايمكن فهم ودراسة النشوة كميدان مكمل لسياق " الديوان " إلا بابراز " الجانب المثقف(1) للموسيقى ، كمحرّض أولي لها . ولايمكن رسم بيانهما الا داخل معطيات : المعرفة ، والترجمة والتنفيذ ، واخيرا القدرة على الاكتشاف الذاتي فيها كمحاور تتضمنها الموسيقى .

وان التماثل بينهما ، موضوع فقط للمحافظة على الاطار العام الذى تتصوره موسيقيه الموسيقى ، وبالتالي لابراز اتجاه تحليلها كاختيار يطابق ، ويعكس جانبها المثقف ونترك النشوة كنتيجة لها ولممارسة " الديوان " كبقيّة كلية ، تقود خطّ سير تفكيرنا حولها .

ففي ظروف قيام ممارسة " الديوان " تفتتح الجذبة " بمعزوفات " آلة القونبرى" = هذه الالة ـ والتي يكون عددها في الحلقة يتراوح حسب المناطق من 1 الى 3 تعود في اصلها الى سنين بعيدة في التاريخ استخدمتها الجماعات العرقية في مجالاتها المحلية كوسائل اتصالية ، ولم تفارقها حتى اثناء عمليات " تنقالها المجبر" اذ آعادت صناعتها في كل مرة حسب المعطيات المتوفرة في المجال الذى تستقر فيه .

ولذلك ، فقد عرفت هذه الآلة عدّة اشكال ، فمن الشكل المستدير والمصنوع من قوقعة السلحفاة العملاقة الى الشكل المطوّل المصنوع بجذوع شجر " التين " الى الشكل المستطيل الذى هي عليه حاليا . مغلفة فى كل شكل بقطعة جلدية ، عادة تكون من جلد الجمل .

(1) Andrés Cuvilier: la musique et l'homme ; ou relativité de la chose musicale . Edition:PARIS;1949

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمـــا الأوتـــار الثلاثة ، فهـــي مصنـــوعة من أمعـــاء الماعز مخصوصـــا ، اذ بعـــد غسلهـــا وتجفيفها تظفر من طرف "المعلم" وفق مقاييـــس موسيقيـــة خاصة = المزدوج ، الثلاثي ، الرباعـــي - واثناء ظفرها ، تشمّـــع بالشحـــم ، لتصبح لينـة ، تمدد فـــي كـــل عمليـــة الى ان تصبـــح وترا قابـــلا لاصدار الاصـوات .

اما موقعها علـى الآلـة بعد صنعها - فهوعلى النحو التالـــي : يوضـــع الوتـر المزدوج ، اى المظفور على اثنيـن - في الاول ثـــم يأتـــي الوتـر الثلاثـي ، ثـم الرباعـي في الاعلى - وقد يعكـــس تسلســـل موقـــع هـــذه الاوتـــار حسب الطريقة الادائية للعـــازف (المعلم) . فلوحدها ، تبدى هذه الالة نوعا مـــن الانغـام وصنفا من الرنات تشبـه تقريبا رنات الة " الباس الحديثـــة " - بنمطها العالي ، والحزين في نفس الوقت ، اذ يعزف عليهـا بطريقـــة " الطرق بالقوس " اى كل وتر على حدى ولكن بطريقة منسجمـــة كما تظهـر غالبية الانماط الموسيقية التي تنتجها بقاعدة ثلاثية خاصـة لتبيـان الفصل الزمنـي ، اولتحديد زمن المعزوفة بالنسبة للمقطوعـة الموالـيـــة .

ويبدو انه لاداع للاطالة في هذا الوصف التقني ، مادامت الاختلافات واضحة ومتعددة في طريقـة الاداء بيـــن المعلم والآخر و بين المعزوفات والاخرى . لنمر الى الالة الثانية التي تستخدم في " الديوان " من أجـــل تدعيم قنوات الاتصال وبناء فكرة النشوة ، والتي تتمثل في القرقابو ، التي هـــي ايضا آلة . . .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قديمة ، عرفت أشكالا متنوّعة ، تختّص بالذكر ، صنعها من ألواح كتف الحيوانات ، الى غاية صنعها بقطع حديدية حاليا . فهي مستديرة الطرفين ، ومجوفة في وسطها بحيث يسمح لها ، هذا التجويف عند تمركز الهواء في وسطها من تخفيظ ، وتخفيف صوت تلاقي القطعتين الحديديتين .

هذا التسخير في خلق اصوات لطيفة ، أدى الى زيادة أزواج هذه الآلة لتشغل عامة الحلقة ، وبالتالي لينجم عن فعل تجمعها ، وتعانقها بآلة القنبرى ، مجموع ايقاعي ذو أوزان وذو أهواء اهتزازية قوية تتسرب بكل ارتياح ، وسهولة الى أقصى الأعماق الاحساسية والشعورية كمنطقة سرية (1) في الفرد "الجذاب" للتعامل معها ، ومحاورتها نظريا ... لينتج عن هذا التحاور المجرد ، تشكّل سلسلة من السلوكات الحركية تشخص بذلك التجريد ايجابا ، ام سلبا .

وقد لانتصور ، تسرب مجموع صوتي تحدثه هاتين الالتين داخل النسيج الاستقبالي وامكانية خلقه لنوع من "الهروب المريح" كما لا نشدهش ونختار كثيرا ، اذا ما حاولنا فهم السبل والمسالك التي تأخذها وتستعيرها هذه المجموعات الصوتية لتتساق مباشرة نحو الاحساسات الخالصة .
ومع ذلك فالامر ممكن : كل ما في ذلك ان عضونا السمعي ، والذي قد حلّل ، ودرّس بصفة دقيقة يبقى في أجزائه الداخلية ، يظهر كآلة ميكانيكية مركبة احسن التركيب .

---

(1) Ibid. pg .05.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحيث تمتد طبلة الاذن الممطة بسلسلة اربع عظيمات لتسد فتحة تدعى بالنافذة البيضوية ، وهذه الاخيرة تفصل الاذن المتوسطة عند الاذن الداخلية ، اوالمتاهة .

أما الفتحة الثانية فتدعى بالنافذة المستديرة والتي هي قطعة أساسية للأذن الداخلية ، مسدودة بصفيحة رهيفة تصل مابين الطبلة ، " والحلزون العظمي .

وتتكون هذه الأذن الداخلية من تجويف عظمي " يصل بالنافذة البيضوية عن طريق ثلاثة (3) قنوات نصف دائرية والحلزون المذكور آنفا .

اما المتاهة فهي مضاعفة داخليا بشكل يشبه محفظة غشائية مملوءة بسائل شفاف . في حين ان " الحلزون العظمي" فهو مقسم الى قانيتين ، تتصل بنقطة في وسطه ، بحيث تتجه احدى القانتين داخل دهاليز، أما الثانية فتتجه نحو النافذة البيضوية ، لتكوّن الطبلة الداخلية للحلزون العظمي . تمكون مفروشة بمجموعة من الأوتار العصبية ، مطاطية تدعى بأوتار " كورتي" على اسم مكتشفها . هذه الاجسام المقوّصة والتي تتمتع برشاقة خارقة ، نجدها موضوعة على حسب حجمها الامتناني .

ويتصل العصب الصوتي بالاذن عن طريق مركز الحلزون العظمي ، حيث توجد ألياف كورتي والتي تجاور أنسجة " شولتز" .

واخيرا تتصل الاذن المتوسطة ، او طبلة الاذن بالفم عن طريق ممر يدعى بقناة " اوستاكيوس" تكمن وظيفتها ، في موازنة الضغط الجوي الخارجي والداخلي للأذن . . .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك ،عندما تمرّ مجموعة من الموجات الصوتية ، وتلحق بالصماخ (طبلة الاذن) ،فان السلسلة العظمية ، تتكفل بايصال تلك الموّجات الى المتاهة عن طريق الصفيحة الغشائية الرهيفة للنافذة المستديرة ،ثم الى الحلزون العظمي ،ليتسقبلها العصب السمعي وينقلها الى الذهن (1) كآخر محطة مخبرية . فتتخذ المعالجة لهذه الموجات الصوتية او الاقترابات الايقاعية ،شكلا ترتيبي ،تتطابق فيه مع الانسجام الفكرية ولتشكّل في الأخير منطاقا متكاملا . وتنفرد فيما بعد كل مجموعة ايقاعية او موسيقية مع فرع معين من فروع الذهن ، ونتيجة لذلك يقول : أندري كوفيلي : أن الجانب المثقّف للموسيقى هو بداية لاعجاب بالتموجات والذبذبات الصوتية للتنتهي ،بالاحساس الفني كمستوى تجريدي للانظمة الموسيقية (الايقاعات الاوزان ، الانماط) (2)

عندئذ تظهر أهمية هذا البناء العضوي للآليات السمعية المركبة : في تدعيمها لفكرة أوثق التعددية العلمية ، كوجه من أوجه الاقتربات التقنية لموضوع بحث واحد ،كما تسعى كخطوة أخيرة الى فتح مجال اوسع تبرز فيه الخطوط ، والطرق التي يتخذها تركيب العمل الموسيقي من أجل تبليغ فكرته العامة ، والمضمون الاجتماعي الذى يحاول ترجمته .

---

(1) Ibid p.p . 16

(2) Ibid p.p. 62

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في حين أنّ هذا البناء الخارجي ، ما هو إلاّ جسم لأنظمة استهلاك الموسيقى في الممارسات الدينية و بالتالي لاستنتاج محتواها كأشكال تعبيرية و اعتقادية يؤمن بها ، ما دام الخطاب و اللغة موجودان للتعبير عنها و تبريرها بحيث ، أن التقائيتها في المجالات السوية للجماعات العرقية هو بمثابة نقاة تقاطع الموسيقى كبنى داخلية و النسق الثقافي ، و بإمكانه تكميل ما يدل عليه بالمعنى الرياضي (بالعلاقة و الصورة) .

و لعل استدلالنا بهذه الملاحظة الميدانية قد تساعدنا من قيمة الموسيقى بالعلاقات العميقة للفرد "الجذاب" و الإطار امكانيات التحسان السمعي في الترجمة المباشرة و المطابقة لمتالبات الحالة الصوتية ، كما بإمكاننا أنّ تؤسس لنا الهيكل البياني الذي ترمي اليه الأنظمة الايقاعية (كعلاقة) و صورتها المتمثلة في النسق التصوري .

اذ لاحظنا ، أنّ " الجذاب" حين قيامه للرقص و بعد التحيّة لمجتمع " الديوان" كفاتحة أولية في انتاج المقدس نابعة عن احترام تصوفي ، يتقدم منحيا برأسه الى الأمام الى غاية تكسان وجسده " المعلم" بوساطة العلقة ، مبديا أولا نوعا من الانتباه الى الهيئة الموسيقية التي قد تستثار وتقتضا ، ويحتبرا يمكن تقديره بزمن التركيز الذي يتم فيه باستمرار النظر و الاعتماد على القدرة السمعية . . . .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم تليها عـــمليات الهظم لهذه الصيغ الموسيقيـــــــة اذ بعـــد استغلالها تماما وبصفـــة مطلقـــة يستثمرهـــــا في حركات بطيئـــة تقتصـــر على الذهاب ، والايبـــــاب وسط الحلقة لينطلق في المرحلـــة الثالثـــة ، الى استيعابها ، فيستقيـــــم على طولـــه ليشرع في ترجمـــة ماستهلكه من اوزان وانظمة ايقاعيـــة عند التقائها مـــع مايحملـــه من نسق تصورى ، فتلتقـــــي الثقافـــة الموسيقيـــة مع " الثقافة التصوريـــة " لينتـــج عن هذا الدنـــوء من الرمزيـــة التي تصبوا اليهـــا الموسيقى ومن فكرتها الاحساسيـــــــة ماتعبّر عنه الجماعات العرقيـــة "بالرّكَـب" بالرُكُوب - دلالة عن الامتطاء .

هـــذا الوصف الموجز اذن قد يساعدنا على استخلاص أوّلـــي متعلق برمزيـــة الصيغة الموسيقية (1) بحيث انه قد يستحيل لشخـــص ما خارج عن مجتمع "الديوان" ان يتابع تلك الصيغ اذا ما لم يفهـــم رمزيتها وأسسها الخفية والمعنوية ، ولن تكون له القدرة على التوافق معها باعتباره بعيدا عن الارضية التي تتكون منها هذه الصيغة الموسيقية . مادامت أسسُ هذه الأرضيـــة ، أو الرمزيـــة الموسيقية ، التي تقوم عليـــها ممارسة " الديوان " هي في ذات الوقت ، نسقها التصورى . وبالتالـــي فان هذا الطابع المعنوي الذي تعرفه الصيغة الموسيقية ، هو الذى يحـــدّد من طبيعة " الجذبة " كوسيلـــة تعرّف النسق التصورى ولاسيما جانبها التفسيري لاستعمالات والتوظيف الايديولوجي .

ان امتلاك الآلات الموسيقية ، هو امتياز يخص الرجال — وان النساء ليس لهـــن اعتبار في تـــــوزيع المهام الموسيقية وظائفيـــــا

---

(1) Musique en jeu "autour deC.levi Strauss , revue trimestrielle Ed: Seuil ;N°121973.pg.47.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و أنّ مساهمتهنّ و لو كنّ ينتمين الى الجماعات العرقية ، فهي متوقفة على "الهبة" أو "التلبية" "النيابات" كما يقول [illegible] أو الرمزي للذوات المحاربة أو للقوى الثانوية .

اذ عند أحد مستويات " الجذبة" تقوم "العريفة" باستدعاء كل مستلزمات الانتقال الرمزي لبلوغ حالات النشوة .

فمنهنّ اللاتي تستلم كميات من البخور في مكانها ومنهنّ اللاتي تواكب حركاتها الايمائية وحالاتها النشوية لتميزها بالعنف و عدم التحكم في ملكات الجسم .

اذ في اثناء هذه المراحل ، تحاول "العريفة" اضافة الى تنايبها للأدوار التمثيلية و الأسطورية ، وقاية " الجذابات" من كل مكروه (كالسقوط على الموقد) و ستورها تحسبا من ما قد يحدث .

كل هذه الاسهامات العضوية و البنائية ، أعطت للقسم الموسيقي في "الديوان" حيّزه الخاص ، و أخذت آلتي "القونبري " و " القرقابو" على اثرها كل صوّر التقديس و التقدير ، باعتبارهما تعكس تقنيا النسق التصوري الذي تتبناه البنيات العرقية و الخارجة عنها .
وبالتالي تظهر الموسيقى كمكوّنة ضمنية لحقلانية " ممارسة الديوان" ، و أما الدور الذي تلعبه فهو يختلف حسب الأنماط و البنية التي يقوم عليها النسق التصوري و المدلول الأسطوري . (1)

---

2)Gilbert Rouget :Musique et la transe, esquise d'une théorie générale des relations de la musique et de la possession ;Ed:Gallimard.Paris 1980 Pg.62.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هنا عملنا على ابراز العلامات اللسانية التي يحدّدها ف. صوسور. بالعلاقة التي تربط و توحّد المفهوم و الصورة الصوتية أو تربط بين الدال و المدلول . (1)

فلا يمكننا البرهنة على هذه الكيانات المادية التي يتضمنها الدال ، كوحدات واقعية بتصوراتها لدى المدلول التي هي الذاكرة الحرفية الا اذا حدّدنا لأنفسنا نمطا من الأسئلة التي تساعدنا على التقرّب من المفهوم السوسيو . ديني من زاويته المورفولوجية و الضمنية

" البراج " كحالات شعرية : دراسة للبنيات الشكلية و الضمنية:

انّ الخطاب في ممارسة "الديوان" شأنه شأنّ النصوص عامة معرّف و محدّد بأدبيته و بانتمائه الى نسق معين ، و هو بذلك يخضع لعدة مقاييس أدبية و الأوجه الفنية التي تكوّنه .
فبغض النظر عن القواعد اللغوية (كالصرف ، الاعراب ، النحو ، ..) و الأشكال البلاغية (كالتشبيهات ، الاستعارات ، ..) والتي لا تحتاج اليها الأساطير لابراز صوّرها و أفكارها . تتجه "البراج" في ممارسة "الديوان" عكس ما يميّز الشعر ، الى ابراز القيمة الحقيقية للأساطير التي تنجم عن استمرارية بنياتها كحوادث جرّت في الماضي و تمتد الى الحاضر و المستقبل .(2) و الى تصوير و اعادة تركيب أصنافها اللفظية و اللسانية كمتغيرة مستقلة تحدّد توافقها مع الوحدات الدخيلة و التي تمثل نسقا جديدا .

و هي بذلك (البراج) مجهزة بصيغ شعرية ، انّ صحّ القول ، تعكس لنا مدن تلاحم الأسطورة بلغتها كطرفين متلازمين و تبرز لنا ، من باب الأصالة العناصر الثابتة المستمدة من الوحدة الجغرافية و المعطيات التاريخية و الانثروبولوجية .
اذ يرمي اتجاه تحليلنا الى التعامل الانسجامي

---

*1) GIULIO.LEPSCHY : La linguistique structurale .Ed.Payot Paris 1961 .P.50

2)C.L.Strauss;Anthropologie Structurale Ed.Plon. Paris 1958.P. 231.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و لكن هذا لا يمنعنا من الانتباه الى وجود "أصناف لغوية" الى جانب معنوية الصنف الموسيقي - التي تريد أنّ تكون موسيقى هي الأخرى (1) تزخر بقيمة فنية و جمالية مستمدة من تنوع خصوصيات التكوينة البشرية و تباين أنماطها المعيشية ، و مصنفة حسب العقلانية التي تقتضيها ، ممارسة "الديوان" . مما جعل صوّرها و تعابيرها التي تتنافس و بنياتها الأسطورية و الدينية ، محدّدة طبيعيا .

فبالاضافة الى كون هذه الأصناف اللغوية محدّدة أسطوريا و باتصالها بعالم المقدس ، فهي تشكّل مفهوما غامضا ، لاسيما اذا علمنا أنّ بناءها اللغوي مركب و مؤلف.
فقد نصنف وحدات خطابية تمتاز بأركيتبات و تفسّر أنماطا حيوية قديمة ، و هي التي تحتوي على أصناف لفظية عرقية (افريقية) . أما الأصناف الأخرى فهي تندرج ضمن سيرورة تاريخية و أفقية تتأرجح بذلك بين دورها التوازني و الوساطي الذي يعطي للأسطورة معناها و بين بعدها المتغيّر الذي يقبل التحوّل لخلق نسق خطابي جديد يحتفظ للأسطورة الشاملة بهيكلها و بنيتها الجوهرية و هذا ما يؤكده .ك.ل .ستروس؛ في قوله : "أن معاني الأسطورة دائما في حاجة للغة وساطية خاصة ، ليكتمل وجهها و ينموجسمها .(2) بحيث تعتبر هذه العملية ، بمثابة لجوء دائم و اعتماد على قوة الفعل .

فبقدر ما يستطيع هذا الفعل التعبيرعن خصوصية الاطار الذي جاء فيه (ممارسة الديوان) الأ و زاده ترجمة ضمنية للديناميات الداخلية التي تحرك تدريجيا علاقة الذاكرة العرقية بالخطاب و موضوعاته .

---

1)Paul.ZEMTHOR:Essai de Poetique Médiévale:.Collec.Poétique. Ed.Seuil.Paris 1972.Pg96

2)Musique en jeu .Autour de.LEVI.Strauss.Revue Trimestrielle n°12 .Ed.Seuil 1973.pg.47

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و تيـــاسها علـــى المستوى الاقتصـــادي و الاجتمـــاعي و الثقافـــي كنمـــوذج عام أنتـــج فيـــه هـــذا الجســـم الخطـــابـــي .

البنيـات الشكلية أو مورفولوجيـة "البـراج":

انّ المعنـــى الذي يمكن اعطـاؤه للفظـــة " البـــراج " و لو عرفيـا أنهـــا ليست مجموع مفـــكك و لكـــنّ في الواقع حدود خطـــابية ترغب في التوحـــيد .(1) دلالـــة عن وجود فـواصل امـا كلاميـــة أو على مستوى الأفكـــار العامـــة .

و هي بذلك معرّفـــة بدورها التوفيقـي للتنظيمات الخطـــابية المختلفة أو السلسلـــة الأسطـــورية تحـــت تشكيـــلة واحـــدة . يجمعهـــا موضوع عـام و شـــامل يربـــط من زاويـــة أخـــرى بيـــن الجماعات العرقيـــة لتصبح "البـــراج" بنـــاءا ماديـــا بالمعنـى اللغوي ، تخفـــي مجموعة ميكانيزمات تصورية ، تارة منتظمة في سيرورة عادية و تارة أخرى تتخللها حركية متناقضة(2)، تعطـــي للسلســـلة الخطـــابية طابعا ديناميكـــي حي .

"فالبـــراج" ، بحجمهـــا و طول مقاطعـــاتها و تسلسل أحـــداثها لا تخضع لأيـــة قاعدة منطقيـــة عـــدا ترجمتهـــا البعد الاستمراني الذي تصب فـــيه الذاكرة العرقية ، أو لاحتوائهـــا كأصناف فنائيـــة أنمـــاطا انتمـــائية تربط مجتمع " الديوان" بمفهـــومها الضمنـــي .

هـــاذين القاعدتين يجعلان من "البـــراج" كمنظومـة و حالات شعريـة غيـر متشعبـــة عفويـــا ، بـــل تحـدّد روح الجماعات العرقية طرديـا لـــتقمّص هؤلاء تفاصيلهـــا الأسطـــورية بكـــل ما فيها من وجـوه و هـــياكل درامـــاتيكية .

من هنـــا فانّ الدراســة المرفولوجية "للبراج" لا تعنـي خاصية تقسيم للبنيـات ، و انمـــا بناء شبكة من المعادلات و المتطابقـــات ...

---

(1) عرفيا تتفق الجماعات العرقية على تنظيم السلسلة الخطابية حسب عددها (7) علما بأنّ كل تنظيمة خطابية تحتوي على (6) مقاطعات ، يطلق على المجموع الكلي اسم "الطريـــق" .

2)Mbuyamba.LUPWISHI :Sensibilité musicale et spiritualité Africaine.In,Art Religieux Africain.C.E.R.A.Vol.16 N°31.32 Pg.169.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحيث اذا كانت تستفيد " البـــراج " كحـــالات شعريـة فـي "الديوان" من عـدّة مركبـــات و من عدّة صـــوّر حقيقية كانت ، أم خيالية ، فنّيـــة أم قبيحـــة ، غنيـــة أم بسيطـــة ... ، فهـــذا يرجع فقط لاطـــار تكـــونها و السيـاق العام الذي أنتجت فيـــه .

و بالتالـــي ، كل هذه الصـــوّر التي ستتعرض لهـا ، ما هي الآ آثار أو مجمـــوع تأثيرات فرضتهـــا الاستمراريـــة التاريخيـــة التي عرفتها الجماعات العرقيـــة لتعبّـــر عنهـــا في قوالب نسقية ، أو في شكـــل انتاج خطابـي .

1ـ التشعب أو تعدديـــة التفرعات و الآليات :

يظهـــر التشعب هنـا ، كأول وجـــه من الأوجـــه الخارجية "للبـراج" ليس كمـــرادف لأسلـــوب فوضوي لا يستجيب لأيـــة برمجـــــــة و انمـــا في تعدديـة طلب التوسّـــل و التفرّع . بحيث أنّ تعدديـــة الديـــانات في افريقيـــا ، ليست رهنـــا لتنـــوع البيئـــات الاجتماعية و الجغرافيـة ، و لا تقف عنـــد مجـــرد تفاعل الاتصالات بين القبـائل و الحضـارات فحسب ـ مصدر تعايش الثقافات ـ بل يمكنهـــا أنّ " تنجم عن تثبيت ميتافيزيقـــي أولـــي ، مستمـــد عن متخيلـــات حيويـة ".(1)

و بالتالـــي "فالبـــراج" لا تنطـــوي على نسـق الـــوهي موّحـــد بل تتفـرع منـــه قنوات توسليـــة و تعدديـة في القدرات المؤثرة التي تمثـــل الاعتقـــادات .

فالـــى جانب العلاقة التي عقدهـــا الانسان مع الحيوانات كرمـــز ، أو كتقنيـــة تقـــرّب ، أو كتعبير عن وحـــدة عشائريـــة (طوطـــم) تحمـــل فـــي طياتهـــا قوى حيـــة ، نضيف أيضـــا الأسلاف التي هي أيضا بامكانها أنّ تلعب دور الوسيـــط بين القـوى الثانوية و الانسان .

فاذا صنفت الأسلاف داخـــل هـــرم القـــوى ، فانّ طقـــوسها تجعـــلها رمزيا و من حيث فاعليتهـــا ، اذ بامكانها أن تتحوّل منزلتها و تصل الى درجـة من التقديس ، الى حـــدّ اعتبارهـــا ذواتـــا الاهية ينبغي تسخير طقوس كبيرة لشـــأنهـــا .(2) اذ بحكم مكـــانتها المقدسة و الوساطية التي تلعبها بين الأحياء و الأمـــوات ، فهي من جهة أخرى تحدّد روابط القرابـة حد سيا و شعوريا

---

1)THOMAS Louis Vincent :Les sages dépossedés Univers magiques d'Afriques Noirs.Ed.Robert Laffont.Paris 1977 P.132.

2)THOMAS .L.V. &Luneau.René :Les religions d'Afrique Noirs Textes et traditions sacrés. Ed.Fayard /Donnoêl Paris 1969.P.55

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو ملامس مستمر من البنـاء الفوقـي .
ومنـه فان الشيء الاكيـد هو ان هذا الشعب ، الذى يتميز بـه الجسـم الخطابي ، ليس تباين في النسـق التصورى ، وليـس تنوع في اختيار طريقة الوساطة ، وانما " تعددية للقدرات " التي تجسدها القوى الخارقـة بصفتها صورة رمزيـة للشخصيات السلفـية سواء كـانت حقيقيـة أو أسطوريـة . وبالتالـي فان اشتقاقات التشعـب ، لاتكمـن في علاقـة الجمـاعـات العرقيـة بالقوة المطلقـة كالاه موحـد ، وانما هـي مستمـدة من عبارة (الاله الآخر) (1) او مايعبـر عنـه علمـاء الاتنولوجية الدينيـة (تعـدديـة الالوهيـة) - وهكـذا ، يكـون التشعـب فـي موضوعنـا ، بمثابـة " جمـع القدرة " لتلبيـة المصلحـة المعنويـة لـدى الفئـات المنتجـة لـه والخارجـة عنـه .

وغيـر مقتصـر على صـورة متجانسـة ، وموحـدة وقد يزيـد اثباتنـا ، وتصورنـا لهـذه الفكـرة عـدد المقطوعـات الخطابيـة التـي مـن المفـروض انهـا تتـراوح مابيـن 30 الـي 46 - مقطوعـة غنائيـة - تضـم كـل واحـدة منهـا عنصـرا رمزيـا ، اوشخصيـة ، اومـادة استقطبـت اهتمـام الجماعات العرقيـة السبعـة والتي امتـدت بصفـة مادية وصـارت التعدديـة الرمزيـة هـي الصفـة الاساسيـة في كل مستوى تحليلي اسمارس "الديوان" ، والدليـل الواضـح عن ازدواجيـة النمـاذج التصوريـة ، والنسقيـة السالفـة ، أو العرقيـة .

---

(1) Louis. Vincent Thomas.: les sages dépossédés Univers magiques d'Afriques Noirs. Ed. Robert LAFFONT .PARIS 1977.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2 ـ التـــــــردیـــــــد :

اما الترديد ، كمستوى ثانـي خارجـــي وتحليلـــي للبنيـــة المورفولوجية " للبراج " ، فهـــو عبـــارة عـــن تشديـــــــد للصيـــــغ ، وتأكيـــد لهـا . ونعنـــي بالصيغ هنـــا : الصيغـة الرجائيـــة والتوسليـــــة للقوى الخارقـــــــة ، وكذلك الصيغـــة الغنائيـــة . بحيث تـأدى الصيغـــة الثانيـــة خدمـــة عاليـــة للاولى ،كمعدلات سريـــــة وتثبتهـــا بواسطـــة تكرارهـــا من طـــرف الحضـــــرة بعد ما يردد هـــا " الكريوبانقو" .

لذلك ، يكون الترديد كتقسيـــم عملـــي ، من مهـــام الحضـــرة ـ يأتـي بعد تلاوة أو غنـــاء الشطرين الأوليـــن . الى غايـــة نهـــاية : المقطـــوعـــة . واذا كان الترديـــد يتحمـــل مسؤوليـــة تأكيـــد الصيـغ ، فهو بذلـــــك يخلـــق ويعمـــم ذلـــك الجو المشبـــع بالاحتـرام التخوفـي والمفعّـم بشحـــن الارتباط بالقوى الخارقة ، والشخصيـــات الرمزيـة .

عنـدئذ يبـرز الترديـــد فـــي هيئـة ، أو بنيـــة تقسيـــم عملـــي

وحصـــة مـن الخطـــاب ، المخصصـة والمجهـزة للتكرار ينتفـع بـه مجتمـــع " الديـــوان" لتعزيز الدلالة الحقيقية التي يعطونها لانفسهـــم كأشخـاص ملكيـــن للقدرات ، وللوساطة ، كوظيفـــة يسعـــون اليها كعمليـــة ارتقائيـــة (1) .

---

(1) - C.MAURICE BAWRA: Chants et poesie des peuples primitifs .Ed . payot PARIS 1966.p.50.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يأخذ هذا الوجه الخارجي للجسم الخطابي في "الديوان" أشكالا متعددة ، نحصرها في محورين أساسيين ، أولهما التردد العام ، والذي يشتمل ترديد الأشطر بكاملها بعد تنفيذها من طرف " الكوبو بانشو" .

أما الترديد المتدرج ، فهو في هذا المحور يمثل صفة لتصغير الأشطر والتخفيف من الكثافة اللغوية والنطقية وتعويضها بعنصر السرعة التنفيذية في الموسيقى لخدمة الحالات النفسوية في "الجذبة" إذ يصبح الزمن المستغرق في تنفيذ الكثافة النطقية أقل من الزمن الذي يستغرق في سرعة تنفيذ الموسيقي ، ليتخذ الترديد صفة المادة السائلة والمرنة ، في تنفيذ "البراج" من جهة كسلسلة خطابية ، وتوصيل حرارة " الجذبة" الى مرحلتها القصوى ، وبالتالي ايصال الجماعات العرقية بموضوعهم العام والمبني (1) وتوحيدهم بالمواضيع التجريبية الفردية أو الجماعية .

اذ يُدعم هذا الترديد المتدرّج بتلك الخفة والرشاقة التي يبدو فيها الجذاب مسخرا كل طاقته من أجل تنفيذ موضوع التشيل في " الديوان" . ومنه يعد تركيزنا على الترديد جليا لضرورته ، وما يقدمه من خدمة ، واستعمال وظيفي لطبيعة الرقصة من جهة ، والمضمون التطبيقي للممارسة في ذلك الوقت .

ولعل اهتمامنا بهذه المظاهر الخارجية للمواضيع الشعرية أو الحالات الشعرية لممارسة "الديوان" ، قد يوضح مدى أهميتها في مثل هذه الدراسات ، فلأنها تبين لنا العجز الواضح ، والغياب للمصادر ، والمفاهيم المحلية الخاصة بالجماعات العرقية التي نحن بصددها .. ولكن هذا يعيقنا من التقرب من ماهو متصور فعلا في الحالات الشعرية "للديوان" ، بل بالعكس ، فقد فتح لنا هذا العجز مجالا واسعا في اللسانيات ، كعلم يبحث في المونيم الخطابي ، والأشكال الاتصالية الأخرى للتنقيب ، والربط بين المتغيرات في هذا الميدان (2) .

---

1)Rouget GILBERT:La musique et la transe , esquise d'une théorie générale de la relation de la musique et de la possession.
Ed.Gallimard.1980.P.64

2)Cohen.MARCEL :Le language: Structure et évolution.
Ed.Sociales Paris 1950.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللدلالة عن الاسهامات الممكنة من جهة اللسانيات، قيامنا باستعارة بعض المصطلحات التي تستخدمها في دراسة الموضوع الخطابي لتوظفها في خدمة اعادة التركيب التاريخي للحالات الشعرية في " الديوان " وتبني الخصوصية البارزة داخل السياق العام، حيث المعطيات قوية، وغير متجانسة اذ أنّ الأمر متعلق هنا بمزايا، أو ايحاقات البعد التاريخي الذي تعرفه الحوادث الشعرية، والتخزين الزمني الذي شوّه وجه الحالات الشعرية.

وعليه صارت ضرورة التنقيب وملاحظة ديناميكية الجوهر الضمني، ونوعية التقلبات التي ميزتها، ثم اشكال الاستقرار التي ثبت عليها ملحة وندرجها تحت مايمكن أن نسميه بتسرب الخطاب كمتغير تشمل مراجعة الحوادث الشعرية، والأسطورية، بمقارنتها بنيويا مع المعطيات التاريخية، أو الانثولوجية للجماعات العرقية.

3- التسرّب الخطابي:

اذا افرضنا - وجود مسافة تاريخية قطعتها الحالات، والمواضيع الشعرية وبالتالي، خصصنا لها ميزة عدم استقرارها، فهذا يرجع للانعكاسات التي تراكمت فيها، والتي لايمكن ان نستشفها، الا ضمن تحليل بنياتها الأسطورية أو التاريخية اذ، حتما سيلتقي أو يتوازى فيها البناء الأسطوري الجديد مع ماحصده الماضي من بيانات تاريخية.

هذه الأخيرة ساعدتنا كثيرا ووضحت لنا في معظم قراءاتنا، ان من أسباب تغيير أو تسرّب الخطاب، ترجع الى تحوّل البنيات اللسانية، التي اختلطت بها، والى التغيرات العقائدية والثقافية (الاسلام) التي عرفتها بعض الجماعات العرقية، وخاصة منها تلك التي كان لها دورا بالغا على المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لذلك الوقت، أو على الأكثر في اثراء بناء مفهوم الحضارة (1).

---

(1) - كامبراطورية صونغاي - حوصا مه بنبرا - سيغو - برنو - كاتسينا - اللاتي نجدها في الخرائط الملحقة : رقم - XXXX

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذ بنفس المنطق البنيوي المطبق على الأسطورة ، تاومت بعض الوحدات اللغوية ، أو التصورية عن نفسها لتبقى سارية المفعول وتؤدي المعنى الألوهي والمقدس الذي نجده في الطقوس النموذجية ، الأمر الذي سمح بتشكيل نمطين تصوريين ، وتعايش ديانتين في آن واحد .

اذن هذا التعايش الى تسرب بعض اللهجات المحلية والأصلية واستبدالها بما يعادلها أو حسب اختيار آخر ، او بموجب وحدات نطقية ، أو لغوية ، أو تقنية ، لتنفيذ التخليد . فبدأت تختفي أصالة الجمال الخطابي بمميزاته الايكولوجية وكذا التركيبات التقليدية - ان صح القول - لتحل محلها معاني الواجب أو الوظيفة ، او ميتولوجية جديدة .

وقد يوضح لنا هذين النموذجين الخطابيين ، صورة أو طبيعة محتوى الغلاف الجديد الذي تكتسيه الى حد الحين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لافو لافـــو يا مولانـــــــا

لافو لافو يا مولانا حبيب الله يا رسول الله
لافو لافو يا مولانا حبيب الله يا رسول الله

لافو لافو يا مولانا اى ويالالي مولانا
لافو لافو يا مولانا اى ويالالي مولانـــا

اى لافوريا رجال الله حبيب الله يا رسول الله
يالصلاة النبي يا رجال الله حبيب الله يا رسول الله

لافو لافو يا مولانا اى ويالالي مولانـــا
لافو لافو يا مولانا اى ويالالي مولانـــــا

يا سلام عليكم يا رجال الله حبيب الله يا رسول الله
يالافو يا قناوى حبيب الله يا رسول اللـــــه .

اى لافو يا مولانا اى ويالالي .. مولانا
اى لافو يا مولانا اى ويالالي قناونـــــي

لافو لافو يا مولانا حبيب الله يا رسول الله
لافو لافو يا مولانا حبيب الله يا رسول الله

اى لافو مولانا حبيب الله يا رسول الله
اى لافو يا مولانا ، اى ويالالي مولانـــا

اى لافو مولانا حبيب الله يا رسول الله
اى لافو يا مولانا حبيب الله يا رسول الله
لافو لافو يا مولانا حبيب الله يا رسول الله

اى لافو مولانا ، حبيب الله يا رسول الله
اى لافو يا مولانا اى ويالالي مولانـــا
اى لافو مولانا حبيب الله يا رسول الله
لافو لافو يا مولانا حبيب الله يا رسول الله
لافو لافو يا مولانا حبيب الله يا رسول الله

اى لافو مولانا حبيب الله يا رسول الله
اى لافو اى ويالالي قنانـــي
اى لافو مولانا حبيب الله يا رسول الله

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اى لاقناوى بابا حاموا صلو نبنـا
اى مول الديوان بابا حاموصلو نبنا
ياسيدى حاموصلو نبنا بابا عامرصلو نبنا
اى صلاة النبي صلو نبنا بابا حاموصلونبنا
اى بابا حامـوصلو نبنـــــا
اى بابا حاموصلو نبنـــــا
اى سيدى حامو صلو نبنـــــا
اى سيدىحامـو صلـو نبنـــــا
اى على حامـــوعليـــــــه
اى مول الديوان عليـــــــــه
اى على سيدى عليـــــــــه
اى على القروالـي عليـــــــــه
اى على حاموعليـــــــــــه

اى قناوى بابا حومو صـلو نبنـا
اى لاقناوى بابا حاموصلو نبنـــا
اى لاقناوى بابا حاموصلو نبنـــا
اى لاقناوى بابا حـاموصلو نبنـا
اى بابا حامـــوصلو نبنـــــا
اى بـــــابا حامو صلو نبنـــــا
اى باب حاموصلو نبنـــــــــا
اى بابا حامـوصلو نبنـــــا
اى وعلى حامـــوعليـــــــــه
اى وعلى حاموعليـــــــــــه
اى وعلى حاموعليـــــــــــه
اى وعلى حاموعليـــــــــــه
اى وعلى حاموعليـــــــــــه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التحليـــــل :

نلاحظ في هذا المثال أن مايشد الانتباه في المقطوعة الاولى هو الكلمة " لفو " ، التي نشكلها كما هي مستعملة في نظامها الناطقي ، بحيث بهذه التنظيمة الناطقية والصوتية التي تتجهها تبدو قريبة للشكل الخطابي الحقيقي ، وتحمل بذلك نفس الخاصية التي تدمجها داخل السياق الاصلي .

في حين انها كلفظة ثانية متبدلة عرفت تغيرات عبر التقاطعات الزمنية - توحي الى خطوة معنوية عالية تتمثل في "طلب العفو" من القوة المطلقة أو الثانوية والاستغفار منها .

لذلك اتخذ معنى "العفو" "والمغفرة" - كتركيب لغوي يستلهم قوته نطقيا من محليته واصالته - أما باقي المقطوعة فهو يظهر بصفة واضحة سواء من حيث البناء الشكلي أو الضمني ، انه متجه لهذا الكون الذي تستهدفه الجماعات العرقية عند مناداة القوة الحقيقية ، والاستنجاد بها .

ونشير الى ان هناك مثال آخر ، والاخير في هذا السياق من بين المقاطعات التي تصور لنا هذا التسرب ، اذ في هذا المثال الثاني سنبدو اشارة الحنين الى عهد الامارات والمقاطعات الكبرى التي سادت ذلك الوقت ؛ منها مقاطعة "غينيا" لتمثيلها تاريخيا ، وزمنيا المستودع الكبير لتخزين العبيد أو تسويقهم او تموين بعض المقاطعات الأوربية . فتغيرت أيضا هذه اللفظة واضيفت لها بعض العناصر ، قد لايهتز لها الانسان العادي ، اذا مالم يتمعن فيها ، ويقربها بصفة تحليلية للاختبار والتمحيص ، وعلى هذا الأساس صارت اللفظة " قناوي او لقناوي " في تصورنا مدلالة واحدة ومتكاملة ، تتضمن النمط الحياتي لما قبل دخول تجار " العبيد " والاوروبيين ، ثم في نفس الوقت ضمنها لجوهر متعلق بالمواقف ازاء هذا الدخول والسلوك الاجباري القمعي ، وفي هذا الاطار اذن تأخذ لفظة " قناوي " ، أو "قناوي" معنى الرفض وعدم قبول للنشاط اللاإنساني وبالتالي اللاروحي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يملي علينا بصفة محققة أدوار التقاطعات الزمنية التي تميز الحالات الشعرية في ممارسة "الديوان" ، وتبين لنا عمليات التخزين للأفكار العامة ، والأساسية الموضوع الشعري فتكدسها من دون أن يشعر أحد بمحتواها المفكك .

وتعيّن لنا من زاوية السرد ، كيف أن الموضوع الشعري يبقى محتفظا بقيمته ، في حين أن مكوناته النموذجية الجزئية تبدأ في الاندثار ، والانحلال ( ) لتصبح مجرد رواسب وبقايا .

4- الاشتقاقات :

تعتبر الاشتقاقات التي تعرفها المقطوعات الغنائية كنافذة أخرى عن مورفولوجية الجسم الخطابي وكعنصر تحليلي من أهم اقتراحاتنا وهذا لما توصلنا اليه الى حد الحين او بالنسبة للذي مازال مخفيا ويحتاج التنقيب ايضا .

اذ يرجع هذا الاهتمام ، والتركيز الغير الطبيعي ، الى اصطدام حدث عثرنا عليه خلال قراءة لخرائط القرن السادس عشر ، والسابع عشر ، في ميادين متنوعة ، كان منها ميدان جغرافية إفريقيا خلال هذا العهد ، التقني ، في هذا الحدث فضاء مقطوعة خطابية والتي تستحضر لتخليد نوع معين من القوى الخارقة (الجنون) يطلق عليها "أولاد سرقو" للدلالة عن نطاق تصوري بنظامه الاعتقادي - الذي وضحنا ، سابقا - بتسمية لمقاطعة أو دويلة وجدت في هذه الخريطة - تدعى بمقاطعة "سيغو" ، والتي هي فعليا ، وبصفة ملموسة مجال جغرافي ؛ تميز بطبيعة سكانية وسكنية ، ونشاطات اقتصادية تسير في مجرى واحد نتيجة تعرضها للاعتداءات المتوالية عليها في ذلك الوقت ، اذ كان موقعها ليس في صالحها تماما ، استطاعت أن تخترقه الجاليات الأوروبية خلال مسيرة العبيد مرورا على الفضيحة ، أو أن لفظة " سرقو" ، كتسمية تطلق على كيان مقدس ، نجدها مشتقة

( ) - لانعني بالاندثار والانحلال هنا ، الاتجاه نحو الزوال والموت ، وانما تعني الحالات الشعرية في خلال خط سيرها التطوري الى التنظير الشفوي ، بحيث تسمح الحرية التي تتمتع بها الشفوية الى أن يصطبغ كلما يسرد حسب المجال الذي يحال اليه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من تسمية "صورو غو" كتسمية أيضا كانت تطلق على مجموعة سكانية مجاورة لمقاطعة بنبرا" ، وصونغاي" - وهو الافتراض الأكثر احتمالا - مادامت قبائل "البنبراويين" ، "والصونغاي" هم الذين اكتشفوه واطلقوه على مجتمع "البوصاويين" لرسم وحدة جغرافية ، وترقية تنافس بها القبائل الأخرى .

وبنفس الدعائم التي يقترحها "ميشال فوكو" اركيولوجية المعرفة (1969) وامتثالا لوجهة نظره في تحليل الوحدات الغنائية او الخطابية مع تحديد لخصوصية هذا الخطاب ، استقام مثال آخر حول الاشتقاقات ، التقت فيه هذه المرة ، عدة عناصر لتأكده ، وتتمثل هذه الحالة الاشتقاقية في تقارب لفظة " بابا ثورما" ، كمقطوعة غنائية أيضا ترمي الى تجديد حالة شعرية متصلة بالقرون الخارقة البحرية كما هي في التسلسل التصوري لواسم مقاطعة "ديرما" او "جيبرما" ، التي كانت توجد على نهر النيجر ، والتي تميزت باعتمادها على نشاط الصيد البحري ، والزراعة وتربية الابقار (1) ولكن هنا أيضا يبقى الشك يراودنا الى غاية اثبات هذا التصور ، لانه بامكانه لفظة " بابا ثورما" ان تكون اشتقاقا " لثورما" للاشارة عن الامارة القديمة ، والتي هي أيضا تربعت الحوض النيجيري ، واعتمدت على الصيد البحري وغيره من النشاطات الاقتصادية والتي اهتمت بالجانب السياسي أيضا لماكان يجاورها من قبائل تكن لها العداء والمقاومة (2) واضافة الى هذا ، فان ماجرنا الى هذه الاستخلاصات هو طريقة تنفيذ هذه المقطوعة الغنائية ؛ بحيث اذا كان يستحضر في كل موضوع تمثيلي ، أو حالة شعرية ، جهاز خاص ، فان المادة التي تستعملها الجماعات العرقية أثناء " الجذبة" تتمثل في " الماء" - يقوم الجذاب خلالها ، وفي يده عصا طويلة نوعا ما يدور حول الماء الموجود في القصع ، مصورا فيها طريقة "الجدف" وعندما يصل مرحلته النشوية ، ينحني على ركبتيه ، ويقدم يديه داخل الاناء الذي يحمل الماء محركا اياها ، وكأنه يسبح .

---

1)Les Dyerma et les Songhay,leur migration en sens inverse,in belletin de comité d'études Historiques et Scientifiques de l'Afrique Occidentale Française.T.14 .1931 .P.477

2)Ibid.Pg.480.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد زمن قصير يرفع ذلك الإناء فوق رأسه ، ويصب الماء على ذاته عندها يرتمي الجذاب بأواسه على ذلك الماء ، ويبدأ في الدوران على صورة السمك حينما يكون مخاريا .

الواقع أن موضوع الجذبة ليس موضوع انشغالاتنا في هذا المصدد ولكن ضرورتها التقنية هي الحساسة في مثل هذه التركيبات . ومنه لتوضيح خصوصية الأشكال الخطابية المتعاقبة " بالديوان " كان لازما علينا ، أن نتابع كل الاجراءات المسبقة ، أو اللاحقة لممارسة " الديوان " ، وفي كل المتغيرات التصورية التي يعتمد عليها لنتمكن من الاجابة على المقاييس التحليلية ، والقابليات الخاصة " بمستويات ممارسة " الديوان " .

وبذلك فان " البنيوية " في مجالنا العملي والاستخدامات لها ـ ليست مذهبية ، وانما مشكلا منهجيا نطرح فيه قضية تشكيل جسم خطابي منسجم ، ومتجانس ـ وكيفية قيام مبدأ الاختيار لزاوية الانطلاق ـ ثم أن مراعاة هذه الترابطات الوثائقية تستوجب مركزية على بعض المراجع المرتبطة أساسا بالحوادث والحالات ، وبالمؤسسات والممارسات والألفاظ المستعملة . . . أو بنياتها الخارجية التي توحدها .

فليس من السهل اذن أن تجتمع كل الإجابات ، والافتراضات المقترحة ولن تجد لها نوعا من الواقعية مادام جسمها الخطابي يحمل بعض الشوائب ، وبعض الزوائد التي لا تدري مصدرها

وبذلك فهذا الدليل عن عدم صفاء ، ونقاء الممارسات الدينية . اذ يمكن اعتبارها النتائج الرئيسي للمادة الشفاهية والتراكم الزمني الذي يعرفه كل جسم خطابي ، في حين انه للتخلص منها :
ينبغي اقامة كل الروابط الممكنة بين البنيات التي تتركب وتكون هذا الجسم الخارجي منها ثم الداخلي ، أي الضمني ثم ما بين الخارجي والضمني في نفس الوقت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانطلاقا من هذا كله ، تصبح الدراسة المورفولوجية أو البنيوية للخطاب من أهم الطرق لفاعليتها التحليلية ولاستعمالاتها الكطيعة تجريبية تسعى الى ابراز مجال انتشار الحالات الشعرية ، وجعلها بذلك حرة ، لوصف التلاعبات العلاقية بذاتها ، وخارج ذاتها .

ونستنتج من هذا كله ، أن كل البنيات الخارجية المتعرض لها واللاحق منها ، متكاملة في جوهرها وتخدم كلها بطريقة تصون الموضوع العام لممارسة "الديوان" ، والقائم على اشراك الجماعات العرقية في نموذجية تصورية معقدة ، وموحدة ، ونظام انتمائي منسب الى رمزية الحالات الشعرية التي تتضمنها .

هذا الانتماء الذي تصوره الجماعات كذاتية من جهة ، وكمقياس احساسي من جهة ثانية ، نجده في هذا البناء الخطابي مستحوذا هو الآخر على مكانة ، او منزلة كوحدة نظامية تدعم "البراج" ، وكانعكاس لطبيعة الرابطة ، والعلاقة التي تجمع بين الجماعات العرقية والحوادث الشعرية المتعبّر عنها في مجموعة معيارية :

5- معايير الانتماء

ونقصد بها ، الوحدات القياسية لطبيعة الانتماء بشكله الرمزي والفعلي ، والتي تمثلها صفات لغوية ، أضيفت لتجسيد الانتماء الى الاجسام والشخصيات . ولتأكد بها ارتباطاتها بالتجارب السلفية والمعاشة . وتبدو رتبتها في المجال الخطابي واضحة ، وطبيعية لكونها تشير الى توزيع ارتباطي أيضا خاص ، تتحدد نمطيته بصفة متفاوتة ، ومحققا بذلك الانتماء صفته الانتقالية من أقصى حد الى العلاقة "الامتثالية" كالأبوية ، للوصول الى ما يمكن تسميته "باليتمية الرمزية" وهيئة الانساق القرابية المعروفة ، ماعدى الدموي منها ، للتعبير بها عن الرابطة التي تشد الجماعة العرقية الواحدة بشخصيتها او حدثها التاريخي من دون أن تمزج بين اجهزتها التصورية والايديو-دينية .

---

(1) - نقصد من أقصى حد ، المعيار الانتمائي ، سيدي
- نقصد من العلاقة الامتثالية المعيار الأبوي بابا/ بويا/ .
- نقصد من اليتمية الرمزية المعيار الانتقالي ، ماعندي والي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذلك تمثل هذه المعايير الانتمائية في المقطوعات الخطابية المرحلة الانتقالية التي تعرفها الجماعات كاحساس للمرور وباوة صفة الترابط والوحدة مع القوى الخارقة او المطلقة وتحقيق التحاور معها سواء لاستعادة القيم الحقيقية والبناء التاريخي والثقافي ، ام لاسترجاع الذات نفسها حينما يشعر بانها مخمورة .

نتيجة لذلك تختلف اشكال المقطوعات ، باختلاف العلاقات التي تقرّها لها ، وبالصور الرمزية ، ولا تعني شيئا آخر ، ماعدا ان هذه العلاقات الانتمائية ، ومعاييرها في حد ذاتها تشكل الجانب المسيطر والمهيمن في البنيات الاجتماعية ، ومبدأ لسيرورتها .

نستخلص من هذه الرؤية للجسم الخطابي ، ان الحنين كناتج ذاتي ، اوكعامل نفسي ، قد يهدنا لفترة معتبرة ، ربما لكونه الموفر لمعطيات تبدو ، بعيدة عن الملاحظة الموضوعية . الواقع ان هذه الموضوعية ليست بعيدة ، وانما مذمورة بالذاتية وتسيطر عليها الى حد تصوّر هذه الذاتية كبناء فوقي ، اما الموضوعية التي تميز الحالات الشعرية كمضامين داخلية معاشة تجريبيا ، فهي مترجمة كبناء تحتي ، وقاعدي ، وما يميز العلاقة الجدلية الموجودة بينهما في ذات الوقت هو التصور الذي تحمله الجماعات العرقية ، وبالتالي محاولتها التركيبية لتاريخها وثقافتها كطريقة تسترجع بها كلماتها وصورها الرمزية ، وشخصيتها الفعلية وكذلك عن طريق التحديدات لمختلف الاحساسات عند التقاء الجماعات لتجديد واعطاء وجه الاستمرارية لهذا الاحساس ، مادام مفكرا فيه قبل ان يكون تصورا جامدا ومجردا .

ولايسعنا الا تقديم بعض النماذج التي تبين هذه الصور العلاقية والترابطية الرمزية وتخصيص امتلاكها لاغراض السياق التاريخي والثقافي .

- أي رين أسيادي جانقاي ماما أيي يالا جانقاي ساما (ترديد)
- أي لقنلوى بابا حسو صلوا نبنا أيي لاقناوى بابا حمو ..
- ما عندي والي يا ابراهيما خيف الله بويا ابراهيما ..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودائمـــا في اطـــار البحـــث عن ثقل أحـد التســعين المكملـــين " للجذبة " فـــــان المواضيـــع الشعريـــة تحـــضى بقـــسط هام ومعتبـــر من الوظيفيـــة ـ ليس بالمعـــنى المذهـــبي أيضـــا ـ وانمـا كونهـــا تترجـم البنيـة الايمائية واليدويـــة الـــتي تتضمـــنها " الجذبـــة" ، وكذلك لكونهـــا تعطي المدلول الفعلي خـــلال سيـــرورتها .

وبذلك يسعـــى الخطـــاب في "الديوان" الـــى اخـــراج "الجذاب "بنوعيـــه مـــن ذات جسمـــه للتعـــبير وتجسيـــد المواضيـــع الخطابيـــة فتجعلـــه أكثـــر فاعليـــة وأكثـــر نشاطـــا . فهـــو يضيـــف الكثير ، للدلالـــة عـــن الهويـــة الفرديـــة والجماعيـــة تاريخيـــا ، وثقافيـــا .

لذلك ، "فـــان الخطـــاب يوضـــح الفعـــل أو الحركـــة الايمائيـــة وهذه الأخـــيرة تعـــطي لـــه قيمتـــه الملموســـة " .(4)

وبهـــذا نميـــز الخطـــاب والمواضيـــع الشعريـــة في "الديوان" ، بأنهـــا صـــوت الوعـــي الجماعـــي ، والعبـــارة الـــتي ترغـــب الجماعـــات تقديمهـــا فـــي هذه المناسبات ، أو انعكـــاسا لتجـــارب ملموســـة .

وهنا تكمن ارادتنـــا فـــي تحليل المحتـــوى الـــضمني لهـــذه الخطابات والمغـــزى الـــذي يحملـــه هـــذا الجسم ؟ والكيفيـــة الـــتي يرد فيهـــا ؟ . . .

ـ البـــــراج ؛ كشعارات الجماعات العرقيـــة ؛

اذا أخذت منـــا البنيات المورفـــولوجيـــة لهـــذا الجسم الخطـــابي كل طاقاتنـــا ، فهـــذا ليس بغـــرض تخميني فحسب ، بل لنصـــب مشهـــد معقـــد متمتـــع بـــه الخطابـــات الشعريـــة ، اذ يشكّـل هـــذا التعقيـــد في حـــدّ ذاتـــه الأرضيـــة الـــتي تقـــوم عليهـــا الظواهـــر الضمنية للمواضيع ، ولهـــذا كـــان الـــتزامنا ، بوضـــع هـــذه المواضيـــع الشعريـــة في نطاق سياقهـــا التاريخـــي ، والاجتماعـــي والاقتصـــادي ، والتصوري ضـــروريا للدلالـــة عـــن قطيعـــة ابستيمـــولوجيـــة بينهـــا وبين البقايـــا والرواسب الثقافيـــة التي تحملهـــا عـــبر الزمـــان ، والمكـــان ، أو للتمـــييز بين موضوعية المواضيـــع الشعريـــة ، كميـــدان قـــابل الخضـــوع للعـــقلانية والـــدقـــة والذاتيـــة الـــتي تعـــبّر عنهـــا داخـــل هـــذه الرواسب الثقافيـــة الضمنية ، ولهـــذا فان دور الخطـــاب ، يكمن في التعبيـــر علـــى الحالات المعنويـــة العميقـــة ، أو مـــانقصـــد به في الحديث عـــن الذاتيـــة .

---

1)C.Maurice BAWRA:Chants et poésie de peuples primitifs

Ed:Payot .Paris-1966.P.39

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن هذه الوسمة ، او النقطة ، لا تعكس حالة ستاتيكية تعرّف بها المضامين الشعرية ، وانما بالعكس ، فهي بديناميكيتها وحيويتها تجعلها ، او تأهلها الى أن تعود حاجة اجتماعية ودينية اثناء قيام ممارسة " الديوان " ، وضرورة كوقفة سوسيو - دينية

وكاستنتاج قبلي اذن فانه اذا كانت هذه الحالات الشعرية او الشعارات - حية ، فلانها وسيلة التعبير اولا وتحمل رمزية حيّة تميز بها وجهها العام ، وأخيرا ، لكونها انعكاس للشروط الاجتماعية والاقتصادية والدينية التي أنتجت فيها كما جاء على حد تعبير - موريس بوآرا ، (1966)(1) وفي هذه المجهرية الفنية استقام اختيار تحليلنا وتصورنا لهذه الذاتية والديناميكية التي تتميز بها الحالات الشعرية . ولفضلها ، استطعنا أن نقسم هذه الشعارات التي صنفين ، أولها شعارات حيوية(+) والثانية شعارات الألوهية التي تحتويها ضمنيا ... اذ تعكس مضامين الاولى انواعا من الانماط الحياتية ، والحيوية أو الفعالة في حين تبقى الثانية كعوامل محرّكة لهذه الانماط المعيشية والحياتية ، تمثلها شخصيات أو قوى عالية فاقت التصورات الذهنية فصارت مقدسة . أو تمثلها أخيرا حوادث فعلية و تاريخية ، فصارت هي الأخرى معتزبها مبدئيا (سيدي بلال) . فان كان تصنيف الحالات الشعرية كشعارات حيوية هو انعكاس لشروط اجتماعية ، واقتصادية ، فهذا لا يعني تسخير القدرات البشرية (الجماعات العرقية) للتأثير على الطبيعة واستخراج خيراتها فحسب بل نضيف الى هذا الانعكاس الذي يتحدث عنه " مورسي بوآرا " تأسيس و تكوين انماط علاقية مطابقة لهذه " الاشكال الاسلوبية ، بحيث تحددها مجموعة اصطلاحية ، كطبيعة النشاط "البضاعة " تراكم البضاعة ، " التبادل " القيمة التبادلية ، ولتوضيح هذه الوجهة التصورية ، نرجع قليلا الى تلك التشكيلات القبائلية التي كانت تميز الواحدة عن الأخرى بنشاطها الاقتصادي ، وطرق الاتصال فيما بينهما لقيام التبادل .

---

1)C.Maurice BAWRA .Ibid Pg.12.

(+) - " البراج " كشعارات : لفظة مستعارة عن :
SEYDOU CHRISTIANE: "La devisedans la culture peuls .In langage et culture Africaines.De Genevieve Calame Griaule.
Ed-F.MASPERO .Paris 1977.Pg.187.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالصيد والصيد البحري ، والزراعة ، والتنقيل من ضفة نهر الى آخر (. . .) لا نعتبرها في سيرورتها فحسب - وان كانت هذه التجهيزات ، ماتزال عالقة بالمضامين الخطابية - بل أيضا في تلبيتها للحاجات الاجتماعية الضرورية من مواد وبضاعات قابلة للاستهلاك المحلي والتبادل بها حين الاكتفاء متابل بضاعة أخرى .

الشيء الذي يعطي لهذه البضاعة ، طابعا خاصا تتحول خلاله من بضاعة الى وحدات قياسية للتفريق بين قيمة مادة وأخرى ، لتصبح بذلك العلاقة بين القيمتين ونوعيتها هي علاقة قيم ، بين الطرفين المتبادلين ، وعلاقة قيم بين البضاعتين ، وخير دليل على هذا مثال مادتي " الفول " ، أو " الملح " التي اكتسبت قيمة خاصة سواء داخل بنياتها الاجتماعية او خارجها الى حد اعتبارها كقيمة ، أو وحدة قياسية تبادلية بينهما ، وبين الانسان .

ومنه فان ماتحتفظ به الجماعات العرقية ، ويربط بعضها لبعض ليست اجراءات الصيد ، كالتمويه ، باستعمال الرماد رمزيا وكساسة تقنية يزخرون بها ، ولا على مكان يوفره نهر النيجر بالنسبة " لحوصا " وغيرهما ، وانما للايمان بالعلاقات الاجتماعية التي تخلقها هذه الاشكال المعيشية ، وأشكال الأساليب الانتاجية السائدة داخل التشكيلة الواحدة ، أو بين التشكيلات المتباينة ، وأنواع القيم والمعايير التي كانت تنتج عنها (1)

عندئذ ، كل مايمكن أن تقدمه لنا الشعارات الحيوية اذن ، انها تتجاوز الافكار العامة لهذه الانماط المعيشية ، وأنها لا تقتصر على الجزيئات ، والرواسب التي تكونها ، بل انه حين جمعها تعطي لنا كتلة تقنية تخدم الخطاب الذي يعبر عنها ، لأن الرماح على سبيل المثال والقباعات كتقنيات صورية في " الجدبة " ليست كافية لوضع بصمات النشاط الاقتصادي الواحد طولم يكن هناك خطاب بوحداته الحسية والفنية التي تصنع لنا العلاقة الكاملة والبناء الضمني ، الذي تحمله الجالات الشعرية الحيوية .

---

1)GODELIER.Maurice:"Horizon,trajets marxistes en Anthropologie".Nouvelle edition-II.Coll-Maspero. Paris.1977.Pg.229.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ مـــــارو *

اى اى اى ، اى ياشهد لااله الا الله محمد رسول الله

ياواى ياواى ايا اى اشهد الا الاه الا الله مارو

ايا ، اى ، اى ، اى ياشهد لاالاه الا الله مـــــــارو

ياولى مياواى ايا اشهد الا الاه الا الله مـــارو

ايا ماى ، اى ، اى ياشهد لاالاه الا الله مـــارو

ياواى ياواى ايا اشهد الا الاه الا الله مارو .

صلوا ندى يامورنا اشهد الا الاه الله مـارو

ياواى ياواى ، ايا اشهد الا الاه الله مـارو .

ـ هي مقطوعة تستحضرهـــا اما عند جمع محصول الارز (مارو) او زراعته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانطلاقا من هذا يتضح ، انه اذا كان المحور الاقتصادي كواقع اجتماعي ، يمثل وجها ، غير منفصل عن الوحدات الخطابية فهذا لكونه مجموعة فعالة وحيوية ايجابيا على الوقائع الاجتماعية التي تندرج ضمنها عناصر اساسية ، كالغابة ـ الانهار الارض ـ كمصادر وميادين معيشية ، تستحق التقديس ، وتشريفها سواء لمضاعفة انتاجها ، وخيراتها ، او لتقوية وجود الفريسات او ابعاد العراقيل التي بامكانها ان تعترض قيام النشاط الاقتصادي وخصوصا القوى الشريرة .

فليس المهم اذن ، اتخاذ النشاطات الاقتصادية ، كتاثيرات ايجابية على الوقائع الطبيعية ، فحسب ، بل اكثر من ذلك انتاجها لعلاقات اجتماعية تعمل على مستوى الرموز والبناءات التصورية للافراد الى حد اعتبارها اجزاء داخلية وضمنية (1) ، مادامت هذه الوقائع او الانماط المعيشية تقوم اساسا على ماتوفره من عناصر اساسية (اشجار ، زرع ، نبات ، حيوان ، سمك ...) ، وتعكس بذلك علاقاتها بالنشاط الاقتصادي .
اذ تصبح علاقة الجماعات العرقية بالانماط المعيشية ككلية ، كما يعبر عنها (موريس قودولي) كشخصية موجودة في كل مكان ، وقادرة على كل شيء (2) ، بحيث تحررهما وتنجز لها خدمات ضرورية ، وتوسع لها مجالاتها .

هذا الاجراء الاخير ، وهذا الانفتاح ، ليس طبيعيا معترف به من طرف الجماعات المجاورة ، وقد لايعد بذلك انعكاسا لتطور سابقتها او نموها . بل قد يمكن ان يكون له رد فعل ما او موقف سلبي اتجاهه ، ليطرح علينا قضية جديدة تندرج محاورها ضمن اهتمامات ميادين السياسة ، لتاخذ بذلك اشكال الصراعات والاعتداءات المجالية مابين القبائل او الامبراطوريات (3) حيزا واسعا في الشعارات ومنزلة فنية ، وتصورية متينة ، تترجم فيها علاقات القوة .

---

(1) Ibid .Pg.232.

(2)Ibid .Pg.233.

(3)Histoire Générale de l'Afrique Noire :"La Dislocation des grands Empires ":Colle.dirigée par : Ibrahima BabaKAKE:& Elikia M'BOKOLO .Produite par : DAN-FRANK .Paris VOL:03 Pg.51.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تخطـــر فيها الجماعات المغلوبـــة من مهاجـرة أراضيهـــا مثـال مقاطعـة " صونغاي " وصراعاتهـا المتتاليـــة مع " المغاربة " ـ أو هجـرة أهالـي بـــرنـو ، وقـورمـا " ، لتدخـلات أمبراطوريات "حوصـا" وكتيسينـا . أو تلك الصـــور العدائيـــة الـتي تكنهـــا بعض الجماعات العرقيـــة لجماعات العرقيـــات السواحـل (. . .) ، لمساهمتهم في تشجيع تجارة العبيد وتوشيـــح لخطوطهـــا نظـرا للامتيازات التي كـــانوا يتمتعـون بهـــا (كاللغـــة ، والتجربة ، في الاستعانـة بالطـــرق . . .) ، فكانـــت بذلك البدايات الأولـــى لعـــدم المســـاواة الاقتصاديـــة والسياسية في داخـل هـــذه البنيـــات الاجتماعيـــة .

عندئـــذ يظهـــر بشكـل واضـــح أن حيويـــة الشعارات ، أو الحالات الشعرية في "الديوان" ، تـــقوم أساســـا على انمـــاط البيانات الواقعيـــة الـــتي تقدمهـــا ، وتوفرهـــا ، والـتي تفســـر ، وتحـدد سلوكـات الأفـــراد والجماعـات ظرفيـــا ، وفي أوقـــات موافقـــة لطبيعـة ، أو درجـة تطـوّر ، أو تحـوّل التشكيـلات الجماعيـة ، لتصبـح بذلك هـــذه الحالات الأزميـــة كمـــا يعـــبر عنهـــا : الـــبار أو ادرا ووقـــو : مصـــدر انتاج شعري ومغنيـة لشـــروطهـــا (1) .

ونتيجـــة لهـذا كلـــه ، فان ماتحتفـظ به الجماعـات العرقية ، مـــن خـلال تكرارهـــا لمناسبات استحضـــار الخطابات ، هـو ذلك العمـــل الباهـــر السلفـي ، أو الماضـــي ، أو الجـو العلاقـــي بتناقضاتـــه وحركيتـه المباشـــرة ، والغـــير المباشـــرة .
والـى جانب هذا الاتجـاه الديناميكـي للشعـارات ، والحالات الشعريـــة يتدخـل ما أسميـنـــاه : بالشعـارات الألوهيـــة : لتسطيـــر ، وتمتلك لصالحها المجـال الخطـــابي بكليتـــه ، والـذي تصـوّر فيه الازدواجيـة النموذجيـــة لنسقيـــن دينييـــن ، أو بالاحـــرى ، نوعيـن مـن التمثيـل المسرحـــي تلعب في النـوع المطلـــق ، شخصيـــات حقيقيـــة ، دورهـــا الاجتماعي ، أمـا فـي النـوع الثانـــي ، والنسبـــي ، فهـــي شخصيـــات سلفيـــة .

---

1)Albert OUADRAOGO:"La chanson Traditionnelle ou lorsque la circonstance est source de poesie".
In colloque international sur l'orialité Africaine:C.N.E.H. Alger 12.15.Mars 1989.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(1) ـ الشخصيات الحقيقية :

تحضى الشخصيات الحقيقية في المجال الخطابي وفي ممارسة " الديوان " عامة ، بمكانة عالية سواء كفاعلة أحداث تاريخية على الصعيد الاجتماعي ، أو لأدوارها وحكمتها فرديا وبالتالي لطبيعتها الامتثالية (1) التي عمت بها المراحل التاريخية المتتالية ، والتي عرفتها الجماعات العرقية أيضا وفق الطابع الانتشاري ، والعالمي الذي جاءت به ، وعلى أساس تجارب مطلقة ، وحقيقية بالنسبة للنسق المطلق (الاسلام) وكيف استطاعت بذلك هذه الشخصيات أن تهنح التاريخ ليبقى عالقا في الاذهان ، وتتناقلها الأجيال فيما بينها ، وتحفظها في أشكال ثنائية ، وكوسيلة اتصالية في نهاية المطاف ، اذ نجدها في الخطاب الديني مستصاغة في قالب تذكر لسيرتها ومن جهة أخرى كطريقة تبرير النموذجية النسقية ، والأمن لا يعرف قصص الانبياء ، والرسل ، وخاتمها ، والصحابة المقربين . والممثلة داخل سياق هذه الشعارات ، كشخصيات دفاعية ، وكمخيرة للانساق القديمة ، لترقى للوجه المقابل ، والظاهري للقداسة ، والازدواجية النموذجية . وتترك المجال الخلفي ، والظهري للشخصيات السلفية

عند تبلد الشخصيات الحقيقية في الديوان ، وفي المجالات الشعرية كقوى إحداثية ، أو وقائعية تعتزلها الجماعات العرقية لأدوارها الاجتماعية ، وهي بذلك تمثل الوجه الخصب لتنفيذ الوساطة لوضعيتها بالمقارنة لوضعية الأفراد ، والقوة المطلقة (الله) .

هنا نكون أمام وضع تبرز فيه الشخصيات الحقيقية والامتثالية ، كمحركات ، وعناصر لها القدرة على متابعة مهمتها في التأثير على الوقائع الموضوعية الجديدة ، والتي حتى ولو تغير محتواها ، ولم تعد متعلقة بالانهار ، والغابة ، والأرض . .)

---

1)Louis GARDET :"Les hommes de l'Islam" :Librairie Hachette. Paris.1977.Pg.72

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــان تدخلهـــا الرمزي علـــى الوقائـــع الموضوعيـــة الجديدة " يقـــوم أساســـا علـــى التضـــرع بهـــا ،كشخصيـــات و سجليـــة لهـــــا من المنزلـــة مـــايؤهلهـــا لدرجـــات " الألوهيـــة" .

ومنـــه ،اذا كـــانت تتوســـط الطرفـــين ،فهـــذا يعـــني أن الجماعات العرقيـــة تخفـــي مجموعـــة مـــن المواضيـــع ،أو الحوادث الـــتي فرضـــت نفسهـــا في مراحـــل تاريخيـــة وبنيـــات اجتماعيـــة معينـــة ،تستذكرها و تعيـــد بنـــاءها ،ضمـــن هـــذه الحالات الشعريـــة ،وتحـــي فيهـــا الوظيفـــة الانقلابيـــة للمؤسســـات و الممارســـات ،والاعتقـــادات (....) السابقـــة ،ولدينا مـــن الأمثلـــة الشعريـــة لهـــذا الاسترجـــاع التاريخي و الوظيفـــي ،والاحـــداثي ،الـــذي لعبتـــه الشخصيات الحقيقيـــة ممايجعلهـــا ضـــروريـــة لممارســـة " الديوان " ، من جهـــة ،وكخطاب سوي ،يسمـــح عمليات تحقيـــق التقديـــس وتنفيـــذ الوســـاطة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــــولاى ابراهيمـــــــــا

ضيف الله بويا ابراهيما وعد الله بويا ابراهيما ضيف الله بويا ابراهيما وعد الله بويا ابراهيما
وين اسيادى ابراهيما وعد الله بويا ابراهيما ضيف الله بويا ابراهيما وعد الله بويا ابراهيما
نمشي ونولي يا براهيما وعد الله بويا ابراهيما ضيف الله بويا ابراهيما وعد الله بويا ابراهيما
ماعندى والي ابراهيما ضيف الله بويا ابراهيما ضيف الله مولاى ابراهيما وعد اللهمولاى ابراهيما
الواحد ربي مولاى ابراهيما ضيف الله مولاى ابراهيما ضيف الله مولاى ابراهيما وعد الله مولاى ابراهيم
وعد الله مولاى ابراهيما ضيف اللهمولاى ابراهيما ضيف الله مولاى ابراهيما وعد الله مولاى ابراهيم
يا رجال اللهسيدى ابراهيما ضيف الله مـولاى ابراهيما ضيف الله مولاى ابراهيما وعد اللهمولاى ابراه
يا رجال اللهسيدى ابراهيما وعد الله مولاى ابراهيما ضيف الله مولاى ابراهيما وعد الله مولاى ابراهيما
جيتا نزورك يا ابراهيما وعد الله مولاى ابراهيما ضيف الله مولاى ابراهيما وعد الله مولاى ابراهيم
مول الخدامة يا ابراهيما وعد الله مولاى ابراهيما ضيف الله سيدى ابراهيما وعد الله مولاى ابراه
مول الديوان يا ابراهيما وعد الله سيدى ابراهيما ضيف الله سيدى ابراهيما وعد الله مولاى ابراه
يَجرحْ أُودَاوِي يا ابراهيما وعد الله سيدى ابراهيما ضيف الله مولاى ابراهيما وعد الله مولاى ابراهيم

يا مولاى ابراهميا مولاى ابراهيمـــــــا
سيدى ابراهيما مولاى ابراهيمـــــــا
بويا ابراهيمـــا مولاى ابراهيمـــــــا
مولاى ابراهيما مولاى ابراهيمـــــــا
سيدى ابراهيما مولاى ابراهيمـــــــا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ جـــالاى موســـى البحرى

اى جالي ـ اى جالي ياجالي
على موسى ،اى جالي ـ ياجالي
موسى البحرى ،اى جالي ياجالي
اى جالي ...اى جالي ..ياجالي
ياجنقرى موسى ،اى جالي ياجالي
ياحبيب الله جالي اى جالـــي
نغضب على موسى اى جالي ـ ياجلي .
اى يالاى اى ياجالـــي ياجالـــي
يالبحرى اى جالي ياجالـــــــي
بوبحرى موسى ياجانـــي اى جانـــي

اى جالي ..اى ..جالي ـ ايجالي ..
اى جالي .. اى ـ. جالي ـ ياجالي
اى جالي .. اى .. جالي ياجالي ..
باجالي .. اى.. جالي ـ ياجالي
ياجالى .. اى جالـــي ـ ياجلـــي
ياجالي .. اى جالـــي ـ ياجـــالي
اى ياجالي اى .. جالي ... ياجلـــي
اى ياجالي ـ اى جالي ... ياجالي ..
ياجالي ..اى جالي ... ياجلي ..
اى جالي اى .. جالي ..اى ياجالي ..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ ريمـــا ياريمـــا ـ

وينابولالي ماى نابولالي ضيف الله وينابولالـي .

ونيابولالي ماى نابولالي ضيف الله، وينابولالـي .

ونيابولي حمامة اى نابولالي ضيف الله ، ونابولالي .

ونيابولالي ماى نابولالي ، ضيف الله وينابولالي .

وينابولالي ، وين اولاد و وينابولالي ضيف الله وينابولالي .

وينابولالي ماى نابولالي اى نابولالي ضيف الله وينابولالي

وينابولالي رسول الله ضيف الله وينابولالي

وينابولالي اى نابولالي ضيف الله وينابولالي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- سيـــدي علـــــي -

آي ياسيـــدي علـي مـانيشـاورن — آي ياسيـدي علـي مانشـــورن
آي يامـول البرهـان ياسيدي علي مانشاورن — آي ياسيـدي علي مـانشـاورن
آي يامـول الديوان ياسيدي علي مانشـاورن — آي ياسيـدي علي مـانشـاورن
آي ياسيدي علـي موحبا مـانيشـــــاورن — آي ياسيـد علي مـانيشـــاورن
يـاي يان علـي ماقـوي علي مـــــاورن — آي ياسيـدي علـي مانيشـاورن
يـاي يان علـي مادوي مـــانيشـــاورن — آي ياسيـدي علـــي مانيشـاورن
يـامول السيف ياسيدي علي مـانيشـــاورن — ياسيـدي علي مـــانيشـــاورن
يـالسيـف المسلـول ياسيدي علي مانشاورن — ياسيـد علي مـــانيشـــــاورن
فـاطمـة بنتو بنتو الرسـول مانيشـــــاورن — ياسيـدي علـي مـانيشـــاورن
يارسـول الله سيدي علـي مانيشـــــاورن — يان سيدي علـي مـانيشـــــاورن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واى بانيا سيد الشنا بانيا سيد الشنا بانيا

واى بانيا ، سيدى الشنا ـ بانيا سيد الشفا بانيا

واى بانيا ، سيد الشنا بانيا سيدى الشنا بانيا

واى بانيا و سيد الشنا بانيا سيد الشنا بانيا

واى بانيا سماوية ، بانيا سيد الشنا بانيا

واى بانيا سيد الشنا بانيا سيد الشنا بانيا .

واى بانيا زرق السما بانيا ، زرق السماء بانيا

واى بانيا سيد الشنا بانيا سيد الشنا بانيا

واى بانيا ، زرق السما بانيا ، زرق السما بانيا

واى بانيا سيد الشنا بانيا سيد الشنا بانيا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشخصيات السلفية:

من بين الصور التي جلبت انتباهنا في المجال الخطابي لممارسة "الديوان" ، هو اتجاه "البراج" مباشرة الى الفكرة العامة التي تكونها ، و كأنها في غنى عن الأشكال المجازية و لا حاجة لها بالاستعارات و التفاصيل أو حتى التعمق في الحوادث المركبة لها .
بل تكتفي بالنظرة الشاملة للعناصر المتسلسلة مهما كانت صيغة الموضوع الخطابي ، و اذا ما تساءلنا عما تمثله هذه الافكار العامة في كل هذه المعطيات ، لوجدنا أنّ المكونة الرئيسية لهذه الأفكار العامة هي هذه الشخصيات السلفية التي توجد ككيانات خلفية بالنسبة للشخصيات الحقيقية و المبررة لها في شعارات الألوهية .

بحيث تبيّن وضعيتها ضمن الحالات الشعرية ، تأثيراتها على الوقائع الاجتماعية الموضوعية و بصورة كلية على الوجود المادي و المعنوي ، اذ يعدّ تخليدها و الاحتفال لها و احياء طبيعتها الرمزية بمثابة تشريف لها و لعملها الذي يفوق تصورات المجموعات .

هذا على الصعيد الاجتماعي ، أما كاتجاه اعتقادي فهي ترقى الى درجة القداسة ، باعتبارها أساس وجود الأسلاف و التي تقدم التفسيرات للظروف و الشروط العويصة ، و هي بذلك تمثل احدى الركائز التي قامت عليها الشخصية العرقية و المحدّدة للتنشئة الدينية فرديا و جماعيا و مركز المراحل التاريخية القديمة . (1)

و تغطي حصتها من السلسلة الخطابية أكبر قسم ، دلالة عن أصالتها و أولويتها بالمقارنة مع النسق الكوني الجديد ، الذي أعطى لها شرعية و مبرّرا قويان .

---

(1) Mbuyamba Lupwishi:"Sensibilité musicale,et spiritualité africaine".in;Art Religieux Africain. vol. 16.N°.31.1982.Pg.172.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـذا الارتباط بالشخصيـات السلفيـة أعطـى ميـزة خاصـة لوجـه الجـسم الخطـابي و شـدّ انتباهنـا مدة معتبرة لفـهم وجـودها كبنـيات أساسيـة تخدم وظيفيـا الأسطـورة . فهـي هنـا تشكّل تـاريـخ أفعـال و تأثيـرات الذوات الخـارقة ، و بالتالـي لغـة ضمنيـة فـي الوحـدات الأسطـوريـة .(1)

تبعـا لهـذا المنطـق يصبـح " بـوري "كقـوة خـارقة"لـه موقعه فـي النسق التصـوري "للديوان" ، هـو نفس "بـوري" الذي يمثـل أحـد الطقـوس و الاعتقـادات الأوليـة التي بـرّرت بـه جمـاعة (حوصـا) وجـودهـا (*) و هذه المقطـوعة الغنائية المكتـوبة توّضـح ذلـك :

---

(1) C.Levi strausse: Anthropologie structurale .Ed.Plon .Paris. 1958.Pg.

(+) ـ قد يكـون مهـمّا جدا و مجديا الاحتفاظ بالدراسة التي قامت بها أ. جاكلين مونفوقا .ن. حول طقوس "بوري" و التصنيف للآلهات المعتمد من من طرف مجتمع (حوصا) ، واعتبارها على المدى البعيد أو المتوسط كأرضيات لعمل مقـارن يبيّن لنا تناقضات المقدس و وجود الشخصيات اللاهوتية كبنيّات و وحـدات أساسية فـي الأسطـورة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ بـــوري يـــانـدابـــو ـ

آي سيدنـا مانـــا اتدابـوا	بـوري بـوري مـانا اتـــدابـو
آي شـاري كوريامـانا اتدابو	بـوري بـوري مـانا اتـدابـــو
آي ياسيـد يامانـا اتـدابو	بـوريابـــوري مـانا اتـدابـــو
ويـن اسيـادي مـانا اتدابو	بـوريابـوري مانـا اتـــدابـــو
مـولا الديوان مانا اتدابـــو	بـوريا بـوري مانـــا اتـدابـــو
آي شـاري كـوريا مانـاانـدابو	بـوريا بـوري مانـــا اتـدابـــو
آي رجـال الله مانـا اتدابو	بـوريا بـوري مانـا اتـــدابـــو
آي داوي حالي مانـا اتدابو	بـوريا بـوري مـانا اتـــدابـــو
آي وين خوتـي مانـا اتدابو	بـوريا بـوري مـانا اتـدابـــو
آي ويـن سيادي مانا اتدابو	بوريا بـوري مـانـا انـــذابـــو
آي داوي حالـي مانا اندابو	بوريـا بوري مـانا اتـــــدابـــو
آي يرحـــم بويا مانا اتدابـو	بـوريا بـوري مانـا اتـــد ابـــو

آبـوريا اتدابـــو	آبـوريا اتـــدابـــو
آسيدي انـدابـــــو	آبـــوريا اتدابـــو
آسيـدي اتدابـــــو	آبـــوريا اتدابـــو
آبـوريا اندابـــــو	آبوريـــا اتدابـــو

ـ نعتقد كـثيرا ، بوجود تشابه و صحـة لافتراضنـــا المتعلق بالقوة الرمزية "بـوري" و تظاهره كـحالة منظـم لمجتمع حـــوصا . ارجع الى :

Jacqueline.Monfouga.N:Ambivalence et culte de possession

Contribution à l'étude du Bori.HAUSA.
Ed.Anthropos-Paris.1972

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ جـــانقـــاري مـامـــا ـ

آي يـارا جانقـاري مـامـــا آي يـارا جانقـــري مامـــا
آي يـارا جانقـري مامـــــا آي يـــاراجانقـــري مامـــا
آي ويـن سيادي جانقـري مـا آي يـــاراجانقـــري مامـــا
آي شـاع ضح نورو جانقري مـا آي يـــارا جانقـــري مامـــا
آي الصلاة النبي جانقـري مـا آي يـــارا جانقـــري مامـــا
لاالاه الا الله جانقـــري ماما آي يـــارا جانقـــري مامـــا
آي ويـن حبابي جانقـري مـــا آي يـــارا جانقـــري مامـــا
آي الصلاة النبي جانقـري مـــا آي يـــارا جانقـــري مامـــا

آيـارا جانقـري مـــا مـــا آيـــارا جانقـــري مامـــا
آيـارا جانقـــري مـا مـــا آيـــارا جانقـــري مامـــا
آيـارا جانقـــري مـا مـــا آيـــارا جانقـــري مامـــا

ـ فـي هذه المقطوعة أيضا ، تلتقـــي القوة الرمزية الممثلة في "جانقاري ماما" بالالاه "جانقـــري مريـــاما" و انّ كان هناك تسرّب في الخطاب . ارجع الى :

Jacqueline.Monfouga.N. Ibid.Pg.359.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و من بين الشخصيات السلفية ، و التي كما حدّدنا مرتبتها كآلهات في " البراج " و شعارات "الديوان" : —

— جمانقرو الحاج باحوص
— جوا امبريكا امبريكا
— لالا ميمونة سلطان قناوى
— جيبارو سركي باي تاما
— مكيري منقدبا
— مكيري أوبانانى
— بوبو مقجي جمركي
— نقري نقري جاطو

— يقسم القمرة و النجوم على الملائكة
— خادم تفرّش لسيدنا موسى
— ميمونة ملكة غينيا

و هي الشخصيات التي تعطي القيمة الفعلية للأسطورة في "الديوان" نظرا لكيفيات تشخيصها و بعدها الديني المزوّع ، و نأسف من جهة أخرى لعدم تمكننا تحليل محتوى نصوصها الكاملة لصعوبة ترجمتها .

أما الوجه الثاني الذي جاءت فيه الارتباطات بالشخصيات السلفية و الرمزية ، فيتمثل في تشابه أسماء هذه القوى بأسماء مقاطعات جغرافية . تستحضرها الجماعات العرقية لتمجيد و تخليد نزعتها "القبوطنية" — ارجع الى النص — و هذا لنزلتها الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية كأباطوريات أو بدايات قيام حضارات .

— ارجع الى النصوص : —

صيو بنبـــــــــــــــــر

صيو ياصيو بنبرا صيـــو ، صيو ياسيدى بنبرا

صيو ياصيو ، صيوبنبرا صيو ، صيو ياسيدى بنبرا

صيو ياصيو ، صيو بلما صيو ، صيو ياسيدى بنبرا

صيو ياصيو صيو بنبرا صيو ياسيدى بنبـــــــــرا

صيو ، ياصيو ، صيو موسى صيو بلما صيو بلمـــا

صيو ،ياصيو صيو بنبرا صيو ، صيو ياسيدى بنبـــرا

صيو بلما صيو بلما صيو بنبرا صيو بنبرا

صيو بنبرا صيو بنبرا صيو بنبرا ، صيو بنبرا

صيو بنبرا صيو بنبرا صيو بنبرا صيو بنبرا

ـ يبدو ان هذه المقطوعة تختلف في استحضارها من منطقة لاخرى . وفي كثير من الحالات : تكون متشابهة في المعنى الوظيفي لهذه المقطوعـــــــة (تيارت لايقال صيو : وانما يســـــيّ ....)

افتراض منـــا بأنّ يكـــــون اسم هـذه القـــوى الرمـــزية ، هو نفس الاســـم الذي يطلـــق على مقاطعة ـ بنبـــــرا ـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـــابـــا قـــورمـــــا

اى بـــابا قـــــرما — اى بابا قـــورمـــا
اى بـــابا قـــــورما — اى باب قـــورمـــا
اى بابـا قورمـــــا — اى بـــاب قورمـــا
اى سيدى قـــورمـــا — اى بـــابا قورمـــا
اى بابا قورمـــــا — اى بابا قورمـــــا
اى والي قورمـــــا — اى بابـا قورمـــــا
اى سيدى قورمـــــا — اى بابـا قـــرومـــا
اى البحرى قـــرومـــا — اى بـــابا قـــورما

اى بابا قورمـــــا — اى بابا قـــــــورما
اى جيـــب المـاء — اى بابا قـــــــورما
اى سيدىبسلمـــان — اى بابا قـــورمـــــا
اى بابا قـــــورما — اى بابا قـــورمـــــا
اى والي بسلمـان — اى بابا قورمـــــــا
اى بابا قـــــورما — اى بابا قـــــورمـــــا

ـ مبـــدأ افتراضـــي واحـــد ، فيمـــا يخـــص التقـــاء اسم مقاطعة "قـــورما" باســـم قوى خارقة ثانويـــة ، تعـــد في سلم الاعتقادات بمثـــابة الاه ا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سرڤـــــــو

أي لا الاه الا الله يا سيادي سرڤو بليجي
أي لا الاه الا الله يا سيادي سرڤو بليجي
مـا عندي والي يا سيادي سرڤو بليجي
أي لا الاه الا الله يا سيادي سرڤو بليجي
سرڤـو بو مهـري يا سيادي سرڤو بليجـي
أي لا الاه الا الله يا سيادي سرڤو بليجي
سرڤـو بو سبسـي يا سيادي سرڤو بليجي
أي لا الاه الا الله يا سيادي سرڤو بليجي

أي يا ربي ، أي يا ربي دلالي سرڤو بليجي
أيي يا ربي ، أيي يا ربي دلالي سرڤو بليجي
أيي ڤناوى ، أيي ڤناوى دلالي سرڤو بليجي
أيي يا ربي ، أيي يا ربي دلالي سرڤو بليجي

أي دلالي سرڤـو بليجي
أي دلالي سرڤـو بليجي
أي دلالي سرڤو عيادة
أي دلالي سرڤو سرڤو جـي

أي دلالي سرڤو بليجـي
أي دلالي سرڤو بليجـي
أي دلالي سرڤو بليجـي
أي دلالي سرڤو بليجي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندئـــذ ، لا تبـرز وضعيـــة الشخصيـــات السلفيـــة في شعارات الألـــوهية في قمّـة الهـــرم و مرجعـــية للجماعات العرقيـة فحسب بـــل أكـثر من ذلك ، فهي تعتبـــر في مراحـــل قيام "الديوان" شكلا للتحـــن التاريخـــي ، الذي تتفجـر منـــه مستويـــات احساسيـــة: كعلاقـــة التحـــالفـات ، الانتماءات ، .. أو تطلعـــا لحالات الاستكشـــاف الذاتـــي و الجمـــاعي .

مـــن الواضح اذن ، أنّ هدفنـــا من دراســـة الصنف الموسيقـــي في " الديوان" هو استنباـــاط معنـــويتها التي هـي رمـــوز تربـط استمرارية المكـــانة العرقيـة بالأسطـــورة ، و هي العلاقة التي يلخصهـــا لنـــا ، جيبار روجـــي : " في سريـــة الموسيقـــى وقدرتها على ايقاظ المحطـــات النفسيـــة و الثقافيـــة و التاريخية و الامتثـــال لقوتهـــا " (1) التي توصـــل الوعـــي العرقـــي بتصوراتـــه الانتمـائية (سيدي بلال) وتمنـــحه امكـــانية تخيّـــل المحـــاور الأنثـــروبولوجية في الممارسة .

ففـــي علاقـــة الموسيقـــى بالوحـــدات الأسطـــورية المكـــوّنة " للبـراق " شكـــلا و مضمونـــا ، تتجـــلي الرغـابات و الاعتبارات التي تخفيهـا الذاكـــرة العرقيـــة خلال قطـــع مسافة الزمـــن المقدس ، كمـــا ينتظـــر منهـــا تحقيـــق نمـط حياة الأســـلاف الذي هو نمط ديني . و هـــذا معنـــاه أنّ ممارســـة " ديـوان سيدي بـلال " قادرة علـــى تلبيـــة الخلفيـــات الانسانيـــة كنســـق ديني ، و لكـنّ هل هذه الخلفيـــات و المواقف الكـــودة ، قادرة هـــي على الانخـــراط فـــي الممـــارسة الدينيـــة ، مستجيبـة لاحتياجاتهـــا دون تكييفها لهـــا . ؟؟؟

هـذا مـا سوف نـــراه في الفصل اللاحـــق .

---

*1)Gilbert.ROUGET:"La musique et la transe":Esquise d'une théorie générale des relations de la musique et de la possession.

Ed.Gallimard ،Paris .1980.Pg.18.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

سوسيولوجية التغير و التحول

الديني و الأسطوري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة موجزة:

كل ما سوف نقدمه هو نطارحه كاشكال أو افتراض يستلزم التحليل في هذا المبحث سيكون قائما على القراءة الاثنو - دينية التي سطرنا معالمها سابقا، اي انها الاقرب من تقارب مفهوم العبيد وازدواجية تصوره، الى ادارة وتنظيم النمط التصوري على طريقة الاستلاب داخل الاطار الذي هو مؤهل لتنفيذ التقديس مشتريين بذلك الى استخدام تقنيات النشوة وعواملها وهذا قصد التمكن من استنباط الديناميكية الثقافية، والاليات الدينية "الجديدة" التي تساعد ممارسة الديوان " على الاستقرار والاستمرار، واكتشاف نموذج نسقي او" نسق "مزدوج " يميز في هذه المرة بالنسبة( )

ولسن يتسنى انا التماس هذه الخلاصة الا داخل عمليات تفاعل مجتمع الديوان بمؤسسات الشوافات او مؤسسة الطالب، بحيث الادوار فيها تبدو متبادلة "ظاهريا" ووظيفية تتوفر فيها ممارسة "الديوان" لمؤسسات "الشوافات" و"الطالب" كل مفاهيم الألوهية والقداسة بكل مفاتيح القدرات، والنظريات التصورية وبالتالي فرصة لتجديد سيادتها الرمزية، في حين ان مجتمع الديوان يستفيد فقط من مناسبات التكرار واحياء ظروف قيام الممارسة وابعاده الدينية.

من هذه الزاوية اذن، توجهت تحاليلنا الى الاجابة على سؤال قلما مرّ في مجال الدراسات التي تناولت المؤسسات الدينية " والسحرية" أو الطقوس بصفة عامة والمتمثل في الكيفيات والاستراتيجيات التي تستخدمها مؤسسات "الشوافات" و"الطالب" لممارسة وادارة الوساطة بين الأفراد والقوى الحقيقية، أو الثانوية، أو في قراءة مستقبل الفئات النسوية المتداولة عليها لتخفيف عنها من كثافة الازمات التي تعرضها المقابلة، انتساءل بذلك، عن طبيعة العلاقة الموجودة والقائمة بين مجتمع "الديوان " ومجتمع الشوافة وبالتالي الى ماترمز اليه هذه العلاقة ماديا وعلى مستوى النصبة فيها، هذه الجدليات الاشكاليات، التي تبحث على مدى اللجوء الى مؤسسات الشوافة، او الطالب؟ والى جانب هذا نوضح كيف أن "فرقة الديوان" " يدعوى" اتصالها بؤسسات "الشوافة" أو "الطالب" تجد نفسها خاضعة لقواعد وأحكام التنظيم " السحري " الذي تتضمنه مؤسسات الشوافة ومن دون التزام أوشرط؟ وهل سيكون لهذا الخضوع بعملية تدهور واتلاف في" ممارسة الديوان "وعلى نسقها؟ وما هي طبيعة انعكاسات تطبيق "الديوان" اذا غيّرنا من هذه اللغة ملنتحدث في هذه المرة عن صورته وابعاده " جهويا"، أي بدراسة المستويات المشكّلة للاسطورة الشاملة في الديوان (سيدي بلال) في كل من "تيارت" "قرندة" و"سعيدة".

- هذا اذا سلمنا بتقبلنا القيمة الفردية لتاريخ موضوع الديوان - واسطورته الشاملة " سيد بلال " على انها تصورات مطلقة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهذا الغرض اذن قسمنا هذا البحث الى أقسام نتناول فيها قياس مدى اتصال ممارسة "الديوان" بممارسة " الشوافة " و " الطالب" أي بالعودة لأهم نقاط التماس الشكلية والضمنية التي تلتقي عندها كلا الممارستين ، ثم إختبار عامل تبادل الأدوار والوظائف التي تقدمها الواحدة للأخرى لتصبح مؤسسات الشوافة أو الطالب كمتغيرات تحمل دلالة استمرارية ممارسة "الديوان" ، استنادا الى دراسة حالة في (حي وادي قريش) و (الابيار) مع الاشارة لهيئات دينية أخرى تتمتع بنفس معطيات المؤسسة السحرية التي توفر الأرضيات المناسبة لاجراء " الديوان" (كحسين دلي) (سوسطارة) ، (بوزريعة) (القبة) والتي تم اختيارها كنماذج لنوضح من خلالها نوعية هذا التأثير الذي أوحته لنا افرازات التردد على مؤسسات " الشوافات" و" الطالب" خلال أزمنة التخليد والزيارة "العودة".

ونؤكد من جهة ثانية ، أن ارتباط مقومات اجراء الديوان والمكانة الفردية المقدمة له ضمن السياق الذي أنتج فيه تدرجه " طبيعيا" ، ضمن بيناته الإجتماعية وسيرورته الداخلية وينفرد بذلك عن وحدته الفلكلورية(*) محددا بذلك هويته وأهم المميزات التي تجعل " الديوان" قائما كنسق ديني " فولي" ومستأثر موفرا لنفسه بفضل عامل المراقبة والتصحيح الداخليين لاعضائه ولنسقه التصوري مجال الاستمرارية والديمومة التي كادت أن تخرجه من " التهميش التاريخي".

ولكن قبل الاجابة على هذه الافتراضات ، ينبغي ان نضع بعض الملاحظات حيز الاهتمام والاهتمام واستغلال هذه الفرصة لاخراجها الى السطح ، مادامت تعاني من كبت طال امده .

تعود أهمية هذه الملاحظات إلى صعوبة ايجاد طرق ومسالك منهجية أو نظرية ، تتعامل بمواضيع الأنثروبولوجية الدينية ، والتي تعود هي الأخرى ، الى تبعثر محاولاتها في هذا الميدان وتوزيعها غير المتكافئ ، على عكس الدراسات والبحوث في الفروع الاخرى للعلوم الاجتماعية ، وهذا مايوضح بكل بساطة أن الاتجاه نحو دراسة هذه الظواهر الدينية أو الممارسات التي تحمل تشابك الروحانيات بمجموع وحدات الثقافة المحلية ، هو في بداية ويستلزم في كل بحث جديد بناء بيان الموجودات او جرد تتخلل فيه ما وصلت اليه المحاولات السابقة .

(*) فلكلور : لانقصد التعريفات المتفق عليها ، وانما كطريقة ممتلكة ومسخرة لكلما يتضمنه المفهوم من معارف ، وتصرفات ، وافكار تخدم بحث المحاور التاسيسية ، او خدمات تأسيس التفسير : مقدمة في الفلكلور : د . أحمد مرسي : دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة 1975 . ص 34 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لان القليل من هذه العروض قد لا يسمح " بالتعميم " كخطوة في البحث العلمي و لبناء فرضيات عملية ، كافية لتغطية تصوّر الآليات الدينية والتطوّرات المفاجئة . ومع ذلك ، فانه لجدير أن تعتز بهذا التقطين " الحديث " لهذه الممارسات أو التظاهرات لتعتبرها خطوة تساعدنا على إخراج هذه الظواهر من توقعتها ، ومن المحظورات ، لتكتسي طابع الاستفهام ، ولتشكيل ميدانا ، تحليليا لجوانبها التاريخية ، أو فترات تقطعاتها وتناقضاتها ، أو التغيرات التي من الممكن أن تلحق بها .

ولعل تسجيل هذه النماذج من المذكرات ، قد يوضح لنا تاريخ الاهتمام بهذا الحقل الديني وطبيعة انشغالات اشكالاته .(1) الملخصة في الجدلية القائمة بين " المرأة " و " المقدس " ، أو المرأة كحاقلة لتباينات النسق الاجتماعي و الخطاب الاجتماعي ، أو ما يسميه ملفورد . سبيرو ، "بالحاجة الاجتماعية " التي يعرفها : "بالاستجابة لنيّة تؤمن بفاعلية المؤسسة الدينية ، تصبح على إثرها نمطا سلوكيا كلما كانت محفزة بأمل تحقيقه " (. . . ما (2) و فينومينولوجية مؤسسات " الشوافات " كاطار للتمهين بالتقديس (الزيارة) التي تعتبر كطريقة للاتصال و تركيب الوساطة في حيل المشكلات و خطوط " الخيال الاجتماعي " .

ففي الحقيقة تعد مبادرات " الطالبات " أرضيات ايجابية قائية ، استطاعت أن تبلغنا في حدودها عمليات تفاعل أو التقاء الوضعيات الغامضة لمركز المرأة كحبيسة مجتمعها و مؤسسة "الشوافة " التي هي جهاز علاجي متحاول من خلاله تجاوز هذه الاحساسات المرمزة .
فما أحوجنا الى هذه المحاولات التحليلية لتطوير منظورنا الخاص و المتمثل في متابعة حالة " ممارسة الديوان " داخل اطار " الشوافات " كمتغيرة ، و بناء قياسات و شبكة تحاليلية أخرى تساعد على تفهم عميق لطبيعة اجتماع كلا المؤسستين .

---

(1) مذكرة نهاية ليسانس : " جيت أنشوف " . دراسة حالة لزائرات شوافة " القبة " بوزريعة . اعداد : مسلم ف . عويشات تحت اشراف : أ . شولي . ك ـ بن قرقورة . ش . معهد علم الاجتماع . 85 . 1986 .
ـ مذكرة نهاية ليسانس : " أزواج أربعة دورو " ـ دراسة حالة ـ اعداد : باية مي . مربوان اشراف : بن قرقورة ش ـ أ شولي . ك . معهد علم الاجتماع . 85 . 1986 .
ـ مذكرة نهاية ليسانس : " شوافات وزائرات " : عرض لبعض الحالات مواجهة المشكل بالسحر في الجزائر العاصمة " 89 " اعداد : ن . فاطمة مت . نعيمة ـ اشراف أ . شولي . ك بمعهد علم الاجتماع . 88 . 1989 .
ـ مذكرة نهاية ليسانس : تتفعك الزيارة " دراسة ميدانية لظاهرة زيارة الاضرحة في قبة سيدي أمحمد بلكور الجزائر العاصمة ـ اعداد . ك . نادية . م . نبهات . اشراف . شولي ك . بمعهد علم الاجتماع . 88 . 1989 .
ـ مذكرة نهاية ليسانس : "زيارة المرأة للزاوية " : دراسة حالة لزائرات زاوية بالصومرية " صور الغزلان . اعداد . ط . كلثوم م . ف الزهراء . اشراف . م . بنون . معهد علم الاجتماع . 83 . 1989 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انه لجدير بالذكر ، أن نشير أيضا الى أن "اعداد و تحقيق هذه القراءات الميدانية من طرف "باحثات" قد يعكس لنا درجة التحاور القائم بين مؤسسة "الشوافة" و العناصر النسوية . كما تعور لنا مدى تجاوبهما الوظيفي في تمكين النساء لصالحهن .

أما محاولتنا نحن ، فقد تبدو مناسبة كذلك لتبيان أو تدعيم التضاد في تصور و استغلال "المقدس" ، و في محلها لابراز نوع التضارب المنهجي الذي يسيطر على مجريات البحث ، حينما تصادفنا أحكام و قواعد تصورية ، تسهل طريقة التوغل الامبريقية داخل المؤسسات الدينية و المجالات المقدسة التي إستحوذت عليها بعض النساء .

إذ تمكنا خلال احتفال جمع بين فرقة "الديوان" ومؤسسة "الشوافة" من اقتحام اطار هذه الأخيرة باعتبارها المنفذ الجديد للتقديس ، وأن نشاهد ماوصل اليه "ديوان سيدي بلال" بداخلها .

وما كان هذا ليحدث وتتاح لنا فرصة الملاحظة بالمشاركة ، لو لم يكن هناك تصور مسبقا علينا ، أو "قبوجودي" عن لون البشرة "السوداء" الذي يعتبر كمؤشر في هذه الحالة ، يحدد "جهة القدرات" وموقع النموذجية النسقية الدينية اصلا . وبالتالي ، فكرة المكانة الرمزية التي يحتلها "مجتمع الديوان" في الذهنيات المتعاملة معه .

هذا مايعكس لنا من جهة أخرى ، خاصية "النسبية" التي تتمتع بها مضامين الشوافة كحرفة أو مؤسسة .

نستنتج من هذه الملاحظات الأولية ، أن هدفنا مركز حول مايسميه أ. علي الكنز "بالفاعلية الإجتماعية" التي تحث على الإقتراب من الواقع الاجتماعي وتفهمه في نطاقه التاريخي ، ونظامه الاجتماعي الحيّ (1) وليس في عزلته الثقافية - مادمنا بصدد جانب الثقافة ، والممارسات الدينية .

لأن التفهم العميق ، او مانسميه "بالملاحظة بالمشاركة" يقتضيان تمثل الواقع واستخلاص للأدوار الباطنية ، والتلاعبات القائمة فيه ، وليس الانطلاق من مبادئ اصلاحية التي تنفي المجتمع وبنياته الاجتماعية المركبة له (2) .

هنا نكون امام ملاحظة ثانية تربط بين الخلاص والوفاء للعمل الميداني وتطلعات الطالب او الباحث عندما يترجمان نوع طموحات الخطاب الاجتماعي الذي يعيشونه .

---

1) Ali el kenz : Au fil de la crise . Edition ,bouchene, Alger 1989 pg 31.

2) ALI el Kenz: ibid pg 46.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن تعقيدات العمل الميداني لاتحتمل ؛ وكتمها (الوقائع الدينية) ولن تجد انفسها تفسيرا حتى ولو شوهدت عيانيا نصائح لعمليات إجرائها . وعلى كل فان الشيء السلبي نحتاج عليه هو عدم فهم أن الاعتقاد بقوة ما ، القوى الخارقة هو اعتقاد بذواتها وهو موقف بنّته البنيات الذهنية ولا رجعة فيه ، وأن ثمة ثقة في القوة المطلقة (الله) ، وخوف من الجنون ، واعتقاد على الشيطان ولهذا يجري اعتقاد راسخ بالممارسات والطقوس التي حدّد تنفيذها ملما لها من فاعلية ووظيفة إجتماعية .

يقول بورديو ، اننا في هذه الظاهرة لحسب الذات ، انّنا نحتمي تلك النماذج التحليلية التي " ماكادت أن تتحول إلى درجة الفهم" كما يقول ادوارد . هـ . وينتار "حتى انها غادرت ميدانها" (1) .

انتهى من جمعتنا لانتقاصي ، وانما نكون فضلا ، وتخدمنا في الميدان .

1) - Edward H. winter : " Groupement territoriaux et religion chez les Iraqw". CIT, luc de heusch : essai d'antropologie religieuse . edition Gallimard 1972. PG.182

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ا تصال ممارسة الديوان بمؤسسات الشوافة والطالب :

ان التقاء ممارسة "الديوان" بممارسة " الشوافة" او " الطالب" ، هو بمثابة وضعية" تازمية" خصّت اولا وقبل كل شيء ممارسة " الديوان" في بنياته ونسقه وبدأت تظهر هذه الوضعية خاصة بعد الاستقلال ، حينما تورّ الشعب التخلي عن تبني السحر وممارسات الالوهية في مواجهة التاريخ الموضوعي بوسائل موضوعية .

على هذا الاعتبار أحجّرت كل الطقوس وممارسات "الديوان" ، لأن الظروف ومصير الشعب اصبح محددا بمواقف سياسية واجتماعية مادية وليس عن طريق اشكال رمزية ومعتقدات روحية .

وقد ثبت هذا الموقف خصوصا بعد اول حكم تنفيذ ، زيادة على ذلك فان في عام 1955 نصّت جبهة التحرير الوطني على قرار منع التظاهرات العامة ، فتوقفت كل النشاطات التي تنزع الى تلبية الميولات الفردية والشخصية ، أو مختلف اشكال التمتع الاجتماعي ، فصار غير ممكن ، اجراء احتفال جماعي ، او اقامة " ديوان" ماعدا الاعراس التي كانت انذاك . . .

وقد دام هذا التوقف الى مابعد عام 1966 ، بحيث استعيد احياء هذه الممارسة مع اقامة بعض التحويلات ، كتحول المقرات المقدسة وتغيير استخدام " دوزان الوصفان" ، كجهاز ديني من مواقعها الأصلية ووضعها في مساكن حديثة ، بعضها جماعية وبعضها الآخر فردية .

تكفلت بها في اغلب الاحيان " مجموعة نسوية" كانت لها اتصالات سابقة أو انتماءات مباشرة " بمجتمع الديوان" ، كالتي تتخذ رأسا من نساء خادمات عملن في " المحلات" ، فاكتسبن نظريات القدرات وانساقا تصورية جاء بها مجتمع " الديوان" فتوارثتها عنه واستطعن التجاوب معها .

شأنها في هذا شأن " شوافة الابيار" و " طالب وادي قريش" و " شوافة سوسطارة" و " حسن داي" ، او تلك الموجودة بـ " القبة" و " بوزريعة" .

ولا يسعنا في هذا العرض الا أن نشير الى عدم تطرقنا الى عمليات " الزيارة" التي تقوم بها الفئات النسوية لمؤسسات " الشوافة" او " الطالب" ، كطريقة علاجية للامراض والاضطرابات التي تطرحها على مستواهما . اي اننا بعيدين على ان نتعرض كما يقول — روجي باستيد : الى دراسة الشفاء الذي يرمي الى اعادة الاندماج داخل النسق العام ، واعادة تنشأة المنعزلين . (1)

---

(1) Roger BASTIDE : Sociologie des maladies mentales . Edition ; Flammarion : Pg. 6

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل سنتناول أكثر وسائل الشفاء المستعملة من طرف كلا المؤسستين والطرق المستخدمة لإيقاف نزيف الآلام الاجتماعية (1)، وبالتالي ليس المهم في هذه الدراسة، متابعة مؤسسات " الطالبة" او " الشوافات" على حدى، وانما في اقترانها واتصالها " بمجتمع الديوان" الذي لم يعد منحصرا في " المحلات" او في " ديار الجماعة" كما كان يطلق عليها سابقا.
لأن قصدنا موجه لاستخلاص طبيعة العلاقة التي تركبت بينهما، وجلها الى ابعادها المرادة، أي هل هي علاقة حاجة تتقاسمها فيما بينها؟ ام هي علاقة فنية فقط؟

فنحن بهذه الطريقة نميل أكثر الى استنتاج آليات وتناقضات هذا الاتصال ومتابعة " الديوان" في متاهات الصراع الذي يخوضه في إطار هذه المؤسسات الجديدة.
كما نعتمد لدراسته جهويا على مراقبته في تنظيم جهازه الديني ونسقه التصوري الموافق للدلالات الأسطورية، وهذا لما تتمتع به هناك من " إستقلالية" إستعراضية تستطيع أن تفك لنا عقدة استراتيجيات استمرارية " الديوان" وايديولوجيات التقديس عامة.

وبالفعل لم يصبح " الديوان" قائما بذاته ولذاته، وانما أصبح مشتركا بمؤسسات دينية جديدة يتقاسم معها كل " صفقة" تقديس. ومنذ ذلك بدت مراجعة التعاريف التي قدمناها خلال الفصل الأول ضمن القراءة الانثرولوجية، التي حددت ممارسة " الديوان" على أنها هيئة دينية لتنفيذ الوساطة، وتخليد الشخصيات السلفية، وبؤسسة اجتماعية تخلص الفئات من تصدعات وضغوط الوعي الجمعي.

اذ لم يعد معقولا في هذا الاتصال التحدث عن " الديوان" كدين، كما يعرفه مالفورد سبيرو (2) بل كممارسة بمعناها الذي يحمل زمن رقصي ديني يجري تحت اشراف فرقة موسيقية (+). تلبي وتشبع مضمونا فنيا وجماليا مؤقتان مبدئيا.

---

(1) Roger BASTIDE : Ibid. Pg; 6

(2) ـ يعرف مالفورد سبيرو " الدين" : انه مؤسسة تسير على حسب انماط ثقافية علاقة الافراد بالذوات الخارقة وحيث تعترف الثقافة بوجودها.
(2) Melford SPIRO: La religion :Probléme de définition et d'explication .Cité:Luc de Heuch:Essai d'anthropologie religieuse :Edition :Gallimard. paris:1972 P.121

(+) ـ نشير الى انه في وضعية الاتصال بين المؤسستين ينخفض عدد الاعضاء المكونين لمجتمع " الديوان"، فلا يتجاوز في مثالنا 4 ـ 6 اعضاء، بعد ما كانت الحضرة مشكلة من جماعة عرقية تقريبا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هذه الخصوصية الأولية نستنتج وضعا تحليليا جديدا ، يضع " ديوان سيدي بلال " كمتغيرة مستقلة في القسم السبق لموضع المتغيرة التابعة . نبين من خلالها ردود أفعال مكونات الممارسة الباطنية من هذا التزاوج ، وطبيعة الانزلاقات والتدهور للأسطورة فيها ، كطريقة منهجية في دراسة التحولات والتغيرات الدينية .

الا أنه في هذا المعنى ، ينبغي أن لا نعتقد بأن كل مؤسسات " الشوافة " و " الطالب " هي اشتقاقات مباشرة او غير مباشرة عن ممارسة " الديوان " نتاج لها ، بل بالعكس ، فهي بطريقة ابستيمولوجية منفصلة عنها منهجيا .

أما المؤسسات التي نحن بصددها والتي تمثل حقلا استثماريا للبحث ، فهي مرتبطة " بالديوان " بسبب وجود علاقة ما فتئت أن تعني " الخادمية " التي تعهدت بها السابقات ، حتى غيرت من مفهومها " الشوافات الحالية " التي توارثت هذه المعارف الروحية والرمزية ، اذ أصبحت تشدها " بالديوان علاقة وظيفية " أو " خادمية معكوسية " .

للخروج من هذا التجريد ، ووضعه في حساسية واقعية نقترح دراسة حالة في " وادي قريش " حيث يوجد مسكن " الطالب " الذي يعمل يوميا - دون مبالغة - على علاج فئات نسوية متباينة الرتب الاجتماعية ، تقصده ليترأ لهن مستقبلهن أو يشفهن من النحس الذي هو مسلط عليهن ، أو يسري لهن مصدر الأعمال الشريرة ، أو أن يتعامل مع الذات الخارقة في حالات وجودها في ذات المرأة وهي الحالات الخاصة التي تتطلب في أغلب الاحيان تضحيات وسفك الدم ، تقربا للقوى الرمزية .

كانت أولى المواضيع التي أستقطبت اهتمامنا في هذه المؤسسة ، كون " الطالب " من قدماء " العبيد " وكان آخر مقر حل به قبل أن يدخل العاصمة ، ولاية الياسدة ، وهو زنوج أصل افريقي (السودان) ، عرف " الديوان " قديما ، انه كان ينتمي لاحدى " المحلات " التي كانت توجد بالعاصمة (جماعة كتسينا) وبالتالي فهو يمثل مخيمهما في الحلقة أيام الاحتفال .

استعاد الجهاز الايديولوجي وكل لوازم " المحلة " " داركتسينا " التي كانت تستعمل في ممارسة " الديوان " بعد الاستقلال ، متعهدا بأن يخدم هذه " المحلة "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعمل لأجل المحافظة عليها أمام الذين لهم أقل تجربة وقدرة على تحمّل مسؤولية إدارة " ممارسة الديوان " وذلك بشراء في كل موسم ثوبا أسود أو ساعز يخصصهما قبل بداية الاحتفال لإجراءات وعمليات التطهير والتقديس السابقة للعرض (الحليب بحنة ، عطور ، بخور ...) ثم ليذبحهما في ليلة الاحتفال ، أو متعهدا بإخراج كل " البوزان " وتطهيره واحدة بواحد بأنواع البخور ، ابتداء من قطعة " جلد الخروف " الممثلة لبرج " سيدي عبد القادر " بودربالة " ومستلزماتها التكميلية . الى غاية لباسه المفضل الذي يمثل " سرقو " ، والذي كما وصفناه بالأسرية شباب الطوارق الرقبيات ، والمتميّز بالسواد .

اذ يقوم "الطالب" خلال الوعدة " ، والمعرفة بطرقها الزمني الديني المولد للإعتقاد والتصورات الدينية باستحضار الخطوط العريضة لممارسة " الديوان " . يمجّد في أثنائها الشخصيات الحقيقية والسلفية . معتمدا في ذلك على تجربته وما تختزنه ذاكرته من أصناف معرفية في هذا المجال .

مستعملا أيضا دوما بالذبائح وإراقة الدّم ، تلبية لشخصيات ما فوق الطبيعة التي تسكن أجسام المصاب من النساء ، وخاصة منهن الوفيات على زيارة مؤسسة " الطالب " واللاتي شفائهن مرهون باحضار زوجين من الطيور ، اذ بهذه الاجراءات التوسطية المشارة بالايقاعات والضربات الموسيقية الخاصة بكل ذات رمزية او " سيّد " . يُعيّن " الطالب " بطريقة متتابعة وحسب أولوية علاجية ، توافق الماساة الخطابية لامرأة تقوم للرقص الديني و " الجذبة " على الشخصية التي يحكم " الطالب " وجودها بجسمها .
فمنهن من تسقط مباشرة بعد بلوغ حالتها النشوية ومنهن من تمدّد زمنية رقصتها " الدينية ، ليس رغبة منها ، وانّما لعدم تشبع رغبات الشخصية الرمزية الساكنة فيها .

ومهما كانت أرضيات ومنطلقات الشفاء (نفسية ثقافية ، استعدادات فردية واجتماعية) التي ترجع للفاعلية العلاجية والنجاح الذي يحققه " الطالب " مع فرقة " الديوان " في اشفاء بعض النساء ، فان النتيجة تتمثل في ذيوع صداه في هذا العمل ، وأصبحت داره لا تخلو من حركة الزائرات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللاتي يتصدنه من كل ناحية (قمندانة،سحاية،العاصمة ، . . .) تتوسل إليه للتقرب من العالم غير المرئي و لتنفيذ و تحقيق موضوع وجودها في هذه الحضرة النسوية .

ولكونه معروفا على مستوى بعض العائلات التي تحتفل بـ" الديوان" لأنه يجسد شخصية "سرقو" و هي القوة اللاطبيعية كما قد صنفناها ضمن حلقات الشخصيات السلفية ، وفق صورة النسق التصوري الذي جاءت فيه .

فانه في معظم الحالات يحظى بتقديس واحترام تخوفي يساعده على اكتساب قوة ، واتساع في مجال التطبيقات " السحرية" ولكن من باب ثانية ونظرا لعزلته المهنية هذه ، لم تعد له اتصالات بممارسة "الديوان" الا داخل هذا الاطار ، يدعو خلال " موسم" معين أو وعدة ، او عملية نشرة" بعض أعضاء " مجتمع الديوان" المتبقين ، والذين لا يزالون متمسكين بهذه الممارسة، يحييون له هذه التظاهرة ، وينفذون له الطابع المقدس بسيط قنوات الوساطة بين القوة الحقيقية ، والفئات النسوية .

ماعدا هذه الظروف الزمانية الدينية التي هو في حاجة اليها ، فان كل أيامه متشابهة مهنيا تقريبا ، يرجع فيها الى نشاطه " كطالب" وحكيم جماعته .

نستنتج من هذه الحالة التي تجمع بين ممارسة " الديوان" ومؤسسة "الطالب" ملاحظتين ينبغي التقيد بهما .

اولا : انه اذا كان هذا " الطالب" من قدماء العبيد ، ويحتفظ بالتفاعل التجريبية للنسق التصوري ، لاجراء " الديوان" ، ينفذها في كل الحرف ديني امتثالا لوعده وعهده ، فهذا يعني أن ممارسة " الديوان" في هذه المؤسسة ، لا تستجيب الا لنفسها كضرورة ثقافية . ومتطابقة تماما أو نسبيا بالنسق التصوري .

وبالتالي ، فهي تجسد الثقافة الحية ، التي يمكن استخلاصها من وراء تحقيق جزئيات الأسطورة .

كما يتأكد أيضا في هذا التمثيل ، الهوية الثقافية التي يجدها " الطالب" ضمن أعضاء مجتمعه القديم . مترجما عبر حركاته الايمائية الشخصية التي تمكنه داخل البدل المواتية لهذا التصنيف الاعتقادي .

ثانيا : أن انفصاله من مجتمع " الديوان" وعزلته المهنية أفقدته المفهوم دعوة أعضاء مجتمع " الديوان رؤية مخالفة لما كان عليه تحضير "الديوان"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذ أصبح على اثرهـا هؤلاء في علاقـة ستاتيكيـة وجامـدة نوعا ما مع "الطالب" يلبسون له طالباته كفرقـة موسيقيـة ، وكل احتياجاتـه الدينيـة ملتوليـد التقديس فقـط .

أمـا العلاقات الحيـة ، والتي من المفـروض يدعم بهـا جو التقديس والارتباطـات الرمزيـة والتصـورية ، فنجـدها سطحيـة لا يعمقـون محتواها مادام حضـورهـم في هـذه المؤسسـة لا نقـول انه غيـر مرغوب فيـه وانمـا يفقدهـم كل قدرة علـى التركـيز على شـروط وجودهم السلفية التـي تتردد لهـم ممارسـة " الديوان " .

وبذلك فـان تقطـع المسافـة التـي تفصـل من " فرقة الديوان " و " الطالب" مقاسـة ، أو منحصـرة فقـط على مستوى العلاقات ، ممـا يجعلهـا تكتسـي طابـع وظيفيـا توقـع " فرقـة الديوان " على الوجـود الفعلـي ، أو الرمزي للـذوات الخارقـة والشخصيات الرمزيـة ، كعمليات للبرهنـة على القـدرات المتكاملـة بين " الطالب" و " فرقـة " الديوان" .

أمـا في مجـال التحـاور الثقافـي بينهمـا ، فنجـدها مستقيمـة ، أي ، انهـا علاقـة ثابتـة بالنسبـة للنسـق التصـوري ، والدلالات الاسطورية ، بحيث نجـد أن " الطالب" في هذه الحـصص العلاجية ، مقيـد بالتعاريـف الدينيـة لممارسـة " الديوان" ، ولا يسمـح لنفسـه أن يخـل بترتيبهـا ويشوه من استخدمـات الجهاز الايديو ـ ديني الذي يحفظـه في ذاكرته .

انطـلاقا من هذا كلـه ، نستخلـص من هذين الملاحظتين المركزيتـين ملاحظتـين جزئيتـين لا يقـلان أهميـة عن سابقاتهـا : توضح الأولـى أن التعهّـد ، والوعـد ـ الوعدة ـ في تحمـل مسؤولية صيانة " ممارسـة الديـوان" ، هـي بالاضافة الى محتواهـا الديني للتمجيد وتشخيص القـوى هـو في الواقع تعاقـد ، أو بالأحـرى تلفّـظ بكلمـة رمزية غير مكتوبـة لا تسمعهـا ولا تعرف معانيهـا الا أرواح الأسلاف والشخصيات الموعودة التـي وقـع عليها الانتخـاب (سيدي بلال) .

هـذا على مستـوى البنـاء الفوقـي لعمليـة الاتصال بين الممارستين ووظيفة الواحـدة اتجـاه الأخـرى . أمـا على مستواهـا القاعدي ، والواقعـي كثانـي ملاحظـة جزئية ـ فانّ هذا الاتصـال يخفي نوعا من التقسيم فـي العمـل بالتقديس ، تخـصص لفرقة " الديوان" وظيفة تجديد التجارب الدينية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتجارب المقدسة .

أمّا من ناحية مؤسسة " الطالب" ، فهي تضمن تكرار مناسبات الاحتفال الديني الذي تستعيد من خلاله الجماعة نسقها الثقافي والمعنى الفعلي الذي تعطيه لممارسة " الديوان" ، وهو بذلك ، يوفر أو يتيح لهم فرصة المحافظة على " ديوان "سيدي بلال " واستمرارية أسطورته .

نظن انّه للمحافظة على نفس البنية الفكرية والتسلسل التحليلي ينبغي أن نظيف مثالا او دراسة حالة أخرى نتابع من خلالها وضعية " الديوان" اثر اتصاله بمؤسسة دينية واجتماعية أخرى .

لذلك فضلنا التنقل من ميدان " الطالب" لميدان آخر يثبت لنا كيفيات تغير السلسلة التصورية لممارسة " الديوان" وطبيعة استقلال الحياة الدينية التي تحكمها في اطار تديره وتسييره فئة نسوية تتمثل هذه القراءة الميدانية في دراسة "مؤسسة شوافة الابيار" لتشرح لنا صورا متباينة ومتناقضة يحاول " الديوان" تجاوزها ويستفيد من استقرارها .

واذا غيرنا من موقع ميداننا باتجاه مؤسسة " الشوافة" ، فلان في هذه الدراسة حالة يظهر فيها الاتصال واجتماع تطبيق " الديوان" بتطبيقات شوافة الابيار" أكثر تعقيدا ، من حيث عمليات تداخل الممارستين .

لذلك ، فاننا نسعى الى قياس هذا التداخل ، ومدى انعكاسه على الممارسة محاولين تفسير مايسميه ر ـ باستيد : " بالتوازن ، أو التعاون الظاهري (1). باتخاذ " مؤسسة الشوافة " ثاني محطة ميدانية ومجال استثماري مميز بخصوصيات أكثرها باطنية (. . .) .

ان وقفتنا عند هذا المثال ، دفعتنا الى اتباع نفس الطرق العملية والمنهجية للالتماس آليات تداخل الممارستين ومراقبة " الديوان" ونسقه التصوري من الداخل . وقد وضحنا سابقا أسس وعوامل سهولة اقتحامنا مجال تنفيذ التقديس بهذه المؤسسة الذي أفرشته لنا تصورات اللون الأسود وعلاقته بملكية وحدة المقدس.

---

(1) Roger BASTIDE: "Le rêve, la transe, et la folie: Edition, Flammarion Paris: 1972. pg. 129.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معتمدين في ذلك على مبدأ مراقبة تنظيم "الديوان" : ونقصد بذلك اتباع تمثيليات أسطورة "الديوان" و دلالاتها التصورية ، و كيفية تنسيقها مع الجهاز الديني (دوزان العبيد) ، باعتباره محورا أساسيا تقوم عليه الممارسة .

اذ يستحيل تصوّر "الديوان" دون هذه التقنيات و الوسائل الرمزية التي عرفتها "الشوافة" قديما منذ أن كانت شابة .
بحيث و كما جاء في تسجيلات المبحوثين ، أنّها تربت يتيمة على يدّ امرأة أخرى كانت في اتصال قديم و دائم بمجتمع "الديوان" و ممارساته "بالقصبة". اشتغلت آنذاك و في أوقات الاحتفال "بالديوان" مهمة اشعال الموقد الذي يستجيب لثقافة خاصة .

إذ منذ إصابتها باستحواذ وسكون الجان في ذاتها والناتج عن مخالطتها و تردّدها على دّم الذبائح ، وأنواع البخور المستعملة لجلب القوى أومحاربتهم اثناء ممارسة التقديس، أعطيت لمربيتها ، تعليمات وضع الكراسي كأوّل نقطة أثارت انتباهنا - وأن تذبح على كل كرسي ضحيّة استنجادا ، وطلبا لشفاء ابنتها ، ومع مرور الزمن ، استعادت "شوافة الأبيار" هذه التعليمات ، مع أدوات ولوازم التقديس التي كانت في " محلة دار زوزو" بالقصبة والممثلة لجهاز المؤلف الرمزي " بابا إنو" قاطعة العهد عليها بأن تنجّز حفلا سنويا لتمجيدّ الشخصيات ، "والسيّد" الذي يركبها مع صيانة الجهاز و أن تخلّدها إمتثالا واقتداءا بطريقة أسلافها جماعة "الديوان" .

ومنذ ذلك الحين ، أي منذ التسليم لاقتراح الكراسي والتي تحولت الى أرائك جميلة ، أوكراسي خشبية رفيعة نوعا ما . . . حرصت شوافة الأبيار على تقديم خدماتها ، وفوائد نفسية مرمّزة في أشكال اعتقادية للزائرات . ومنذ ذلك الحين أيضا ، ومنزلها ينبض بالحركة دلالة على قوتها ، ونفوذها الفعال في التجارب الدينية " والسحرية" أو " الاعجازية .
وما كان لنا ان نواصل بناء ثقافة ممارسة " الوعدة" بالتقاء ممارسة "الديوان" بممارسة "الشوافة" لو لم نتردد داخل هذا الاطار ، وهذا استنادا على التوجيهات التي يقترحها ب . بوهنان(1) اذ بفضل هذا التكرار الامبريقي

---

(1) Paul BOHANNAN :"Anthropologie sociale 1963...Cit.Edward H. Winter : Groupement territoriaux et religion chez les IRAQW .in, essai d'anthropologie religieuse Edition : Gallimard . Paris . 1972. Pg. 182.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استطعنا تركيب وتفهم هذا التكامل الثلاثي الذي تستعد فيه ابهار الزائرات المتواليات والوفيات منهن لزيارة مؤسسة " الشوافة" .

وكان ، ثانية ، جانب استقطب انتباهنا في هذا الاجتماع ، هو مكان "دوزان بابا أنوي" وهو المكان - غرفة واسعة - الذي كنا نتوقع اجراء "الديوان" فيه ، وتنفيذ استحضار القوى الخارقة أو تخليد بعض الشخصيات الرمزية الموافقة للتسلسل الأسطوري الموضوعة فيه كمحلة ، وهذا لاحتوائه ووجود بعض المحددات التي ميزته عن باقي الغرف التي قابلناها .

بحيث كانت الغرفة ملونة بالاخضر الفاتح ، وواسعة الى حد ما : 12م x 6متر معلق على جدرانها أربعة قبعات قديمة من نمط افريقي كان يضعها العبيد القدامى في " الديوان " للرقص بها على شخصيات سلفية ، مثلما صنفناها " جاكو هكيرى سيمونة" ... مزينة في حافتيها بحبات ودع . أما في أحد أركان الغرفة ، فكان يوجد حامل كبير ربقربه رماح خشبية سوداء لقدمها في اطرافها قطع حديدية حادة تشبه حربة العبيد .

أما في الجهة المقابلة للباب ، فكان هناك حامل خشبي عالي عن مستوى الأرض يقسم الغرفة الى قسمين يشبه " السدة" ، فكان مدعوم فوقه الجهاز العتيقي للوصفان ، أو جزءا كبيرا لمكونات نستثني " بابا أنوي " الأصلي . وتحت ذلك الحامل مباشرة ، وجدنا سبعة كراسي ملونة ، يرمز كل لون منها الى شخصية إما حقيقية أو سلفية والتي تعتبر في نفس الوقت قوى خارقة مؤنثة أو ذكر لا تنتهك حرماتها :

1/ كرسي : طاوى/ داوى .... بنفسجي
2/ كرسي : طاوى / داوى .... أحمر
3/ كرسي : حمودة الكبير .....(الرونة) أحمر
4 / " لالاعيشة ..... وردي
5 / " سيدي عبد القادر ..... أبيض
6 / " سرقو ..... أسود
7 / " سيد علي ..... أزرق

الشيء الذي زاد من تشديد اعتقادنا ، بأنه سيجري تطبيق " الديوان" بهذه القاعة وتحقيق الوعدة " الملتزمة بها .

إلا أننا وجهنا الى قاعة أخرى - لاتصل بها إلا الموظف المقدم الذي عرفناه "كالمحلة" ، اذ هي عبارة عن غرفة تتوسطها الدار تستعمل لاستقبال الضيوف توجد بها تلفزة ومكتبة وخزانة وجهاز فيديو وأكثر للاسطوانات والاشرطة زيادة الى ذلك أرائك رفيعة وغيرها من مواد التزيين والزخرفة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

امّا اللوازم والادوات التي كان يبدو عليهـــا انّها تمس مهنتهـــا "كشوافـة" فكانت منحصـــرة في ألبســـة متنوعـــة وطويلـــة : (مجموعة برانيـــس) وملونة حســـب استخدام تصـــوري خاص: (أسود أحمـــر ، ازرق ، وردي) وطبق به ثـــلاث قارورات من العطـــور ، ومـــرش فضي ، وعلبـــة صغـــيرة فيهـــا نوع واحد من البخور الـــذي يستعمل للتطهـــير عادة غـــير موافـــق لتصنيف الذوات الخارقـــة والشخصيات الرمزيـــة . كمـــا كان يوجـــد بالطبق كميات مـــن الورق تستعملـــه لحفظ القليل مـــن البخـــور الـــذي تمـــده " الشوافـة " ازائراتهـــا .

ونحـــن نراقب بدايـــة الاحتفال اذن واشـــارة "المعلم" ، فاذا بنـــا نتلقـــى توجيهـــا مفاده الانتقـــال مـــن هذه الغرفـــة المقدســـة كما سبـــق وأن ذكرنا الى غرفـــة الضيوف ، دخلت فيمـــا بعد ثلاث نســـاء ، تحمـــل كل واحـــدة كرسيا . عرفنـــا بعد ذلك ، أنهـــا مجـــرد مساعدات فـي الدار ، وفي تحضيرات التقديـــس أيضـــا .

امّـــا الكراســي فكـــان يظهـــر على أحدها انه الأســاسي والمهم في هـــذه الحلقـــة اذ عرفنا أن هناك تمييـــز بينها ، بحيـــث عندمـــا أخـــذ " المعلم" آلـــة القونبـــري ، وأخذت الجماعـــة أزواج القرقابـــو ، وشرعت فـي مقطوعاتهـــا الأولـــى المخصصـــة دوما للعفو وطلب المغفـــرة مـــن القوة الحقيقيـــة ، دخلت النســـاء الثلاث ، أحداهـــن كانت هـــي صاحبة "المحلـــة" وهـــي التي جلست على ذلك الكرسي الخـــاص ، أمـــا الأخـــريات فقد أحطنـــا بهـــا .

كـــان يقدم "للشوافـــة" الأســـاسية فـي كـــل مقطـــع غنـــائي (البرج) وخلال رقصتهـــا الدينيـــة ، لبـــاســـا يخـــصّ محتـــوى المقطوعـــة الخطـــابيـــة . أمـــا الشوافتـــان الأخريتان ، فكـــان يقدم لهـــمـــا أثناء رقصتهـــن المكمـــلة والتـــي لا تعنـــي "الشوافـــة الرئيـــسية" قطع قمـــاش من نفس لـــون "البرنـــوس" والموافقة أيضا للخطـــاب المستحضـــر .

تتمتـــع هذه القطـــع القماشيـــة نفس الدلالة الرمزيـــة من حيث الاعتقاد بقوتها ولكنها تابعـــة او ثانويـــة اذا مـــا تلفظنـــا بمفهـــوم " المرتبة الدينيـــة" . تضعها الشوافتان على مستوى الرقبـــة وتحكـــم الطرفين المتدليين بيدها من الأســفـــل ليبقـــى الشعـــر حرّا تتمايـــل به يمينـــا ويســـارا ، ومـــن الأعلى الى الاســفـــل باتجـــاه الأرض.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاحيانا تلبس " الشوافة " برنوسا أحمر ، وهذا للرقص على " بابا حمودة " واحيانا برنوسا ازرقا تمثيلا " لسيدي علي " او برنوسا أسودا لتشخيص " سرقو "

مع الاشارة انه في كل حالات التمثيل ، لا تستعين " الشوافة بالادوات المكملة والمتممة لهذه الالبسة ، اي انها عندما " تجذب " على شخصية " عبد القادر " بودربالة " لا تأخذ " الشوافة " العصا مثلا ولا السبحة ولا الهيدورة جلد الخروف - كما انه لا يحضر لها على سبيل المثال ، تلك الحجرة البيضاء " ، والثقيلة الى حد ما ، عندما تكون في رقصتها على سيدي علي لتضرب بها على صدرها .
في حين انها عندما تتناول المقطوعتين الأسطورتين - الأولى الخاصة بباباحمودة - فانها تستعين وتضيف لرقصتها الدينية عناصر تمثيل الشخصية لتزيد من معنى الرمزية فيها .
فمثلا بالاضافة الى البرنوس الأحمر الذي ترقص به مدة معينة تحضر المساعدات اناءا فيه كمية معتبرة من مادة " الروينة " وبعض ماء الزهر ليمزج الكل في ذلك الاناء بعد أن تكون قد انهت دورها التمثيلي ، اذ في وضعية جالسة على الكرسي ، تخلط ومساعدتها تلك المادة لتقسمها على الزائرات تبركا بهذا العطاء عليهن وتلبية لرغبة الذات الساكنة .

أما المقطوعة الثانية ، والتي تتناول فيها شخصية " سرقو " وهي التي يعتقد كثيرا لقوتها النفاذة ، فقد تحظى باهتمام بالغ ، اذ تضع احدى المساعدات كمية من البخور لهذا التشخيص في الموقد ، وأخرى تذهب لاحضار " الرمح " الخاص لهذا الاستعراض ، وتحضر كذلك اللباس الأسود . .
اذ مباشرة بعد اثارة هذا الموضوع تقوم " الشوافة " المركزية للرقص فيقدم لها أولا اللباس مرتديه اياه على طريقة " الطوارق " ثم يقدم لها الرمح بعد تطهيره : أي بعد تمريره على الموقد ، ماسكة اياه بيدها لتلعب به في كل الاتجاهات . اذ عندما تدخل حالتها النشوية تغير من قبضة الرمح ، موجهة القطعة الحديدية جهة بطنها و تضع الجهة الأخرى على مستوى الجدار الذي تتكئ عليه جماعة " الديوان " مائلة على ذلك الرمح ، كأنه منغرس في بطنها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مواكبة زمانها الاستعراضي والاعجازي ان صح التعبير ، تحت اقاعات القوقبري وأزواج الترقابو ، بحيث عندما تنتهي تعود الى مكانها فوق الكرسي ، متعمدة بقاءها تحت ثوبها ، حيث عيناها مغلقتان وجسدها ينبض حرارة الاستحواذ .

وهي في هذه الوضعية المعكوسة ، والمقلوبة ، بعيدة عن كل حساسية طبيعية ، ترتمي الزائرات عليها في سرعة مبهرة ، علّها تستفيد من مكان أو عضو أقرب من جسد "الشوافة" لبركاتها وكراماتها المصطنعة ، وكأنها حلقة عبادة .

فمرة ، تسلم زائرة على يدها ، ومرة أخرى على ركبتيها ومرة على رجليها . اذ بعد ما تمد "الشوافة" لاحداهن يدها وهي مغمضة الأعين ، دلالة على علاقتها بسيدها وتأثيراته عليها ، تشرع اية زائرة وقع عليها الاختيار بعرض مشكلها ، وسبب وجودها ضمن هذا الحشد الكبير في صيغة المتكلم المذكر "يا سيدي جيت" اذ بصوت خافت تشرح الزائرات مسائلها واشكالاتها ، ترد عليهن "الشوافة" بأصوات غريبة تستهلها اما "بالعطس" او "التثاؤب" ، ثم عبارات أخرى لم نتمكن من سماعها . . .

نلاحظ جيدا في هذا المثال ، أن الزائرات لا تقمن للرقص ، مثلما هو الحال عند زائرات "الطالب" وانما هي مهمة تقوم بها مساعدات "الشوافة المركزية" ، وهي التي توظف طاقاتهن الجسدية "والسحرية" التي تعبر من خلالها على قدراتها الخفية ، وتجسد بها نظريات التقديس باستنادها على فرقة "الديوان" . لتنصب انعكاسات هذه الاستعراضات وهذا التوسط على الزائرات ابتغاء هظم هذه الاجراءات والسبل العلاجية المبهرة وابلاغها للخارج اذا استوجب التوجيه .

أما من جهة "مجتمع الديوان" ، فقد تكون مساهمة وخبرته في انتاج قوة الاعتقاد وانجاز "الوعدة" في هذه المؤسسة متقطعة وغير مستمرة ، تخضع لارادة "شوافة الأبيار" أو بالتحديد ، حسب أهمية التذرع والتعزيم الذي ترغب تشخيصه . بحيث بهذا المبدأ والمناقض لهيئة ، ومعنى وجوده الأصلي ، يجد "مجتمع الديوان" نفسه قد فُرِّضَ عليه العمل تحت وصايات "الشوافة" لاقرار الانتقال ، وبالتالي مجردا ومسلوخا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قالبه الثلاجي ، ليحتفظ فقط بمضمونه الديني والأسطوري ، وجانبه الفني (موسيقى) يسخرها لحصّص " الشوافة " .

هذا ماكانت توضحه على كل حال تقطعات الموسيقى ، والتوقفات التي كانت تعترض بها " الشوافة " خلال كل تمثيل للموضوع الأسطوري . بحيث كلما عزف " المعلم " مقطوعة باشارة من " الشوافة " ، وانتهى منها بعد الرقص عليها طبعا وتقديم معناها الايمائي يتوقف عن العزف لأن الشوافة مباشرة بعد انتهاء التمثيل فسي الجذبة ، تقوم بقراءة مصادر الآلام الزائرات الاجتماعية وتقييم مجالها الوظيفي في ميدان " السحر " اذ هي بذلك تبين وقعها الاجتماعي والديني مع اعتراف بتعاقدها واتفاقها المفوض رمزيا - لأي غير مكتوب بينها وبين جماعة " الديوان " فسي تدعيم عمليات تسوية الاضطرابات الاجتماعية المرمّزة المعبر عنها في أشكال تشخص الرسوب الاجتماعي ؛ (التقاف التابعة ، صعوبة زواج البنت ، رفع النحس ، عندم نجاح العلاقة ، مخادعة الزوجة ، تكسير سلطة الرجل ، واعادة امتلاكها لصالح المرأة . . . الخ) في تيارات تصورية تنتجها الجماعات والفئات النسوية كثقافة يائسة (1) .

مقابل هذه الخادمية التي تقدمها " فرقة الديوان " لمؤسسة الشوافة " في مهمة دعم وابراز دورها وتبرير فعاليتها ، يضمن " للديوان " مناسبات عقد اجتماع اعضائه . حتى ولو بطريقة عكسية للمعنى السلفي المعتاد عليه لتحظى بشهادة اعتراف لأصل امتلاك مصادر القوة " السحرية والنظريات الدينية وبالتالي ملكية وتفهم الاسطورة المؤسسة ، التي تختزنها " الشوافة " في حقلها التصوري وفي ذهنيتها ، والذي تجدده " فرقة الديوان " بتخليد الزمن الاسطوري أو التاريخ المقدس ، الذي هو تاريخ حقيقي (2) يعكس البدايات الأولى والسلفية التي تعود اليها " فرقة الديوان " ذهنيا في كل مناسبة تدعى فيها للتوقيع على جو التقديس ، وقنوات التوسط .

---

(1) Marc Augé et Claudine HERZLICH ; " Le sens du mal : Anthropologie Histoire, Sociologie, de la maladie coll. Ordres Sociaux, Edition: Des . Archives contemporaines. Paris 1984 Pg. 35.

(2) MARCEA ELIADE: "Le sacré et le profane": Edition : Gallimerd . Paris : 1965 . P; 27.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلخيصا لمجمل العلاقات المتشابكة بين ما يمكن أن نسميه "بالتقديس الأسود" "والتقديس الأبيض" "أو الديوان" الأسود" و " الديوان الأبيض" وبالتالي بين الأسطورة المؤسسة كرؤية نهائية فردية وجماعية والأسطورة المستنتجة أو " المصطنعة" .

نضرب شكلا مبسطا ، نبين فيه طبيعة العلاقات الممكنة التي تعطي معنا ودلالات هذا الاجتماع والاتصال بين الممارستين ، والذي يوضح اندماج كلاّ المؤسستين في المتغيرات المكونة للا سطورة ، وكيفية التعبير عنها في تطابقها مع طريقة تنظيم النسق التصوري " للديوان" أو تقطعها وانفصالها عن الدلالات الانثروبولوجية والاسطورية "التي تتكون منها "ممارسة الديوان" ، هذا تماشيا واستناد على يفرزه واقع الممارسة " الدينية" في العاصمة .

انظر الشكل (1)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- شكل 1-

نبين من خلاله ضمن مقارنة بين مؤسستي الطالب - وشوافة الابيار ، طرق تنظيم النسق التصوري في ضوء التمهين بالمقدس و العمل السحري .

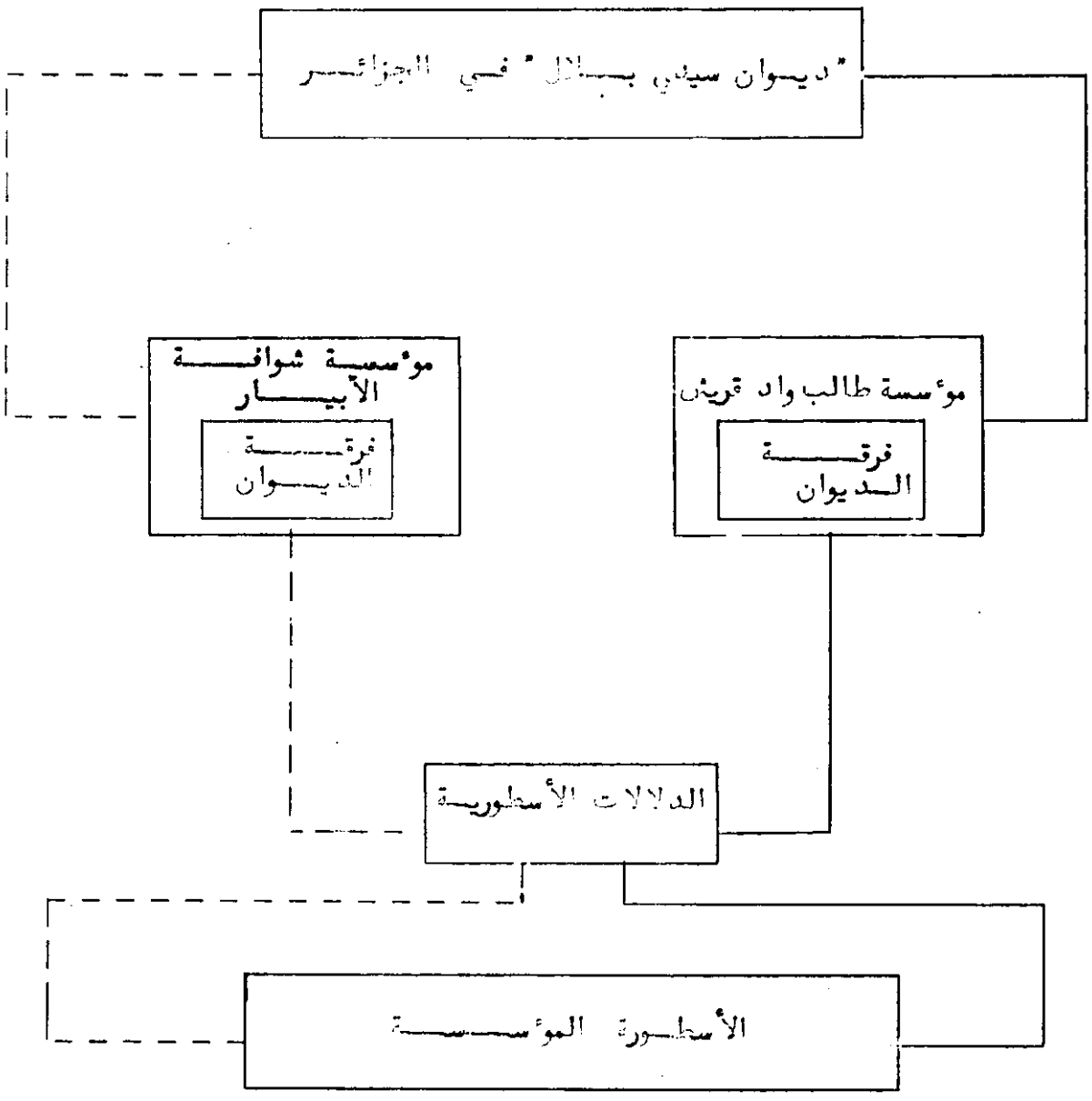

——— : ترمز الى تكامل و استمرار علاقة مؤسسة الطالب بالانتاج الديني و الاسطوري .

- - - - - : ترمز الى تكسّر علاقة مؤسسة الشوافة بالدلالات الأسطورية و تحوّل علامات النسق الاعتقادي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبدو جليا في اللوحة الأولى ، انه بامكانها أن تأخذ مسألة العلاقة الموجودة بين اجتماع " فرقة الديوان" بمؤسسة " الطالب" وانعكاسها على الدلالات الأسطورية ، طريقها في اتجاه الوضوح ، الذي نستطيع أن نستشفه من خلال استمرار روح الأسطورة المؤسسة والامتثال لها بصفة كاملة ومستقيمة .

بحيث ماعدا الوجه المهني الذي تتميز به وظيفة التقديس عند " الطالب" يبقى المجال مناسبا لاعادة احياء الخطوط الأساسية " للديوان" وممارستها بكيفية تطابق الدلالات الرمزية التي تتشكل منها الأسطورة المؤسسة أي أنه اذا ما عزلنا رؤية " فرقة الديوان" لمؤسسة "الطالب" كاطار تحترف فيه التجارب الدينية واجراءات التقديس الأساسية ، والتي تساهم في تكسير نمط العلاقات بالمعتقدات والعمليات الطقوسية .
فان الاستلهام والأخذ بالدلالات والاجراءات الأسطورية بعناصرها المتممة تبقى ثابتة أو على الأقل تتبع نفس المنطق ونفس المدلول الذي تختزنه الذكرة العرقية والجماعية .

في حين أن وضعية العلاقة بين الممارستين وكيفية تجهيز الدلالات الاسطورية في المثال الثاني ، فنجدها معكوسة ، بحيث تظهر فيها الاتصالات غير مرنة ولا طبيعية كما هو الشأن في مثال " الطالب". وتبدو متقطعة لضعف ارتباط " شوافة الابيار" بالا ساطير الأولية وعدم تمكنها من تنفيذها كلها ، وبالتالي ابتعادها على تمثيل الجوهر الرمزي " للديوان" (مكيري ، جاطو ، ريما ، مولاي ابراهيما ، جانقري ، بابا الحاج ، موسى البحري ، لالا ميمونة ...) واقتصارها فقط على استحضار البعض من السلسلة الأسطورية اذ لا يمثل هذا تحت اغين " فرقة الديوان" سوى تبسيطا واختزالا لحقلهم التصوري والانتاج الثقافي والديني .
أما التصنيف الجديد ، والذي تعتمده "الشوافة" لابهار الزائرات فهو انتاج الطابع المهني للتقديس من جهة . كما بامكانه أن يكون رد فعل أفرزته العلاقة التي تربط المؤسستين . مما أدى الى وجود انعكاسات على الحقل الأسطوري " للديوان" وعلى النسق التصوري ، والوحدات لاسطورية التي يعرفها ك . ل بستروس بانها جمل قصيرة تشكل الواحدة منها وحدة بناءة للأسطورة (١)

---

(1) C.L. STRAUSS: Quelques thémes fondamentaux de l'anthropologie : "Les mythes". Bordas- Encyclopedie sciences sociales T.1. Collection : Bordas. 1971 . Pg. 62.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحيث تشكل بالنسبة "للديوان" ، مؤشرات للغة العداوة والصراع الباطني الذي تخفيه عملية استمرارية تعايشهما ، فمثلما تحاول " فرقة الديوان" تغطية ممارستها وحفظها من التلوث بالانتاج الجديد والامتزاج به ، تحاول " مؤسسة الشوافة" من جهتها ، ضرب تابيت " الديوان" في جوهره الديني والميتولوجي ، المكون للأسطورة المؤسسة وبالتالي استثمار هذا الهجوم لصالحها كوظيفة أساسية ايجابية واجتماعية من جهة واستراتيجية لابهار تروبج الزائرات وكسب الامتيازات الناتجة عن اتساع من سعة مجال نفوذها " السحري" أي كلعبة على الخيال الاجتماعي .

أما اذا أخذنا مؤسسة " الطالب كمجال لتنفيذ التقديس، وعقلانية تركيب الأسطورة المؤسسة ، والأخذ لمبدأ الولاية والتمسك بالانتماء للشخصية الأسطورية (سيدي بلال) ، فان الأرضيات التي يرفعها " الطالب كشروط للوصول الى هذه المحددات التي تعيش الذاكرة الجماعية ، أكثرها مباشرة ومستقيمة دلالة من التمسك بالممارسة وتعبيرا عن نوع من الارتياح في العلاقات بالنسق التصوري وتحفيظا ملحوظا في الاصطناع الذي نجده غالبا في ممارسات " الشوافة - ومنذ ذلك ، فان استمرارية الجانب التثقيفي أو المثقف في "الديوان" ، والرؤية البعيدة التي تسعى اليها ممارسة " الديوان" ، قائمة المجال الذي توجد فيه ، وطريقة استغلال نظام تسلسل الذوات الخارقة كمكونات للدلالات الأسطورية ومحددة بذلك طبيعة الروابط والانتماءات التي تشد الأعضاء بخلفيات ممارستهم وأهداف اجتماعهم .

بعد كل هذا ، وخلاصة لهذين المثالين (طالب ، " الشوافة") الميدانيين نخلص الى سؤال فرض نفسه ، بكيفية ، تجمع بين " الديوان" الأسود" الذي هو دلالة عن تطابق النسق التصوري ، بالتصور الذي يعطيه الأعضاء لممارستهم و " الديوان الأبيض" ، الذي يسعى الى تغليف الفرقات " السحرية" بالتجارب الدينية المستمدة من " الديوان" ، يستغلها لنهايات مادية واجتماعية .

يتمثل سؤولنا في امكانية التحدث عن أزمة " الديوان" أو حالة تناقض المقدس التي أدخلت به مؤسسة " الشوافة" وبنظامه الاعتقادي والتصوري ، معبرة عنه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالاختزال والتبسيط للمقومات الأساسية للنسق التصوري و المحددات الأنثروبولوجية .

أيمكن ان نفترض في هذه الاستمرارية اذن ، ضمانات لاسترجاع "الوظائف البارزة" التي يعرفها ملفورد سبيرو : بأنها تلك التي يمنحها افراد الجماعة لمتغيرة سوسيو ثقافية معينة (1) ؟ هل يجوز لنا أخيرا أن نتصور عملية دينية مشتركة تقترح علينا تقاسم الوظيفة :

- فمن جهة تزيين فرقة " الديوان" جلسات " الشوافة " بمحتويات حياتهم الدينية والسلفية .

- وتسمح من جهة أخرى (الشوافة) للورثة الجدد من " فرقة الديوان" استمرارية ممارستهم مستعدين ما يعبرون عنه بروح الأجداد وبالتالي معبرين عن انتمائهم لرجلهم الأسطوري ؟

نعتقد بأن الاجابة على هذا السؤل ، التماس الجوانب المشكوك فيها أو التي لم تثبت قوتها ، تدفعنا الى التجول مرة أخرى ، عبر معنى الأستمرارية وتصوراتها في العاصمة ، ومنهجيا ، كيف تصبح مؤسسات "الشوافات" متغيرات تساهم في توضيح وضعية وحالة " الديوان" وأدلة تفسر لنا علامات التغير الانثروبولوجية والسوسيولوجية التي تساعده في البقاء ، مسايرا ومواكبا استقرار ونجاح المؤسسات الدينية ونهايات استمراريتها .

لهذا الغرض اذن ، وخلال بحثنا استطعنا أن نلحق بممارسة " الديوان في بعض المؤسسات بالعاصمة مطبقين عليها نفس طرقتنا الاستثمارية للمعلومات في كل من : حسين داي ، سوسطارة ، القبة ، وبوزريعة ، محاولين التماس تجانس أولا تجانس المعطيات التي يمكن أن توفرها لنا هذه الميادين أو هذه النماذج الامبريقية ، وبالتالي امكانية تفسير سيرورة" الديوان" في هذه البيئات المتباينة استنادا على ما يعتبره روجي كايوا في الأسطورة متجانسا ممكن التبرير بمفتاح واحد ينطوي على الذهن المنشغل بكيفية اكتشاف الشيء ذاته من وجهة الأخر والواحد من وجهة المتعدد (2) . هذا من حيث هدف اجراء الممارسة وكيفية تنظيمها ، والعلاقة التي تربطها ، " بالديوان"

---

(1) MELFORD SPIRO:"la religion: probléme de definition et d'explication.cit: Luc de HEUSCH:Essai d'anthropologie religieuse:Ed:G Gallimard.Paris . 1972. Pg.136.

(2) ROGER CAILLOIS:"Le mythe de l'homme"Ed:Gallimard;Paris.1938.P.15/16.

TEXTE:"En tous cas,considerer le monde des mythes comme homogéne et comme tel justiciable d'une clef unique;apparait comme une vue d'esprit,de l'esprit tjs preocupé de saisir le même sous l'autre,l'un sous le multiple".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مؤسسات "الشـــوافات" كمتغيرات لاستمراريـــة ممارسـة " الديوان:

ان انتشار وتوزيـــع " الديوان في هذه المجالات ، بشأنه أن يفتـــح لنـــا آفاقـــا على بنيـــة هذه المؤسســات ومدى تجاوبهـــا مع " ممارسة الديوان " ونسقهـــا التصوري ، وبامكانـــه أن يقودنـــا الى قراءة بعض جوانـــب التاريـــخ الاجتماعـــي الـــذي وقـــع علـــى اثـــر هـــذا الاجتمـــاع .

لهذا ، ولكـــي نبرهـــن علـــى وجـــود ظـــروف زمنيـــة تظهـــر فيهـــا "ممـــارسة الديوان" في أعلـــى قمـــة التقييمـــات أو دونهـــا " ديـــوان سخـــون" " ديوان بـــارد" استدلالا لمعـــنى القـــدرة علـــى التشيـــل وتجهـــيز المعانـــي الفعليـــة لوجـــود الذوات الخارقـــة اتخذنـــا مـــن متغـــيرة "الشوافـــات ، أداة منهجيـــة لهـــا مصداقية تثبـــت هـــذا التعايـــش واتاحـــة الفرصـــة للأولـــى بأن تستمـــر . كمـــا نعتبـــر هـــذا الاختيـــار المنهجـــي نقاطـــة فاصلـــة بيننا وبين الدراسات الـــتي سبقتنـــا فـــي تنـــاول المؤسســـات الدينيـــة ، سواء من حيث الكـــم أو مـــن زاويـــة التحليـــل ، وهـــذا باعتقادنـــا أنهـــا تدعـــم الاشكـــالات وتسانـــد بعـــض المحـــاولات فـــي ميـــدان الانثروبولوجيـــا الدينيـــة أو السوسيولوجيـــة الدينيـــة ، ولتوضـــح لنـــا الحـــدود بينهمـــا .

كمـــا بامكانهـــا أخيرا ، أن تقنـــع الرجـــال في هـــذا الميـــدان وخارجـــه بكيفيـــات ارتباط الـــذوات الخـــارقـــة وادراكهـــا كوسائل أو غايات وبالتالـــي فهـــم وحدتها بالافـــراد كهدف أولـــى ، اذ هـــي بهذا أو ذاك ، عبـــارة عـــن قـــوات لاشبـــاع الحاجـــات الاجتماعيـــة الـــتي تحـــدد علاقـــة الأفـــراد بالـــذوات الخارقـــة حسب أنماطهـــا الثقافيـــة الـــتي تؤكـــد وجودهـــا ، اذ ينبـــثق عـــن هذه الحاجـــة بنـــاء أشكـــال وهيئـــات دينيـــة متعددة وظيـــفيا تؤدي دور الـــواقي والمدافـــع وتكتسي أو تتقـــاسم نفس الغاية لـــدى الفئـــات في اللجـــوء الى معـــالجة الظغوطـــات ، ممـــا يكسبهـــا هذا البعـــد التصوري و "السحـــري" : (قبـــة مقـــام ، شجرة مقدسة ، الطـــالب ، الشوافـــة ، .....)

بحيث يعتبر هذا التنوع الهيكلي للمؤسسات الدينيـــة ، بمثابة تركيبة لجزئيات وحـــدة شاملة ، يمكـــن أن نسميهـــا بالاســـلام المغـــاربـــي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كسكيان نسقي واعتقادي ، تحتمي وراء الذاكرة الجماعية والشعبية لتبرير بناءاتها التصورية و سلوكياتها الدينية .

لذلك ، فان مقصودنا من اختيار " الشوافات" كمتغيرات و مؤسسة لتحليل تاريخ ممارسات الدينية، ليس تقليصا من هيئتها التأسيسية بل هي خطوة واسعة نحاول من خلالها فهم واكتشاف مختلف الاصطدامات والانزلاقات التي وقعت فيها ممارسة "الديوان" اثر اجتماعها بمؤسسات "الشوافة" .
كما تحدّد هذه المقارنة بين المؤسسات في الحقيقة ، محاولة للاقتراب من البنيات الدينية المتغيرة المستفزة من هذا الاقتران مشددين بذلك ، على النهايات و الأبعاد التي سيصل اليها الأدب الأسطوري الذي يتضمنه "ديوان سيدي بلال" . مراعين من جهة أخرى ردود الأفعال الناتجة عن استراتيجيات بسط النفوذ السحري ، أو ما يمكن أن نسميه "بالفعل الاجتماعي" الذي يصبح غاية تحققه عمليات الشفاء و الفاعلية العلاجية : (صبت روحي ... ريحت عليها ...، أحنا مسلمين و مكتفين ...الخ) تتكفل بتنظيمها طقوس ممارسة "الديوان" .

عندئذ يصبح هذا الاختيار المنهجي ، اختيارا لتحقيق فرضية الاستمرارية التي تعنيها ممارسة "الديوان" في العاصمة كمجال اقليمي مفتوح ، و بالتالي فهو اختبار لسهولة تعايش أو اندماج الحياة المقدسة "للديوان" بالميدان السحري الذي هو حقل محدّد بمواقف أما طيبة أو شريرة تصبوا الى التحطيم و الموت ....تتوظفه في مثالنا الميداني مؤسسة "الشوافات" (1)
مبرزين من وراء ذلك ، الأسس السوسيولوجية للتحوّل الديني و المساعي التي ترمي اليها وضعيات "الاستقرار" المشوّهة و البائسة التي يعرفها التنظيم التصوري و الأسطوري الجديد .

---

(1) JOSEPH CHELHOD :" Les Structures du sacré chez les arabes "
Edition : G. P. Maisonneuve et Larose .
1964. Pg. 39.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نماذج لسيـــرورة" لديوان واستمراره في كل من: حسين داي ، سوطارة ، القبة، بوزريعة:

لم يكـــن سهلا علينا مناقشـــة هـــذا الانتشـــارللمؤسسات الدينية الـــــتي تشكـــل جزاء مـــن الأحيـــاء الـــتي وقفنـــا عندهـــا الا بعـــد ماحـــــددنا تساءلات جـــزئية ، أجمعـــت على تعريـــف زاوية الانطلاقـــة نحـــو هـــــذه النمـــاذج المجمـــولة فـــي هـــذا القســـم ، وأيضـــا بعدمـــا اقتربنـــــــا فعليـــا مـــن تركيبـــه هـــذه المؤسسات الـــتي استعادت "أحياء " ممارسة الديوان" فيهـــا ، وفهـــم تشكيلاتهـــا الفرديـــة والجماعيـــة ، والـــــتي تـــدور حولهـــا الوظيفـــةالاجتماعيـــة ، الممثلـــة في اقـــامة الوساطـــــة (في استهـــلاك المنتـــوج السحـــري أو وساطـــة بين الفئـــات النســـويـــة الـــقوى الخارقـــــــة) .

اتضـــح لنـــا أن تنظـــيم "ممـــارسة الـــديوان" واستخدام نسقه التصـــوري الفعلـــي " دوزان الوصفـــان" بحقلـــه الأسطوري متوقـــف على تحديـــد المسافـــة الـــتي تـــربط ممـــارسة "الديوان" بهـــذه المؤسسات ، ومـــحـــددة بالفاصـــل التصـــوري والعقائـــدي ، الـــذي يرســـم حـــدود التغيرات .

بحيـــث كلمـــا تغيرت أرضيـــات وثـــوابت قيـــام "الديوان" ، الا وتغيرت معهـــا مفاهـــيم هـــذه الممـــارسة ، لتصـــبح دون ذوات خـــارقة ولا ألوهية وكلمـــا تباعدت أواصـــل الممـــارسة نفسهـــا عن نسقهـــا التصـــوري وانفصلت عن سلسلتهـــا المرجعيـــة فـــي هذه الاجتماعـــات أو هـــذا الاقـــتران لطرفين مستقلـــين ، الا وكـــان مـــن جهتنـــا اهتمـــام فائـــق ، يسمح لنـــا القـــول بأن هنـــاك فـــي هـــذه الـــسيرورة للنمـــاذج الحيـــة والميدانيـــــــة ازدواجيـــة فـــي تنظـــيم الأرواح والـــذوات الخـــارقة ، وازدواجيـــــــــة في التنظـــيم الاجتماعـــي داخـــل مؤســـسات "الشـــوافـــة" .

بحيـــث ، تسمـــح لهـــا هـــذه الازدواجيـــة التنظيميـــة بالتفـــرغ الى كيفيـــات المحافظـــة علـــى الاحتكـــار الديني وتوسيـــع للنفـــــوذ السحـــري فـــي حـــل" العقـــد المرمـــزة .
أمـــا مـــن جهـــة " فرقـــة الديـــوان" ، فهـــدا يدفعهـــــــا الـــى اتبـــاع هـــذه الأشكـــال التنظيميـــة الجديـــدة محـــاولـــة الاستفـــادة منهـــــا ، لكي لاتستنزف أجزائهـــا الانثروبولـــوجيـــــة المكونـــة لهـــــا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان مايحدث بين " فرقة الديوان " ومؤسسات "الشوافة السلاتي استعادت أحياء الممارسة بجهازها الايديو - ديني هو بمثابة انقلاب للانساق ، أو انقلاب للنموذجية النسقية التي يعرفها روجي باستيد " بالانتقال من بنية دينية الى أخرى " (1) .

تعبر فيها عن اختلافات التي تتخلل العناصر الدينية الحية لهذه الانساق ، وكذا بالنسبة لسيرورة " الديوان " .

ومن ذلك جاءت ضرورة اختيار تاريخ الممارسات الدينية أو سوسيولوجية التغير والتحول الديني (2) كاطار نظري وتحليلي لهذا التغاد في الاستمرارية التي نحن بصددها .

خصوصا اذا اعتبرنا ممارسة "ديوان سيدي بلال" كدين اذ كما يعرفه روجي - باستيد :"فهو لاينفي التغير ولكنه يعتبره ضياع ورجوع الى الوراء بالنسبة للاصل" (. . .) "وربما يحقق استعادة أو اخلاصا للذاكرة الجماعية، فهو يرفض أن يكون تغييرا وتحويلا . (. . .) وبالتالي فهو لايشكل الا ايديولوجية تخفي تحت الاستمرارية ، مجموعة قطيعات وتغيرات عميقة . . (3) .

---

(1) Roger BASTIDE :Le Sacré Sauvage; et autres essais; Edition: Payot. Paris ;1975. P.99.

(2) - قام اختيارنا لهذا الاطار النظري ، خاصة لمتابعة تطورات الممارسات الدينية (صالح من وحي أ. أحمد بن نعوم) ندعمه بمحاولتنا هذه في ميدان سوسيولوجية التغير الديني الذي هو صالح نراقب من خلاله البناء والتشكيلة الدينية الجديدة التي من شأنها ان تمس " ممارسة الديوان" كنسق ديني وعقائدي بما فيها جانبها اللساني .

(3) Roger BASTIDE : OP. CIT. Pg: 96.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انطلاقا من هذا ، اقتحمنا ميداننا السوسيو ـ ديني ونماذجنا السوسيولوجية التي لايزال " الديوان " فيها جاريا كان الذي لاحظناه ونحن نتردد على عائلة تحتفل "بالديوان" في حي حسين داي اعتياديا ـ اي كلما اقبل موسم شعبان ، مظرف زمني ديني ـ غياب مهنة الشوافة ، والعمل بالتقديس والوظيفة العلاجية ، اي انها عائلة لم تختر " الديوان" لتوسيع وتدعيم منظور معين ، او مقابل شيء ما ، وانما هو " وعد " منها وتعهد للجد الكبير وأب العائلة الراحل ، الذي كان من أهم العناصر المكونة لمؤسسة "الديوان بالقصبة" قديما والذي يتنمي في أصله العرقي الى مقاطعة " قورمة" السودانية .

استعاد ابنه الأكبر تقنيات الممارسة وجهازها في بيته بعد الاستقلال متكفلا ومحتفظا لها بهيبتها واتجاهها الديني وملتزما أمام روح أبيه الخالدة ، بأن يبقي هذه الممارسة حيّة وتسير وفق نظام الأسلاف ، أوكما يعبرون عنه : على طريقة الأجداد : أي متصاعدة وغنية بالذبائح والضحايا ، تقربا من الذوات الخارقة والشخصيات الأسطورية ومحددة بذلك علاقتهم بالعامل الحيواني .

وبالفعل ، حسب هذا الهدف الأولي والذي يمثل مؤشرا صارخا للالتماس وتحديد الفارق بين هذا المنطلق والمنطلقات الأخرى ، التي يمتهن فيها بالتقديس.
استقامت أمامنا سلسلة من المفاهيم حاولنا قياسها على هذا الواقع ، لاختبار موقف المسؤولية والاستعراضية اتجاه " ممارسة الديوان" في هذا الحي (. . .)
لهذا خصصنا هذا الوصف التحليلي ، ليكون خطوة نتابع من خلالها التنظيمات الثقافية والتصورية التي تحويها "ممارسة الديوان" ، وكشف طبيعة الرمزية المعتنقة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدى لنا هذا جليا حينما كان استغلال الثور الأسود في قمة عمليات توظيف التقديس .
اذ بعد تزيينه ، وتطهير بالبخور ، ومادة الحنة بشكل صليب (من على ظهره ومتقاطعا الى الصدر) مغلف باللباس الأسود المرصع بحبات الودع المطروزة في أشكالها الطقوسية .

خرج أعضاء مجتمع "الديوان" وخاصة منهم ، الرجال في صف دائري ، يقرعون الطبول وأزواج القارقابو فاذا بجماعة متكونة من (3) ثلاثة أشخاص ، تنفصل عن الجماعة الأصلية ، لتتلقى اجراءات التقديس اعتياديا وتتجرد من انسانيتها الطبيعية وهذا بالتطبيق عليها عمليات التطهير ، قبل أن يذبحوا الثور (شرب الحليب من نفس الاناء الذي شرب فيه الثور ، وشرب الماء بعد تبخيرها ، استلام السكاكين خلفيا من يدي " المعلم " أو "المقدم" بعد تبخيرها هي الأخرى ، تقديم تحية لكل الأعضاء ، بتكتيف الذراعين في السماء ....) .

وما أن تجتاح الجماعة المقاوعات الخطابية التي تشير الى حضور الذوات الخارقة ، تقوم النساء والأطفال برمي "الزيارات" من النقود داخل الفئزر الذي يغلف الثور .
وعندما تصل المقاوعات التي تتناول مضمون الشخص والرجل الأسطوري الممثل في شخصية " سيدي بلال " (*) يوضع الثور الأسود أرضا من طرف الذبحين الثلاثة ، جاريا عليه أحد الذبحين سكينته .
مباشرة بعد ذلك ، تزيد الايقاعات الموسيقية من حدتها وترتفع الانغام ، دلالة على الالتزام " بالوعد "

(*) ـ عند ذبح الثور الأسود ، تغني مقاوعة خطابية تتناول طابعا لوائيا : تدعى هذه المقاوعة باسم: "ريما" سيدنا بلالي بن قزما (RIMA) ريما كويماني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للشخصية الراحلة ، و تعبيرا عن التحام و اقتران الزمن المقدس ، بالزمن السلفي الذي تعهدت له العائلة .

بعد هذا التنفيذ الدقيق و المفصل لقداسة الثور الأسود ، و ما يمثله في اعادة صور الاحترام التخوفي ، و تثبيت لتصورات الجماعة العرقية كحيوان مقدس ، و ما ينبعث عنه من شعور بأداء مهمة الأسلاف و الارتياح من مفعولها الوساطي .

تعود الجماعة و على ايقاعات "النوبة" الى داخل البيت و في هذه المرة بداخل غرفة واسعة ، كان معلق على أحد جدرانها صورة لأب العائلة و مالك " المحلة" سابقا . و من الجهة المقابلة وجدت خزانة كبيرة ، أخرجت منها أولى مستلزمات بداية "ممارسة الديوان" الدينية بعدما أن تشكلت الأعضاء في حلقة من نوع مخايل لتلك التي كانت في البهو .

اذ توسط " المعلم" الحضرة ، جالسا و بيده آلة القنبري و موزعا على الأعضاء الآخرين أزواج القرقابو ، ليحتلوا فضاء الغرفة في حلقة نصف دائرية ، فاسحين المكان الكافي للرقص الديني .
أخرج من الخزانة طبق كبير ، كان يتضمن عليا من أنواع البخور و سكاكين مزدوجة و مضاعفة و أسواط مضاعفة أيضا مظفورة و قارورات من العطور ... علما بأن اللوازم الأخرى كانت محفوظة في الخزانة (الرماح ، الحجرة البيضاء ، البرانيس ، الهيدورة حربة سرقو ، البولالة ، ....) و ان لم تخرج في نفس الوقت مع اللوازم الأخرى ، فهذا يعود فقط لطريقة تنظيمية و لقلة المساحة .

استهل بعد كل هذا "المعلم" بداية طقوس "ديوان سيدي بلال" و ضمن السلسلة الخطابية ، باستحضار المقاطوعة التي ترمي الى التوسل الى القوة المطلقة و طلب العفو لانجاح حلقته و اجتماعه هذا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم تلتهـا مجموعـة اخرى متممـة للسابقـة ، مـركزة على المذبـح وذكـر الفصـل العظـيم للقـوة الحقيقـة واخرى مخصصـة للرسـول صلى الله عليـه وسلـم او شخصيـة سيدي عبد القـادر بودربالـة ـ ارجـع الى المقاطـع ... ـ يوديهـا كمواضيع اساسية شخـص كبيـر في السـن أولا ، ثـم تساعـد في تنفيـذ حركتها الايمائيـة ذلكـم " الطالـب" ، وهـذا لتدرتهما على تجسيـد وتمثيـل احداث هـذه المواضيـع الأولـى ، وخبرتهـا في هـذا الميدان الرقصـي والاسطوريـة ، وقيـاس الزمـن السلفي .

ثم يأتـي دور العناصـر الشابة لتوقـع هي الأخرى عـن مشاركتهـا الخاصـة وتجرّدهـا مـن طبيعتهـا اللادينيـة ، لصالـح التعبير عـن انتمائهـا لمجتمـع " الديوان" ، ثـم لابراز استعدادهـا في ترجمـة تنشئتهـا الدينية والتمكـن من ادائهـا امائيـا .

امّـا الجـدة ، فقـد تعـدّ رقصتهـا مقدسـة لاحياء ممارسـة "الديوان" سواء كجـزء منهـا ، أو اخـلاصا لزوجـها .
بحيث ترجـع قداسـة رقصتهـا الى الانسجـام في توظيـف الجهـاز الدينـي الخـاص بالمقطوعـة ، وأداء الرقصـة فنيـا ، أو على طريقـة الاسـلاف .
اذ خـلال دخـولها " الجذبـة" على " بابا قورمـا" التي يقـدم فيهـا عادة للشخـص الجذاب قطعـة خشبيـة ينيم تطهيرهـا وقصعـا مملوءا بالمـاء يوضـع في وسطـه الموقـد بنـوع البخور الـلازم ، لتـدور حولهـا مدة معينـة وهي محتفظـة بوقـع الرقصـة علـى انغـام المقطـوعة .
بحيث اذا بلغـت نشوتهـا ، رفعـت ذلك القصـع الى اعلـى رأسهـا وسكبـت المـاء عليهـا لتسبـح فيـه قليـلا ، قبـل أن تعلـن عـن نهايـة مهمتهـا .

( ) ـ نلاحـظ في هذا المثـال ، حضـور " طالب" وادى قريان ـ ليـس كمتهيـن بالتقديـس تنطبـق عليـه تعريـفات " الشامـان" كمعالج وساحـر جماعتـه ... " ولكـن كعضـو مرجعـي يحدد خـط الانتمـاء العرقـي واستيعابـات الأرضيـة التصوريـة " للديـوان" واخيرا كعضـو مراقـب ، لطريقـة تنظـيم الممارسـة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــاذا كـــان تعداد المؤهلـــين والاكفـــاء في طريقـــة أداء " الجذبـــة" كزمـــن رقـــمي دينـــي فـــي هـــذا البيـــت مهمـــا ، فهـــذا لأنـــه يعـــد بمثابـــة عامـــل لتقـــييم اجـــراء " الـــديوان" وتنظـــيم نسقـــه التصـــوري والانجـــازي .

بالنسبـــة للحضـــرة الخارجـــة عـــن هـــذا المجتمـــع ، كمـــا تعـــد درجـــة تمثيـــل مواليـــد هـــذا النســـق التصـــوري ، وتجسيدهـــا بصفـــة ماديـــة ، عامـــا معياريـــا للحكـــم علـــى مســـتوى التجسيدات المقـــدسة الـــخارقة ، وتحقيـــقا لمـــا يعبـــرون عنـــه "بالديـــوان" المخـــزون دلالـــة عـــن التجـــارب مـــع الشخصيات الأسطوريـــة ، الـــتي تشكـــل محتـــوى البنيـــات الخطابيـــة للأســـطورة الشـــاملة ، وقـــدرة تمثيـــل رمزيـــة الـــذوات الـــساكنة فيهـــا .

فحيثمـــا تعـــددت ، وكانـــت علاقـــة الجماعـــة الـــديوان بالمحـــاور الانثـــروبـــولوجيـــة قويـــة واشتـــد تجسيـــد الشخصيات الرمزيـــة وتمثيلهـــا فـــي هـــذا الجهـــاز الشـــارط ، الا واقـــتربت " الجذبـــة" مـــن الجانـــب الترويحـــي ، والـــدرامـــي للأســـطورة الـــتي يؤهلهـــا ، بالواقعيـــة الزمنيـــة والمكانيـــة ، أو بمـــا يسميـــه م . اليـــاد ، بالحاضر المخلـــد فـــي الزمـــن الأسطـــوري " (1) وهـــو الشـــيء الذي عـــد انتباهن علـــى كل ، ونحـــن نتابـــع قيام احـــدى قريبات هـــذه العائلـــة وهـــي فـــي أوج حالتهـــا النفسوية .

اذ تفطنـــا الى انـــه كلمـــا كانـــت مقاومـــة ثنائيـــة جســـارة فـــي الأداء الايمائـــي وصيغـــة استحضـــارها ، الا وكانـــت حافـــزا مثـــيرا لعضـــو ثانـــي مـــن مجتمـــع "الديوان" . اذ لاحظنـــا انه بدأت تشعـــر على أثرها ببعـــض القلـــق ، وبعـــض الارتبكـــات ، وأحيانـــا أخـــرى بكـــاء وصراخـــا كـــاعتـــراض للانجـــذاب . استطـــاع " المعلـــم" وأعوانـــه من كشـــف أو الانتـــشاق عـــن سبب وضعيتهـــا التحزبيـــة .

اذ كـــان انجـــذابها بسبب حضـــور " سيّدهـــا " والممثـــل في هذه الحالة الموافقـــة للمساســـلة التصـــورية وصنـــف الانتمـــاء العرقـــي ـ بمولاي ابراهيم ـ الـــذي ، للرقـــص عليـــه ، أخـــرج " المقـــدم" مـــن الطبـــة زوجين الساكنيـــن

---

(1) MIRCEA ELIADE : Traité d'Histoire des religions ; Edition: Payot . Paris : 1949. P. 336.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تـــم تطهيرهـــا بنـــوع البخـــور المواتـــي للمقطوعة . ثم وضع حزاما من القماش أحمـــر اللـــون ، على ذلك الـــدخان المتصاعـــد من الموقد ومســـح تلـــك السكاكـــين . وعندمـــا تعـــبر باقـــتراب حالتهـــا النفـــسية أمـــدهـــا أيا هـــا خافيـــا ، بصفـــة يتـــسلاقى فيهـــا ظهـــره بظهـــر المـــرأة الراقصـــة .

هـــذه الأخـــيرة لمجـــرد استلامهـــا السكاكـــين حيّـــت الحضّرة ومجتمـــع " الديـــوان بالتسلـــيم علـــى رأس " المعلـــم " ، الى غايـــة العنصـــر النســـوي ((العريفـــة)) ، وكأنهـــا ذاهبـــة لسفـــر غير موثوق مـــن الرجـــوع منـــه أو لمهمـــة صعبـــة .

اذ لمجـــرد الانتهـــاء من هـــذا التسلـــيم وعلـــى اقامات حـــارة نوعـــا مـــا ومرتفعـــة ، تشـــرع بضـــرب ذاتهـــا بالسكاكـــين علـــى مستوى بطنهـــا بكـــل قوة عـــدة مـــرات ، منسجمـــة مـــع الايقـــاع الصوتيـــة ....) الى أن وقعـــت أرضـــا ، معلنـــة عـــن انتهـــاء مهمتهـــا ، وتسجيـــل انتمائها كمـــا يقولـــون : " حوصويـــة) .

بالاضافـــة الى هـــذه الاستعراضـــات ، هنـــاك مقاطـــع أخـــرى موصوفة كلاميـــة لاتقـــل عـــن سابقتهـــا من حيث رمزيتهـــا وملحمتهـــا ان صـــح القـــول تنتهـــي كلهـــا الى نتيجـــة واحـــدة والمتمثلـــة في الصعـــود الى مـــا فـــوق الطبيعيـــة والتمـــاس الـــزمن السافـــي معبـــرين عـــن ذلك بلفظـــة : " اركـــب " ـ دلالـــة عـــن حـــسن الاداء والغوص التاريخـــي والثقافـــي ، وبالتـــالي كوسيلـــة للرجـــوع بالذاكرة العرقية الـــى الزمـــن المقـــدس فـــي آن واحـــد ، عـــن طريق التفـــنن فـــي توظيـــف تقنيـــات "الجـــذبـــة " .

الى هنـــا ، توضّـــح لنـــا وضعيـــة " الديوان " في حسن داي ، نوعية الإهتمـــام بهـــذه الممارســـة وأبعـــاد تكـــرار النمـــط الديني الـــذي تعيشـــه خـــلال هـــذه الفـــترات الزمنيـــة . كمـــا تبيّـــن لنـــا جليـــا طبيعـــة وطريقـــة إستعـــادة النســـق التصـــوري والاسطوري وكيفيـــة مراقبتـــه من الضيـــاع ، أو حفـــظ ماهـــو مهـــدد بالضيـــاع .

هـــذا لوجـــود ارتباطـــات وعلاقـــة بيـــن أعضـــاء " مجتمـــع الديـــوان " أثـــرت علـــى معـــنى هـــذا الاجتمـــاع والجوهر الوظيفـــي لممارستهـــم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــذي إنّ لـــم يثـــر انتفاعـــا ماديـــا ، فانـــه يحـــرض حاجـــة ثقافيـــة لأعضائـــه . تساعدهـــم بذلك علـــى الاجتمـــاع من أجـــل تجـــديد تصـــورات الانتماء الفـــردي والجماعـــي ، وتشجّعهـــم علـــى مثابـــرة " العفويـــة" والـــتي تميّز مراحـــل تنظـــيم الممارســـة ودليـــل حيـــاة دينيـــة " ناجحـــة" .

أضـــف الى ذلك ، أن اتبـــاع " الطريـــق" أو السلسلـــة الخطابيـــة كمجموع شعـــارات ليـــس توحيـــدا ميكانيـــا فحسب ، بل مقياس لتصوير درجـــة تمثيـــل الأسطـــورة المؤسســـة ، أو ذاكـــم الماضي الـــذي تربطهم بـــه تعهـــدات ووعـــود للشخصيـــة الأسطوريـــة .
كمـــا تعتبـــر وسيلـــة لقياس حجـــم امتلاء الممارســـة وابـــداء فيمتهـــا في نفسيـــة الأعضـــاء عنـــد تقييمهـــا وتحليلهـــا .

ان استئنافنـــا تطبيـــق دراســـة الـــواحـــد من وجهـــة المتعـــدد كمبدأ للبحـــث ـ أجبرتنـــا علـــى التنقـــل مـــن هـــذا المثال اتجـــاه نمـــوذج يمـــارس فيـــه " الديـــوان" بطريقـــة تتميـــز الحياة الدينيـــة " بالخائبـــة" عكـــس الناجحـــة ـ ، محاولـــين بذلك صياغـــة اجابـــة عند الـــشيء الذي تـــرمز اليـــه الحيـــاة الدينيـــة الـــتي يثيرهـــا تطبيـــق النســـق التصـــوري في هـــذا الحي الكائـــن بسوسطـــارة

وداخـــل هـــذه المؤسســـة ، وبـــما ان الذاكـــرة هنـــاك علـــاقة مستمـــرة بـــين حاجيـــة "المحلـــة" ، ونظـــام " الديـــوان" وعقلانيـــة التصوريـــة ؟ أم هـــي علاقـــة متقاطعـــة ، تتســـتر ورائهـــا تناقضـــات المقـــدس الـــتي تمـــس تنظـــيم "الـــديوان" في هـــذه المؤسســـة ؟

ان مايجـــري داخـــل هـــذا الاطـــار ، ولاحظناه في التطبيـــق "لممارسة" الديـــوان" في دار شوافـــة سوسطـــارة يحكـــم استعادة احتفـــظ الجهـــاز الديني ولوازم الـــبيـــد القدمـــى مـــن الضيـــاع فتـــرة مابعـــد الاحتـــلال ، حاســـم تصورنـــا لمحـــتوى " الخادمـــية" الـــتي صيغـــت لأجلها ممارســـة " الوحـــدة" .
اذ أصبحـــت كتبريـــر نظـــري كافيـــة لدفـــع قيام " الديوان" الى الامـــام والاحتفاظ لـــه بمغـــزاه الـــديني وتـــبرير المحتـــوى .
الـــشيء الـــذي أهلهـــا بأن تحتـــل مركزا اجتماعيـــا ودينيـــا ، جاعلـــة من عامـــل المهنيـــة والحرفـــة بالشـــوافـــة كمؤشرات تحليليـــة اعطيـــات

ان الصفحة الموالية تحمل خطئ الرقم 5 7 1 ولكن من دون أن يؤثر ذلك على منطق تحليلنا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التنبئ بالمستقبل وشفاء الحالات المرضية ، أو ممارسة السحر العلاجي واستخراج حالات الاستحواذ ، ورفع النحس (1) ، هي المحددات الأساسية للتحولات التي طرأت على التفكير الديني الذي تحمله ممارسة "الديوان" ، وبالتالي على التجارب المقدسة التي تشكل المحتوى الخطابي والجوهري الأسطوري .

ما كان هذا بمجرد انطلاقة أولية وتحليلية وقفنا عندها بسهولة ، ويقين تام . بما كان العثور على هذا النموذج والتعامل معه ، لمثابة بناء جديد ، له خصوصياته ، والآخر ومراحل ساعدت على تكوينه ؛
كان من بين هذه المراحل أن مذرائية هذه "الشوافة" المادية ، وعدم زواجها الى يومنا هذا ، مقترن أساسا بحدث قائم على وجود شخصية ، أو ذات خسارة (جان) تسكنها ، وهي من جنس ذكري .

تتزوج منها كجسم منفصل رمزيا وملكها بصفة قطعية ويمكن له أن يمنعها من اقامة علاقة مع بني البشر .
الشيء الذي ساعدها على أن تنفرد برتبة ضمن السلم الاجتماعي وخيال الفئات المتداولة عليها وأهلها بجدارة ادارة البرنامج الديني و " السحري " الذي أنتجته إثر استحادتها وتمكنها من النسق التصوري ، واللوازم الدينية الأخرى التي كانت في ذلك الوقت في " دار زوزو " المعروفة بدار الشجور ، متعهدة اجتنابا لاية حالة مرض ، وتهول كما جاء على حد تعبير طالب" وادي قريش بأن تزور هذه الممتلكات الجديدة ، وتمارس عليها طقوس الزيارة دلالة من " خادمية تقدمها المعنى الرمزي لاستخدامات هذه الأدوات ، ووحداتها الأسطورية ، بذبح وسفك الدم عليها ، واخضاعها لسلسلة التطهير المحددة .

---

(1) Marie VIROLLE SOUIBES : Femmes, Possession et Chamanisme: Exemples Algeriens. in: Actes des IIeme rencontres Internationales de NICE . Transe, Chamanisme et Possession : Edition Serre . NICE . 1986 . Pg: 99

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان نتيجة هذه العوامل الاقتصادية ، أن تقوّت حرفتها بالشوافة و زادتها فرقة "الديوان" مكانة دينية و اجتماعية باعتبارها الوحيدة ، التي تستطيع اعطاء سيرورة خارقة و رمزية لمحتويات ممارستها .

فكلما حلّ موسم "شعبان" خامسة ، أو اليوم السابع و العشرين من شهر رمضان ، الاّ و تلقت فرقة "الديوان" استدعاءات الحضور الى بيت الشوافة في سوسطارة ، لتقيم لها "وعدتها" و تغنّي لها بها على ضوء تعهدها و تلفظها الكلمة الرمزية اتجاه القوى الرمزية و اتجاه زبائنها من الزائرات

فخلال وجودنا بهذا البيت ، الذي ساعدنا على اقتحامه احتكاكنا المتواصل بجماعة "الديوان" في كل وقت و في كل مكان أجري به الاحتفال الديني . لاحظنا تكرار بعض المعطيات ، أو اشتراكها بين مؤسسات "الشوافة" التي وقفنا عندها .

تتمثل هذه البيانات في وجود بعض الكراسي التي يشبه استغلالها نفس الوظيفة التي كانت تلعبها في مؤسسة الأبيار . كانت هذه الكراسي ملونة ، و على كل واحد منها لباس شخصية رمزية مخصصة لتوظيف تقديسها أوقات وضعيات نشوتها .

كما تعاودت أمامنا ملاحظة عنصر الذبائح ، و لكن في هذه المرة ليست منطبقة على الثور الأسود ، و انما على مجموعة من الخرفان و أزواج الطيور ، تقدم كتضحيات عرفانا بالذوات الخارقة المستحضرة و تلبية للمؤلف الرمزي (سيّدها) الذي يسكنها و تخضع له اعتقاديا .

أضف الى ذلك و الى العناصر المكملة ، استهلال وحدات السلسلة الخطابية من طرف "المعينات" ، التي هي في هذا النموذج نساء مالكات لمؤسسات الشوافة مستقلة في جهات أخرى ، استدعيت هي الأخرى لمساعدة "الشوافة المنظمة" ، و كذلك لتسمح لهن تجديد قواهن السحرية والترويحية . بحيث تتمكن للرقص وبايجاز (مقلصة من حجم وقيمة التمثيل) على معظم المقاوعات مبرزة بعض

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعقيدات والشذوذ في سلوكها مع انغام واصوات الآلات الموسيقية (غير منسجمة مع المعاني الروحية لصنف الموسيقى ولا مع الجوهر الاتنوخطابي) . فساحة المجال لسيدة "المحلة" التي تقوم للرقص على " بابا حمودة" ، الذي نجده كقوة خارقة متكررة كثيرا ؛ اي يخضع " كسلعة سحرية" لطلب وافر من طرف الزائرات .

او مثال " بابا مرزوق" ، و " بابا نوار" ، "سيدي علي" ... الذي يمثل رقصتها المفضلة أن صح القول ، بحيث تلبس في هذه المقطوعة برنوسا ازرقا يغطي كل جسمها ، تضاف لها " حجرة بيضاء" ، التي لمجرد استلامها بعد التطهير والتحية تقوم باستعراضها ، وهذا برفعها الى الاعلى وتنزلها على صدرها بكل قوة (....) عدة مرات الى أن تستهلك طاقتها العضلية ، فتحطها ارضا امام " المعلم " ، وتستمر في " الجذب" على ركبتيها ويديها ، تلوح بشعرها في كل الاتجاهات الى غاية اعلانها عن التشبع الداخلي .

فتعود فوق كرسيها الخاص، موقفة بذلك ارادايا ايقاعات القونبري وازواج القرقابو ، مشيرة بذلك الى دخولها عالم التطبيب وتسخير القوى لمتطلبات زائراتها، وبالتالي بداية حصصها العلاجية . غير مراعية من جهة اخرى بأن هذا التوقيف يمكن اعتباره تكسير وتعطيل لزمنية حقيقية تريد " فرقة الديوان" بلوغها ، وانها فرصة بالنسبة لها لاستعادة تخليد متواصل ، يحدد الهوية الثقافية ويعيد بناء الوعي التاريخي للجماعة عرقيا وذهنيا .

امام هذه الوضعية المتميزة بالصراع التحتي والمتقطعة التي تستهدف اخفائها لتقديم وجه اكثر قابلية للعرض تحت صورته المنسجمة ، يبقى هيكل القسم المتبقى للسلسلة الخطابية ، غير متجدد ولا يعرف ترجمة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صحيحة ، لو لم يعتني به ضيوفها من رجال "الديوان" والذين هم أكبر عناصرها سنا وأقربهم الى النسق التصوري الذي تتضمنه ممارسة " ديوان سيدي بلال " .
هذا لتميزه بالخطورة والصعوبة في التنفيذ (كالضرب بالأسواط على مستوى الظهر ، أو التجرح بأداة الحلاقة القديمة (مولاي ابراهيما) ، أو بالرقص على جاما و أو ميكي بوضع الرماد ، وجناني بأكل اللحم غير الطازج ، وبوري بسوي ...) التي اذا ماقرنت بالاصناف السابقة ، بدت بسيطة ، أو على الاقل ، فان الأولى - وهي التي ترقص عليها الشوافات وتستخدمها لصالح العمل السحري - لا يمكنها أن ترقى الى نفس درجة " الملحمية والدراماتيكية " أو الخيال الترويحي ، الذي تتمتع به هذه الأخيرة لاحتوائها وسعتها تمثيلا ثقافيا ودينيا خارقا ، مما يجعلها صعبة التمثيل ولا واحد من "الشوافات" تقدر على تصويرها فنيا و مخاطبتها في محتواها اللساني .

ان ممارسة " الديوان في الحاضرة" صارت مقيدة ، كما جاء على حد تعبير "المعلم" ويرجع السبب في ذلك لضعف مراقبة عملية الاداء الدينية ، وتدهور رابطة المقدس المعبر عنها باختفاء وزوال الأعضاء المختصين في أداء الحركات الأيمائية من الجنسين .
اذ لم يبقى أحدا يقربهم أكثر من النمط السلفي المثالي وينتقل بهم عبر قنوات "الجذبة" المراحل الدينية والانماط المعيشية السالفة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ربما قد ينتظر من أتباعنا هذا التسلسل الكيفي ، الناتج عن طبيعة دراسة هذه النماذج ، بأن نصحو الى النماذج الملموسة المتبقية ونواصل تجزئتها مكونتها . الا أننا بعد التطلع على المحاور المتغيرة والتي تجري عليها عمليات التحول (أو الانتقال من المقدس الى المدنس) ، أو من الظهري "المنسجم" الى الباطني المتقطع - لنتيجة لاجتماع "الديوان" بالمؤسسات المتبقيات (بوزريعة ، القبة) واقتحام الحياة الدينية فيها تبين لنا أن الاستئناف في ملاحقة نفس المؤسسات السحرية ، والدخول في تفاصيلها (مهنة الشوافة ، الكراسي الاستحواذ ، التعهد بالذبائح كوسائل لتنفيذ الوساطة . . .) قد تبرز لنا نوع التعرق الذي تصورات الوحدة والاختلاف طريقة استعادة أبعاد الجهاز الايديو - ديني ، وطريقة تنظيمه .

واتضح انا بأن تنظيم "الديوان حسب هذه المجالات بمثابة حلقة مفرقة تتكرر فيها نفس المعطيات ، ولو بأثمان متفاوتة أي حسب مناطق استدعاءات الاحتفال ، وطبيعة ادارة الاجهزة وتسييرها بالمعنى الكمي ، هذا معناه ان ثمة حجز وتقييد للمخزن الأسطوري وتحديد في طريقة تنظيم الممارسة .

بدليل أنه حيثما وقفنا نتابع دراسة "الديوان الا وكان الجانب الأسطوري الانثوي غائبا (لالا ميشة ، لالا ميمونة سلطان قناوى ، صوانعي ، لالا مليكة . . .) ماعدا في حي حسن داي . الذي تسير فيه هذه المرجعية بصفة محترمة ، وتواجه مستلزماتها - (حلوى ودمى ، قبعة في شكل تاج ، . .) على أكمل وجه ، تعلو وتسمو به الى مستويات روح الممارسة الأولية التي كان يحييها الأب الأسطوري والفعلي .

بذلك فان عامل الاشتراك في تفاصيل التقديس بين الشوافتين المتبقيتين يقودنا الى القول بأن مفهوم "الوحدة "كنموذج لتنظيم ديني لدى الشوافات ، هو أكثره مفهوم " حسابي " ، أي متوقف على تعداد الحصص العلاجية ، و "السحرية" ليصبح بذلك ميزة لما يمكن أن نسميه "" بالديوان الأبيض "، الذي تتفاصل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيه الكاليسة الاستعمارية ، التي يختفي فيها حرص الشوافات على تغطية وتغليف أو استدراك الفجوات التي تتركها حصصها الدينية مثنيا ، أو تعيد تجديدها .

عندئذ يصبح "الديوان الابيض" للكتاب لاعادة تجديد أو تحولا كتابيا متأخذ على اثره العصور المنتخبة لقوة "الشوافات" نفوذها واستقرارها، يسمح بتجديد التنظيم الاجتماعي عن طريق تجديد التنظيم السحري ، الذي يتعرض لتوسع عكس " الديوان" الذي يتعرض للتبسيط والاختزال .

ونتيجة لكل ذلك ، فان تأثير ممارسة " الديوان" بمهنة الشوافة والبعد الوظيفي الذي تعطيه لها قد أخذا من قيمة الجهاز الرمزي ، ومن مستواه الديني المقدس ، أو بالاحرى أنه ألحق بالدلالات الأسطورية تخفيضا في مستوياتها القاعدية وطريقة جديدة في استخدام الطقوس الألوهية .

كما أنها خيانة شوافية في تدنية القوى ، التي ان استذكارها كمؤشر تحليلي ، بيّنتنا التحويل الكتابي الذي مس الجوهر الديني و العجز في الاستعانة بالسلسلة الغطائية كمرجع يشرح مخزن تشخيص مؤلفيها .

هذا التأثير و الانعكاس الذي انصب على الميّز التصورية ، التي من شأنها فهم علاقة اعضاء "الديوان" بالممارسة التي يجسدون فيها تلبية فريدة من حيث عمليات "العقود" و الوساطة الرمزية ينادي من جهة أخرى على ما يمكن أن نسميه " بالوجه البارد" أو بالبرودة التي تحتوي الشكل العام للسيرورة الثقافية و اتجاه المضمون الاعتقادي ، الذي يعتبر بالنسبة "لفرقة الديوان" وحدة قياسية لتقييم درجات تحديد الأسطورة المؤسسة و بالتالي مفهوم "الوعدة" ، "ديوان أبيض = ديوان بارد" .

يمكن انا اذن ، انطلاقا من هذا البعد السوسيومتين الذي تتبناه "فرقة الديوان" اتجاه استعمالها و استعمالها من طرف مؤسسات "الشوافة" ، أن نحدد ميكانيكة هذا الانقلاب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في البنـــــى التصوريـــة و المعتقـدات ،في صورة خطـــاطـــــــــة توّضح من خـلالهـا ، " اختفـــاء التطلعـــات تحت الافـــــــات الاستماريـــــــة" (1) دلالـــــة عن وجـــود انزلاقـات و استدراج في سيـــرورة تنظيـــم النسـق التصوري "لديوان سيدي بلال" .
أنـــــظر الشـــــكل ــ 2 ــ

(1) Roger BASTIDE :"Le sacré sauvage et autres essais ", Edition :Payot. Paris :1975. Pg. 104.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ الشكل 2 ـ يوضّح من خلاله ظروف اتصال و وظائف استعمال " فرقة الديوان " من طرف مؤسسات الشوافة و انعكاساتها على السلسلة الأسطورية .

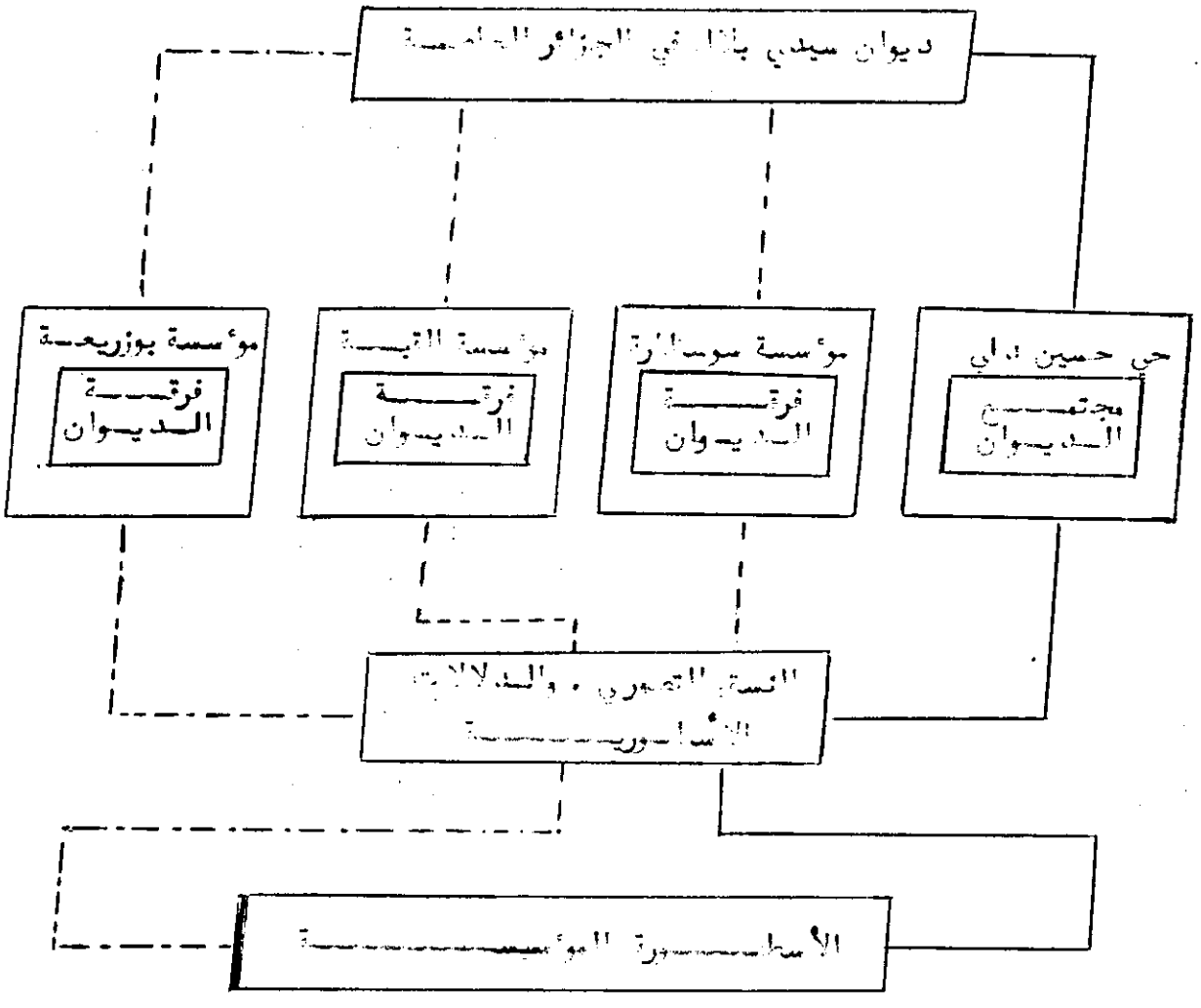

ـ يمكننا أن نستخلص من هذه القراءة المقارنة أفقيا في هذه الخطاطة فكرتين أساسيتين ، تنفصل فيهما الخانة أو اللوحة الأولى المتضمنة تظاهر "الديوان" كجزء من التكوينة الثقافية لمنظميه في هذا الحي عن باقي المؤسسات المتعرض لها .

ان يترجم لنا هذا القارئ الظروف والشروط التي يتحول فيها مغنى الاحتفال " بالديوان" من غاية للتجديد على طريقة الأسلاف إلى وسيلة مستخدمة " لتغطية الحياة السحرية وسد فجواتها التجريبية اليومية .

الشيء الذي يجعل من معنى "المقدس" متغايرا ومتضادا يتحول تصوّر مكانة الممارسة من دليل المعنى العرفي الى مجموع تجارب دينية غير معاشة .

ـــــ : ترمز الى علاقة استمرارية رابطة "مجتمع الديوان" بدلالات و النسق التصوري للممارسة

ـ ـ ـ ـ ـ : ترمز الى تقطع علاقة مؤسسات الشوافة بالأسطورة المؤسسة ، و تضادات تصوّر المقدّس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا الفكرة الثانية، فتتناول علاقة مجتمع "الديوان" بالنسق التصوري عموديا – في حسين داي – وتحاورها الطبيعي غير المشروط بالدلالات الأسطورية، التي تحييها وتخلدها من دون استثناء. ومن الجهة الأخرى، تكسّر هذه العلاقة في اللوحات المتبقية، بفعل التهجين والاحتراف بالتقديس ونشوب تنظيم سحري جديد مبسط، أو محصور من حيث مادته الأسطورية. لوجود منطلقات انتخابية متقاطعة لا تستخدمها الشوافات لتخليد الأسطورة المؤسسة، وهذا طبيعي حينما لا تصرح الانتماءات للشخصية الأسطورية من جهة وحينما يكون التأليف الرمزي مغالطا، لا يتماشى وشخصية الذات الساكنة.

نفهم من هذا وبصفة مفصلة أن خط استمرارية "الديوان" في لوحته الأولى محدد بوحدة قياس الروابط الفردية والجماعية التي تشدّ الأفراد، والتي تجعله جزءا من تركيبة العائلة وقسما من حياتها الدينية والثقافية.

في حين أن عدم استخدام النسق التصوري الحقيقي في بعض المؤسسات و "تزوير" استعمال الجهاز الأيديو – ديني فيها أدى إلى توحيد نمطية التنظيم السحري الجديدة وتشكيل تصنيف للتجارب الدينية، يلعب فيها "بابا حمودة" دور "السيّد" في مؤسسة "بوزريعة" بالاضافة إلى تصنيف ثلاثي مستعار يقوم على قوى خارقة "مؤممة" ان صح القول ("الجنّ التونسي"، والجنّ الجزائري"، والجنّ المغربي ...)، والموزعة حسب الوظيفة السحرية والاجتماعية، ملبية بذلك احتياجات الزبائن.

ومن بين الانعكاسات التي يمكن تسجيلها كذلك، وخاصة عبر المراحل التمثيلية و دراسة الحركية الايمائية، التي تفجرها "الجذبة"، استخدامات الوسائل الرمزية التي لا يفوق مستواها معياريا الأسطورة المؤسسة ولا تجتاح العالم الما فوق الطبيعة بانحرافها عن سيرها الأصلي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصار مبدئيا لهذا ، أن نعتبر الاستمرارية في هذا المستوى النسقي الجديد ، بمثابة اطمئنان وارتياح في توظيف أجهزة النسق التصوري " الأم " بالنسبة للطرفين :
يضمن لممارسة " الشوافة " توسيع خدماتها الدينية وقوتها في تعميم وظيفتها الاجتماعية ، ويشجع " فرقة الديوان " من باب ثاني الحفاظ أو انقاذ بقايا النسق التصوري والدلالات الأسطورية التي لم تدخل مجال التصنيف الجديد .

فالاستمرارية بهذا ، تعد ضابطة العامل الثقافي والديني بالنسبة لكلا الممارستين وكلا الهيئتين ، بحيث تنفذ الجماعة العرقية وعدها اتجاه الروح السلفية ، عن طريق تقديس علاقتها بالشور الأسود .
في حين ان التضحيات والتقربات التي تقدمها الشوافات فهي وسيلة لتغطية تجربتهن في التقديس ، والتي هي تجسارب خائبة" كما يعرفها ر . باستيد (1) .

نستنتج من هذه الخطاطة أننا أمام نوعين من التعامل بالتقديس :
أولها تقديس موجه للذات ، أو " ألفوي " ، يسعى الى ايجاد الأرضيات والشروط التي توفر وتساعد على أثارة الاستعدادات الثقافية والتاريخية لدى الجماعات العرقية .
بحيث كلما تستلزمه هذه الشروط ، هو الوقوف عند موضوع الاحتفال الذي يشكل في نفس الوقت احتفالا بالجماعات العرقية ذاتها (2) .

فهذا النوع من التقديس اذن ملتزم - أن صح القول - معرّف بنمط الحياة الدينية المراد التاسيسا ، ومحدد بأشكال علاقات العائلية أو القرابة التي تدور حولها تشكيلاتهم - مثال طالب واد قريش - مثال حسن دلي .

---

(1) R. BASTIDE: OP . CIT. Pg. 101.

(2) François André ISAMBERT :"Le sens duSacré" fête et religion populaire:les editions de minuit . Paris ; 1982 . Pg. 163.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمـــا النوع الثـــاني من التقديس ، فهـــو كمـــا يعبّـــر عنـــه روجـــي . باستيـــد: " وحشـــي " دلالـــة على انّـــه مشـــروط ومستغـــل أو " مدجّـــن " ، يخضـــع لاهتمـــامات" الشوافات" واتجاهاتهـــن "السحرية(1) يتلاقـــل علـــى النشـــاط الأساســـي لممارســـة "الـــديوان" ويستمـــد انماطـــه مـــن " الجذبـــة" ومـــن ظواهـــر السكـــون ، والاستحـــواذ ... ليندمج فيهـــا ويتوغـــل بداخلهـــا كممـــارســـة شرعيـــة .

هـــذا لايعـــني شيئـــا آخـــر ســـوى اتجـــاه الاستمراريـــة نحـــو تقديـــس نميـــزه في هـــذه الحـــالة " بالتقديـــس السلبـــي" لابتعـــاده عـــن حقـــل الميتولـــوجيـــات واعتمـــادها هـــي كملكيـــة فقـــط ، ومـــن جهـــة أخـــرى اتجاهـــها نحـــو التقليـــل مـــن الكثافـــة الثقافيـــة والتصـــوريـــة الـــتي تعتمـــدها ممـــارسة "الديوان" هـــذا ان لـــم نقـــل ـ بدايـــات لمـــوت النســـق التصـــوري و ساسلـــة الأساطـــير المسجلـــة (2) ، وتفكيـــك لعقلانيـــتها .

فكـــل تسجيـــل للانـــزلاق وتشويـــه لهـــذه الظواهـــر(محلـــة سيدي بـــلال ، الثـــور الأســـود ، الذبيحـــة ، الجنـــون ...) هـــو بمثابـــة تعميـــق للفاصـــل الاصطلاحـــي : " تجـــديد ، ترميـــم تغـــيير ، الغـــاء " (...) ، وبالتاليـــي تمـــير بيـــن ماهـــو مقـــدس وومـــا هـــو مدنـــس(الغـــاء الثـــور الأســـود واستبدالـــه بعـــد مـــن الانعـــام والطيـــور ...)

هـــذا التلاشـــي نفســـه ، والـــذي نكـــاد نلتمســـه في جميع المستويـــات التطبيقيـــة لممـــارســـة " الديوان" أدّى فـــي الأخـــير الـــى انزلاق وتشـــقق علـــى مســـتوى بنيـــة العلامـــات الـــتي يعتمـــد تحليلهـــا علـــم السيميا (3) ، باعتبـــارهـــا كيانـــات ملموســـة للأســـطورة ودلالاتهـــا ..

---

(1) Roger BASTIDE ;"Le Sacré sauvage et autres essais." Edition:Payot.1975.P.96/97

(2) C.L.STRAUSS:"Anthropologie structurale deux." Edition Plon; 1973.-P. 301.

(3) رولان بارت:"الاسطورة اليوم : عند كتاب الميتولوجيا: ترجمة مصطفى كمـال . ـ مجلـة بيت الحكمـة . العدد السابع ، السنة الثانية . الدار البيضـاء : المغـرب ، 1988 ص ـ 52/51 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستخلص من كل هذا ، أن مدلول " الديوان الأبيض" ، الذي يرمي الى علاقة مجتمع "الديوان" بمؤسسة "الشوافات" تختفي ورائه اصطلاحية سوسيولوجية "(الاستمرارية بالتغير التحول ...) لايمكن تفسرها الا خلال مفهوم " الترميق " أو " الترقيع " الذي يقترحه ك .ل . ستروس : " دلالة على بناء واقع جديد انطلاقا من تأسيسات قديمة محطمة" (1) تلاشت لاهداف خاصة ، ثم استعيدت في هياكل جديدة ، تخدم أغراضا وظائف " سحرية" ثم اجتماعية .

فالترقيع هنا بمثابة تطبيع للحصص العلاجية ولخدمات " الشوافات بطابع المقدس، وتأليف الحضرة على هذه المعطيات الثقافية والروحية ، التي ليست ملكا لهم، بل مستخدمة لصالح الطموحات المكبوتة انطلاقا من اختيارات المواعيد والظروف الزمنية التي توافق أسلبا دينيا ، الى غاية استخدام تقنيات "الجذبة" ولوازمها نسبيا أي ليس بحذافرها .

لذلك ، ولكي لايبرز هذا التقليص "والتجميد " في المضمون التصوري لفرقة " الديوان" ، تعمد " الشوافات" الى تصنيف القوى الرمزية استنادا الى موقعها من الدلالات الأسطورية .
تاركة مجال الرقص الديني مفتوحا لأعضاء "الديوان" في استحضارهم العالم الفوقي الذي يبدو قريبا ورائعا - بمعنى تصادم ثقافة الزبائن بتلك التي تحاول فرقة " الديوان" تحقيقه - متدخلة في كل مرة لتسجل طبعتها الخاصة في تسيير الجوهر الديني .
اذ قلما شاهدنا " المعلّم " كرئيس للفرقة يأتي على مقطوعات خطابية ، ولم تتدخل "الشوافات" لمقاطعته ، وتكسير وقعه كهيئة مستقلة ، سواء بحصصها الاستعراضية ، أو بنوباتها العلاجية التي تلبي كل استعراض تمثيلي للشخصيات الساكنة والموعودة .

---

(1) Claude Levi STRAUSS:"La pensée sauvage" .- Edition : Plon Paris : 1962.- Pg. 27

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلا غرابة في هذا التطبيع الديني والتسطيح لأرضيات "السحري" لدى "الشوافات"، لأن كل المؤشرات، وانواع العلاقات القائمة، تشير الى توجيه هذا العمل بالتقديس نحو اصطلاحية، بتمثيل في النهائي التي هي في حاجة ماسة لعروض سلعية، تتمثل جودتها في فاعليتها الاندماجية.

كما يصبح بذلك واضحا، هذا التركيز في تضخيم النسق الاعتقادي وترسيخه في البنيات الذهنية المختلفة.

من هنا نستطيع أن نقول، بأن الاستمرارية التي تعرفها ممارسة "الديوان" في العاصمة بكيفيات استدراج النسق التصوري والقيمي الرمزية، هي نتيجة عمل ترقيعي، وتوقيف في بلورة وادماج النسق الديني داخل النسيج العام لمؤسسات "الشوافات" الذي كان يتمتع بالاستقرارية، أن صح القول - ويجيب لأهم متطلبات الخطاب الثقافي العام، الشيء الذي سمح "للشوافات" باعادة صياغة تجاربها وخطاباتها التي تنحرف لتصبح "سرية" وخارقة لا يتداولها الأمن يعترف لها بالفاعلية، والقدرة على الشفاء والتطبيب.

كما تعبّر هذه النتيجة عن مواجهة بين العمل الفردي الذي انتجته فرقة "الديوان" والعمل الاجتماعي الذي تعمّم به "الشوافات" هذه التحاليل الرمزية.

يبدو أن هذا الاثبات مهما الى حد، عندما يراد من استمرارية "الديوان"، غرس المقدّس الذي يتضمنه في قلب الفعل الاجتماعي الذي تمثله مؤسسة "الشوافة (1).

---

(1) FRANCOIE ANDRE ISAMBERT:"Le sens du sacré":"Fête et religion populaire".- les editions de minuit; Paris. 1982 Pg.218/221

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجعل مصطلح التغيير ، نقطة " ايجابية" تسمح لكلا المؤسستين بالديمومة والاستمرار في تعميم المقدس والحياة الدينية ، اذ يصبح حقلا اجتماعيا "وملكية" بالنسبة للمؤسسات الدينية الجديدة .

نفهم جيدا هنا أن الاستمرارية ليست غاية ايديولوجية وانما امتداد طبيعي " عفوي " لدى الورثة الجدد واختيار لتنظيم النسق التصوري ، وللمجال الأسطوري المتوارث : أي أنها تريد لنفسها فقط ، الامتثال لوظيفة التوسّط وتخليد الحقل الأسطوري ، والأحداث التاريخية التي تشكل مواضيع ودلالات معبرة ، بحيث كما تقول فرانسوا . أزمير : " أن الخيار ليس في تعليل طبيعة علاقة الأسطورة بالواقع ، ولكن ما بين الأسطورة والفهم (المفهوم) السوسيو تاريخي (1) الذي يشكل لبّ الممارسة الدينية ، واجتهادا فرديا ، واجتماعيا في تحديد انتماءات الجماعات العرقية وهويتها .

---

(1) FRANCOIS ANDRE ISAMBERT: Ibid ; Pg. 21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجمل القوا ، فأن الأمر اذا كان متعلقا فعلا بو ضع "تأزمي" - كما قد تحدثنا عنه في مقدمة هذا القسم - فإنه لا يعبّر الا عن تخفيض ونقص في تقييم تراكم هذا الاجتماع وتضخم تنازع الممارستين .

ولا يترجم سوى غياب المراقبة الذهنية للتناقضات وشكل الصراع الذي يوجد بداخل تركيبات هذه المؤسسات كهيئات مستقلة تاريخيا .

فاذا كان هذا التأزم ، نهاية الأمر اليها ممارسة "الديوان" مكتسبة هيئة المشاركة في "المقاولة بالتقديس" - مثلما حدّدها م . اليياد ، مقيدا غاية المؤسسات الدينية المنصرفة عن الحياة الدينية ، فانه غير متناقض كوضع مع الاستمارية التي تعرفها ممارسة " الديوان " ، وبالتالي فانه غير متضاد بختيارتغايشهما كما ستراتيجية لضمان ديمومة الجوهر الثقافي والتاريخي ، الذي يحدّد من الهوية الفردية والجماعية لأعضاء الممارسة نفسها ومساهمها من جهة أخرى في اعادة تجديد أدوار "الشوافات" الاجتماعية والدينية .

ولهذا فان الصراع بين الكتلات الدينية عبارة عن مقاومة أو حملة دفاعية معتمدة نجدها مقصودة من طرف مؤسسات "الشوافة ، وفرقة الديوان" - الوحيدة بالعاصمة - بحيث كل واحدة على حدى تحاول ايجاد منفذ أو حل يخلد نشاطها ويقوي لها مفعولها . اللهم الا اذا كان الاجتماع فيما بينهم ، يمكن اعتباره كأفضل الطرق وأقصرها ، لتحقيق مساعي تعميم "المقدس" وفرض مجال الامتيازات التي يتيحها لهم الوعي الاجتماعي ، والخيال الاجتماعي على حد سواء (1)

---

(1) MARCEL BOUTEILLER:"Chamanisme et guerison magique." in; journal de psychologie normale et pathologie X.L. Veme année edition : PUF. Paris.1952. Pg. 491.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان هـذا الوضـع " التأزمـي " الـذي يقابلـه تغـيّر في النسق التصوري والجوهري والأسطوري ، بامكانه أن يكون في تطبيقات ممارسة " الديوان " ، ميدانا استعراضيا لواقع ايديولوجي أكثر شمولية (1) واجابة سوسيولوجية لما يمكن أن ننتظره أكثر من الخارج ، حينما يبقى موضوع النسبية كمبدأ منهاقض التعميم عالقا ، بسبب تنوع واختلاف وجه الاستمرارية وتظاهرات المقدس .

الأمر الذي حتم علينا التساؤل عن اتجاه مفهوم الاستمرارية ، والتغير الديني والتساؤل أيضا عما يمكن ان تسفر عليه نهايات وأهداف تطبيق ممارسة الديوان " ، عندما نتحدث بلغة الجهوية ، والمقياس الجغرافي ؛ أي هل نكون أمام أسلوب دفاعي تنتفع به ممارسة ديوان سيدي بلال " في هذه الجهات تحسبا من الضياع ؟ أم هي تلقائية مباشرة ومامنة في كيفيات ترتيب الممارسة ؟

نعتقد أن غرضنا من متابعة ممارسة " الديوان " ومقارنته جهويا ماهي الا طريقة لاستخلاص فائدة توسيع العمل المقارن علميا ، عكس ماكانت عليه الخطوات الانتروبولوجية الكلاسيكية أو " التوسعية " .

كما أننا نستهدف من خلالها توضيح ظروف وشروط اشكالية التغيير ، وتفهم العوامل الخارجية والداخلية التي ممكن أن تتدخل على مستوى النسق التصوري والحقل الأسطوري ، وعلى المستوى التنظيمي .

من هذا المنطلق ، بدت ضرورة تسليط الأضواء على هذا الواقع الايديولوجي الهامل ملحة لكونه مأثورا من اعتبارات وتخمينات أكثرها جماعية ، ومقـ ـة من تصورات تلعب دور المحدد في

---

(1) MARC AUGE ET AUTRES: "La construction du monde": religion, representation, idéologie. Dossiers Africains N.01 Edition: F. MASPERO. Paris. 1974 Pg. 10.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصف الممارسة ، واجراء التحليل فيها .
كما ينطلق هذا الواقع الايديولوجي ، من رؤى عميقة بالنسبة للجماعات العرقية المستقرة بهذه المدن .

لهذا الغرض استقام أمامنا تنظيم مقارنة جغرافية موسعة تتعلق بابراز استمرارية " الديوان " بهذه المدن (تيارت ، فرندة ، سعيدة) - في غياب عامل الاستعادة للجهاز الايديولوجي - ديني وتحول السلطة الدينية واستقرار المستويات التطبيقية للأسطورة الشاملة فيه . قاصدين من وراء هذه المحاولة ، صياغة تعريف ينطوي على الفهم الثقافي والتاريخي الذي تحتجزه الذاكرة العرقية كمكانة وقيمة لدستها التطور ، والتصنيف التطبيقي للشخصيات الرمزية ، ولا سيما ، انعكاسات هذا الخلاف الديني والتصور ، على محددات استمرارية الممارسة وهويتها ، بالمقارنة مع الحياة السلفية ، والموروثة مرحليا .

اذ بهذه الكيفية ، يتحدد مبدأ الاستمرارية الذي هو مبدأ انتقال نفعي " وايجابي " - ان صح القول - يحكي نوعا من الترقية الرمزية للترتيب الفئوي (وصفان) والترتيب " الجمعي " الذي يعبر عن حالة الموازنة او اندماج الثقافة الخارجية بالبنيات الاجتماعية القائمة والمكونة للمجتمع (بابا سالم) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصـــوّر ، وهويـــة ديـــوان سيدي بـــلال :

دراســـة مقارنة جهويا في : تيارت ، فرندة ، سعيـــدة :

ا ن اوّل سؤال تبـــادر الـــى اذهـــاننا ، خـــلال متابعـــة سيـــرورة "الديوان" ونشاطـــه جغرافيـــا ، كـــان مرتكـــزا علـــى امكانيـــة اعتبـــار الـــدراسة الجهويـــة مبـــدأ أساسيـــا فـــي تحـــليلات تـــاريخ الممارســـات الدينيـــة ، أو فـــي ابحـــاث التحـــوّلات الدينيـــة . هـــذا الكـــلي لانقـــول ، مبـــدأ رئيســـيا فـــي الا نثـــروبولوجيـــة السوسيولوجيـــا الدينيـــة (1) .

فـــيما يخصنـــا نحـــن ، فانهـــا تشكّـــل خطـــوة منهجيـــة نحـــو تعريـــة الفضـــاءات الـــتي تكتسيهـــا استمراريـــة "الديوان" والبيئـــة الاستقـــرار البنيـــويّة لـــه ، كمـــا تشـــكل زاويـــة انطلاقـــة لاكتشـــاف مـــا اذا كانت هنـــاك ممارســـة تقديس" وطقوســـية" ـ كما سبـــق وأن حـــدّدنا معالمهـــا ـ أم هـــي مستأنســـة والفيـــة تعـــبّر عـــن جـــزئيتهـــا فـــي النســـق العـــام .

وأخـــيرا تعـــدّ الدراسة الجهويـــة متغـــيرة قصـــوى لتفســـير الدوافـــع والعناصـــر المحركـــة لبقـــاء "الديوان" .

من هنا ، وانطلاقـــا مـــن اشـــكاليتنا القائمـــة علـــى وجـــود اعتبـــارات جديدة أخـــرى تحـــرّك ممارســـة "الديوان" فـــي مـــدن الغرب الجزائـــري ، وارتكـــاز هـــذه الاعتبـــارات علـــى عوامـــل تاريخيـــة وثقافيـــة تختـــزنها الذاكرة العرقيـــة ، لتنفيـــذ أحياء الشخصيـــة الأسطوريـــة موسميـــا ، ومـــا تخـــوّله هـــذه المـــادة الانثـــروبولوجيـــة والثقافيـــة مـــن صلاحيـــة للاستمـــرار "الديوان" ، وديمـــومته فيهـــا . جاءت أهميـــة تكرار معطيـــات أدوار الوساطـــة ـ كوظيفـــة دينية واجتماعية رئيسيـــة ـ ضروريـــة ابتداء مـــن أبعاد التضحيـــات وتقديمهـــا قربانـــا للشخصيات الرمزيـــة وروح الأســـلاف ، الى غاية مهام "الجذبة" كوسيلة تقنيـــة لاثـــارة الحالات

---

(1) JOSEPH CHELHOD: "Les structures du sacré chez les arabes."
Edition : G. P. Maisonneuve et Larose . Paris. 1964.
Pg. 39

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنوية بمضامينها العميقة . محاولين في هذا الاطار ابراز هوّية "الديوان" وفهم سبل امتداد العلامات الرمزية وآليات المحافظة عن الدلالات التصورية والأسطورية التي تشكّل وتميّز ذاكرة عرقية عن أخرى منتجة لها .

نعتقد أنه لهمّ في هذا القسم ، بأن نحتفظ تحت أعيننا بنقطتين هامتين ، تتقاطع فيهما استمرارية "الديوان بالذاكرة العرقية ، اذ تتمثل هاتين النقاطتين في العلاقة الموجودة بين صورة "الديوان النشيطة ، والمفهوم أو التصورات التي تستعيد من خلالها الجماعات العرقية تحيّين الأحداث التاريخية ، ونغوة الماضي ، المعبّر عنه بلاتينية : م . اليـاد : "لي كلما جئن في ذلكم المكان وذلكم الزمان" (1) الذي تم فيه تسطير معظم المكونات والتأثيرات المادية والتاريخية ، والمركبات الثقافية والدينية ، كأنماط بنيوية للسلم التصوري القديم . بحيث تنطلق من هذا الخزان ، سلسلة من الاعتبارات للتقديس ، نجدها تعاني تاريخية تنظيم "الديوان" معنا مخالفا عمّا سبق وأن ربطناها بالسيرورة الثقافية التي توجد فيها كمجال معرفي ، يساعدها على توجيه تطبيق الممارسة نحو اتجاهات الجماعات العرقية وميولاتها الثقافية ، التي تكاد ان تصبح فطرية .

ضمن هذا الاعتقاد بأن "الديوان" ذاكرة عرقية جماعية تبرز فكرة الزمانية أو الكثافة الزمانية كمسافة محددة تفصل بين الورشة الجدد والزمن السلفي ، واسعة ومعقدة تبدو أحيانا في اعادة صياغة بناء هذه الزمانية أي عبر خيط تنظيم "الديوان" : "جاز مليح" في هذا البراية وأحيانا أخرى في الزمانية المقدسة والمرتبطة أساسا بالسيرورة الثقافية لاستحضار القوى "الديوان عندنا سخون بزاف" ...

---

(1) Mincea ELIADE : "Traité d'histoire des religions"
Edition : Payot . Paris . 1949. Pg. 366 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ذلك تعتبر هذه المقارنة بالنسبة للدراسة أساسية من حيث الاختبار للمؤشرات الاجرائية ، (الظروف المادية للاحتفال ، الذبيحة ، أدوات الجذبة ، الجذبة ، الخ ...) ، كما تعد وسيلة عملية لإكتشاف الذي يجري في هذه الجهات ثقافيا وقياس مضمون هذي الإعتبارات التي تدفع الى اقامة " الديوان ؟ وبالتالي ، لابراز أوجه التقرب من الشخصيات الرمزية والذوات الخارقة ؟

كما تساعدنا على تفسير كيفية استغلالها سواء كعناصر تحليلية في طريقة تنظيم النسق التصوري ، أو بالنسبة لترتيب توزيع السلسلة الأسطورية في الممارسة .

الواضح أن ايكولوجية " الديوان ، ونظام البيئة التي نشأ فيها ، وأحيانا الخبر ، التي لاتزال تحتفظ تجبرنا الى التطلع اليها بصفة معمقة ، لو توفرت لدينا المعلومات والمعطيات الكافية ؟ وهذا الاعتقاد بأهميتها في تفضيل العلاقة بين التشكيلات العائلية العرقية ومراحل تطورها ، وكذا ترتيبها - ان صح القول -

اذ ، تنطلق من هذه الايكولوجية ، حماية بنيوية يمكن وصفها ، بالأول وعلة بالبساطة والبعد عن التعقيد لكنها غزيرة من حيث الارتباطات المعنوية ، التي تبرزها سيرورة علاقات القرابة المعقدة ، ونمط العمل كنشاط اقتصادي .

بحيث أول ما يتسم به ، هو ضعف تقسيمه الجنسي ومشاركة الكل في التبادل المحدد بطبيعة تداخل العلاقات الدموية ، وصفة الانتماءات إلى الحي الذي يعد تشكيله ثقافة تاريخية ، أو تاريخا اجتماعيا مسبقا .

هذه العلاقات أيضا ، وان كنا لانريد أن نسقط في كمين خلق جو مجتمع بدائي تجرى عليه الدراسات - نجدها من حيث وظائفها السياسية والتربوية ، والدينية (تناقل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوا صل ممارسات الأسلاف ، وخاصة ممارسة " ديوان سيدي بلال " لاتتراءى مجالا لافراز منظور "انتمامي" لتحليل البيئة العامة (1)

لمجتمع "الديوان" في هذه الجهات هو أنّ الامتزاج الديني والعقائدي صار حرّا غير مقيد فيزيا ولا مجاليا . بل بالعكس فكل السلوكات والمواقف متبددة ومهيئة ثقافيا وتصوريا لئن تحدّد من هوية شخصها ، أوجماعتها .

فقد يكون سهلا ملاحظة من هذه الروابط التي تتجه مواعيد الاحتفال بموعدة " سيدي بلال " بلوغ الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها الممارسة ، مبتناها المتحد والاندماجي (كريشي ، جبايلي ، قوراري ، شريف ، مرابط . . . عبده . . . ماماطي . . .) ، ولكن من دون أن نفهم تركيبته ، وظروف نشوء تلاحمها الفئوي ؛ أي علاقتها بممارسة "الديوان" ، التي هي تاريخ جماعتها ، ومؤسسة دينية محدّدة بالمفهوم السوسيو - تاريخي والأسطوري .

في نهاية هذا التقديم ، تصبح "الوعدة" بهذه الجهات موعد استثنائي لأنها تخلق واقعا جديدا ، وبناءا مغايرا لما رأيناه في العاصمة .

اذ هي لأول وهلة تفكير صارخ للوصول الى الأسطورة المؤسسة ، حتى في المناسبات التي أحييناها : (أعراس زوان ابن / ابنة أحد أعضاء مجتمع "الديوان" . . . أو طهارة ابن أحد الجماعة ، أو عودة أحد الجماعة ، أو أقاربه من الحج . . .) ، بحيث يبدو فيها تحت أنواع المرح والمتعة تشديد عالي واستعداد لرقّين من قيمة هذه الإجتماعات داخل المحلة "كما أماكن تذكارية مقدسة وكفارات تضمن الولاء .

ولا بأس أن ننتبه الى أننا في هذه المقارنة الجغرافية لا نصف اجراء "الديوان" بطريقة مفصلة في كل مدينة على حدى .

---

(1) ليليا بنسالم و آخرون : الانثروبولوجيا و التاريخ - حالة المغرب العربي .
ترجمة :عبد الاحد السبتي و عبد اللطيف الفلق .
سلسلة المعرفة التاريخية :
دار توبقال للنشر - الدار البيضاء - المغرب - 1988.ص.13.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل سنركز ضمن هذه العناوين القادمة على مختلف العلامات والمميزات التي تشكل محتوى "الديوان"، والتي من شأنها أيضا أن تبيّن لنا بعض الفواصل في طبيعة الاستمرارية أو التطابق في هويته .

"المواسم"، وتباينها الزمني، بمواضيع الاحتفال:

تعتبر المواسم أو المواعيد التي يقوم عليها "الديوان" في هذه الجهات، بمثابة منطلقات أساسية "للديوان"، وملكية خاصة للتخليد والتقديس، يصل من خلالها مفهوم الوعدة الى أقصى المعادلات التصورية . بحيث تلعب مواقيت الاحتفال، وخاصة منها الليلية، دورا بالغا لما تقوم به من تجريد للزمن العادي ليصبح زمنا تصوريا مقدسا مجهزا بالمعنويات الخارقة واللا طبيعية التي أفرزتها الجماعات العرقية وغيرها .

ففي سعيدة وفرندة مثلا، تعدّ مواعيد الاحتفال سنوية تطبيقا لموضوع التخليد، الذي يصادف نحر الثور الأسود، دليل الانتماء العرقي والأسطوري .

أما في تيارت فلم يكن هناك تقيد بالرزنامة الدينية منذ القدم، اذ كانت بغض النظر عن الأعياد، وشهر شعبان والمولد النبوي، وليلية السابع والعشرين من رمضان، وأيام الاحتفال أسبوعية "سيت وأحد" تجتمع فيها الأفراد داخل محلة سيدي بلال" يثيرون بذلك كل المواضيع المروّعة، حتى انك لا تستطيع فرز ما هو كرامة وما هو اعجازا، او ما هو سحر .

أما حاليا، فقد غيرت من اتجاهها، فأصبحت مواعيدها أكثرها عادية بالمعنى اللاديني تظهر في المواعيد الرسمية المحددة بطبيعة الاحتفالات التي أحصيناها سابقا، ومحصورة في مواضيع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تخليدها . كما يشبه تعداد المواعيد هذه ، نفس المنطلق الذي تتخذه الممارسة في العاصمة ، اذ لكثرتها ، تتحدد أدوارها في الوقاية الفيزيقية لأنواع المقدس .

ومن جهة ثانية كوقاية رمزية - البركة - خلافا لكل ذلك نجد " الديوان في تعبيدة ، فريدة مقيدا من حيث الكم بمواعيد الاحتفال ، ويرضخ كثيرا للروزنامة الدينية والتشكونية التي تتحدد من خلالها المسافة المعرفية بهذه التواريخ لاقترابها من سلسلة تراجمها .

وهذا يعني أن انتخاب هذه المواعيد ليس عشوائيا ، وإنما يرجع الى قدرة الذاكرة العرقية ، أو بالأحرى إلى إبداعاتها في المحافظة على المعالم الكبرى والى أهم المحاور والسمات التي تتميز بها بدايات التسلسل التاريخي والذي تترجم لنا دراستها ، كيفيات وآليات الانتقال من نمط ديني متعدد الى نسق أخر أكثر وحدانية أو عالمية .

من ذلك جاءت ميزة دراسة التواريخ ، ومواعيد الاحتفال في " الديوان " كترتيب زمني " عبارة عن تخصص في التاريخ الديني ، تطرح إشكاليتها تباينات اختيار هذه المواعيد الاحتفالية بمواضيع الحفل نفسه ، أو تجانسها بالأسطورة والحقيقة . اذ قلما توجد تحديدات واضحة ان لم نقل نادرا جدا تتعلق باختيار الخامس عشر من شعبان ، أو علاقة المولد النبوي بممارسة " ديوان " سيدي بلال ، اذا لم يكن هذا الأخير ممثلا فقط ، وخادم الإمتياز الديني الذي يتأرجح بين المزيف ، والتاريخ الفعلي .

اننا لو استطردنا قليلا هذا السياق المبرر نجد أن السلسلة الزمنية التي تحكم تنظيم " الديوان بعذه الجهات هي سلسلة سلفية ، تقوم افتراضيا على فاعل أول خطوة وأول مبنى رمزي أو واقع . هذا انطلاقا أن كل نظرية احتفال ، تبدأ بتعريف نفسها تبعا للزمن أو الموعد المخصص لها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النسق التصوري ، وحدود التضارب في استخدام الجهاز الديني :

اذا كانت "المواسم" كتواريخ متحدّدها المواضيع ماديا باستثناء إشكالها ، فان النسق التصوري الذي يقوم عليه " الديوان " معرّف باستخدام "دوزان العبيد القداسي" . فهو الوحيد كتصوّر ميتولوجي ، الذي يصعب فهمه إذا لم يقحم فيه الجهاز الديني و " السحري " .

ففي سعيدة ، وفرندة ، على سبيل المثال ، كل المواضيع التصورية لها جهازها الذي يوافق دلالتها الأسطورية ابتداء من استحضار مقاطع "الفولان" الى غاية مقاومات "مقزاوي" .

اذ تستطيع في اثنائها الجماعات العرقية تمييز المصدر العرقي للخطاب وإنتمائه الجغرافي ( ) الذي يحدّد في ذات الوقت انتمائها لمجموعات بشرية .

وأكثر من ذلك ، نجد أنّ التمثيل هناك يرقى الى ذروته حيث تتقمص فيه الأفواد الراقصة مختلف الشخصيات الواردة في النسق التصوري ، متبعة في ذلك ، مختلف الاجراءات والعمليات الموافقة له : كارتداء البرانيس ، على بابا مزروق (برتقالي) (بابا حمودة (أحمر) : سيدي أطلي (أزرق) أو يتزين الذات بالأسواط المضفورة على مستوى الظهر ـ (البولالسة) أو بالسكاكين على "مولاي ابراهيما" ـ وبابا نواري جانقساري ماما" أو بأكل مادة "الرونة" على " بابا حمودة الأكبر" أو اللحم غير الطازج ، على جنباري ، أو بالدهن "بالرماد" على مستوى الأطراف ، والوجه على مقزاوي : " مكيري ـ بابا كوري " . جامنتارو ـ لتوطيد العلاقة بهذه الذوات وتمايز مواضيعها التي تشكل في نهاية المطاف ذواتا متحدة ومقدسة .

أما في تيارت فان الأمور بدت مختلفة الى حدّ ما بالرغم من وجود سيرورة ثقافية متشابهة في الجوهر ونسق تصوري موحد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكمّن هذا التباين في تجمد النسق التصوري ، وحشر الجهاز الديني في تقنيات معينة . بحيث لو قورنت بسابقاتها من حيث الرمزية ، لبدى "الديوان" كله بطقوسه مفتقرا من المادة الأسطورية ، والقوة الترويعية والانعدام السلفي الذي رسمته لنا العقلانية التصويرية في المدن الأخرى .

فكان تجريبيا لهذا ، انه في كل الحفلات والطقوس التي جلسنا اليها مشاركين أو ملاحظين طرق استعراض هذا النسق التصوري ، الا وكان استعمال أداة السوط (البولالة) معمّما وشاملا يمس كافة مواضيع التمثيل والتخليد . فعوّضا من (البرنوس ، جلد الخروف ، السكاكين ، الرماح ...) التي هي تقنيات لتمديد رابطة المكون ، تحدد رغبات الشخصية الرمزية ثقافيا . تستخدم الأسواط في كل تمثيل للسلسلة التصويرية ، اعتمادا بأنها كافية لبلوغ حالة النشوة .

فكما تسمح للشخص الجذاب أن يبرز قدراته الاستعراضية والتأملية للنسق ، بحيث كلما تضاعف عدد الأسواط المطبقة على مختلف المواضيع الأسطورية دلالة على قوة التحكم واستيعاب ثقافة الممارسة الضمنية ، الا وكان تشطيب على " الجوّ البارد " والروتينية في التمثيل وتشخيص القوى . يقابلها نتيجة ذلك ازدياد الايقاعات وارتفاع الصيّاح تعبيرا على قبول وتقييم ايجابي للاداء وتنفيذ المقدس .

فاللوحة الأولى ، يبدو ان مايميز الحلقات التمثيلية في تيارة هو خضوعها لفنيات الأداء والتكرار ، وهي طريقة جديدة للعمل الترقيعي ، وتصوّر استمرارية الممارسة ، تمس مستواها الشكلي .
اذ لا تستهدف تغيير الواقع الايديولوجي ومكانة المقدس على الصعيد التصوري والاعتقادي ، وانما تحاول الحفاظ عليه كمضمون جوهري ، وعدم اضاعته كسيرورة ثقافية ومقياس انثروبو - ديني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما يجعلنا نؤكد هذه الاثباتات ضرورة وحتمية قيام "الديوان" حتى في الاحتفالات البعيدة عن المعنى الديني – ان صح القول – والتي أحصيناها سابقة . باعتبارها مواعيد غير دينية وامكانية استغلال قداسة الاحتفال وقابليتها لتبرير اختيار المواعيد ، أو المواضيع الطقوسية (بركة، فال ، كما كان يفعل الأجداد . . .) ومراجعة المستويات الباطنية والداخلية لنظام الممارسة .

عندئذ كل مايمكن قوله رغم هذا التضارب والتضاد في استخدام الجهاز الايديو – ديني ، هو أن النسق التصوري يبقى هو بالضبط الذي "يمنح قيمة الأشياء والأشخاص" كما جاء على حدّ تعبير ف . أ . إزمبير تعبيرا على القيمة الإعجازية والقيمة الدينية الاجتماعية " (1) .

ويقترح علينا ملاحظة "الجذبة" كقناة ، ورمز اصطلاحي جديد أي كفكرة يراعى فيها مدلول التكرارات والمسارة التي هي تلقين مستمر للخبايا الدينية ، اذ تبدو المسارة كمؤشر في هذه الجهات أساسية في التحليل ، أو من حيث كونها بيداغوجيا .

---

(1) FRANCOIS ANDRE ISAMBERT:"Le sens du sacré" :"fête et religion populaire Edition: de minuit . – Paris. 1982. Pg.227.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" الجذبة في "الديوان " ممارسة مسارية " :

إذا كان النسق التصوري في "تيارت" يعني من "يأس" ورتابة في توظيف الجهاز الديني والرمزي، ليعتمد فقط على التقييم الأولي والفني لأشكال إستعراض " الجذبة " ، فإن ذلك ، يرجع الى الاعفاء الذي تتوارثه الجماعات العرقية من تواصل طريق إستيعاب استخدام الجهاز الرمزي مباشرة مع إستحضارات سلسلة الخطاب الأسطورية ، وإهمال مواصلة التكوين وإيناس الاعضاء الجدد على الأسرار الباطنية ، والمكونة لتفسيرات النسق التصوري وعدم تمرينهم على اتجاهات وكيفيات إثارة الذوات الخارقة أو تمثيلها وفق قواعدها الضمنية .

أما في "فرندة" ، و " سعيدة" ، فنجد الأوضاع معكوسة تتمثل فيها المساراة وتعويد الورثة أمرا طبيعيا أو ان صح القول في " كامل قواها ".
ذلك انّه في كل افتتاحيات الاحتفال بالوعدة" التي هم ملزمين بها، شاهدنا استهلالها من طرف طفلان ، يالرقص على بعض المقطوعات الأولى من سلسلة الخطابية يؤديها ابناء" المعلّم" ، أو ولد كل "معلم" اذا حضر الجميع هذا لسهولتها وغياب المخاطر فيها .

أما في " تيارت" ، فتستهل "الجوبة" من طرف الكهول ، والكبار خاصة للعناية التي يمنحونها لبدايات الخطاب في "الديوان" والخبرة التمثيلية ، ولخلفيات التوسل التي يسعون اليها تاركين فيما بعد ، المقطوعات التي تحتوي على قدر من الصاعب التنفيذية للورثة الأقل منها سنّا، يتبارون فيها أحسن التمثيل ، وأجدر المكانة في سلّم تنظيم "الجذبة" أي أحسن مكتسب لثقافة أجداده من دون تنويع واسع في إستنطاق المفهوم الصامت للأجهزة الرمزية التي يبدو استغلالها في " سعيدة ، و"فرندة" شاملا و ساخنا ، دلالة على حوارة معنوية غير مرئية تصطنع من الشخص الرائد والمستخدم لتقنيات " الجذبة" في نشوته (سخون) ، امتثالا لمقتضيات الشخصيات الرمزية والقوى الخارقة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أضف الى ذلك ، أنه اذا كان هذا التنظيم العرقي بين الاطفال و الكبار قائم بحواذفره في الجهات الثلاث فيما يتعلق "بالجذبة" ، فهذا لوجود أرضيات مسبقة أو أفكار قبلية تختزنها الذاكرة العرقية تخوّفا من المآسي و النتائج الوخيمة التي قد تنجم عن سوء تمثيل "الجنون" كوحدات الاهية في المعنى الأنثروبولوجي ، ملبية لها رغباتها و متطلباتها الرمزية كشخصيات و أجسام مستقلة ...

"فالديوان" في هذه الجهات ، بمركباته التصورية للمكان و للزمان و الأشياء الطبيعية ، بمثابة مجموعة تعبيرات رمزية ثرية من حيث المادة الأسطورية ، و ما يزال متصلا بالحياة الدينية و "السحرية" التي تنتجها الممارسة في نفسية الأعضاء .

هذا بحكم التعلق بالجهاز الذي يمثل المحور التفصيلية للمعنى الخفي ، كلاستعمال : (الماء في مقطوعة بابا تورما أو اللعب بالدمى و التزين بمواد الزينة ، أو تقديم الحلوى في مقطوعة لالاعيشة ...) كتقنيات لبلوغ النشوة و نقل السلوك الجسماني من كتلة الى طاقة مروّعة و مبهّرة باستمرار .

و لكن تبقى المحدّدات لهذه البنايات في غمرة العالم النشكوني مسألة غير مسالمة ، و بالتالي ليست الوحيدة لتفسير محطات الضعف العضوي الذي يرتاب "الديوان" سواء على مستوى نسقه الاعتقادي أو على مستوى حدود استخدامات الجهاز ... بل هناك مقياس الخطاب الذي نعقد له أكبر قسط من الأهمية في دراسة الوضع المتأزم و الحالة المتضادة التي آلت اليها قداسة ممارسة "ديوان سيدي بلال" .
اذ نجده يتأرجح بين الاستيعاب الحقيقي و الفطري للمحتويات الأنثروبولوجية للخطاب ، و التي تترجمها "الجذبة" ، و بين الترقيع الذي هو عمل يرمي الى دفع استمرارية الأسطورة ، أو ما تسميه الجماعات العرقية "بالبراج" باعتبارها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مادة نخاعيـــة وجســـا نابضـــا تمتـــص منهـــا الظواهـــر أو المستويـــات المعروفـــة معانيهـــا وهوائهـــا الـــذي ينعشهـــا بصفـــة دائمـــة ودورتهـــا المقـــدســـة .

ففـــي الأسطـــورة توجـــد " القوة" بالصيد والصيد البحـــري والقاعليـــة الحقيقيـــة ، تعطـــي للجغرافيـــة حدودهـــا (. . .) فيهـــا خصوبـــة الأرض ، ومردوديـــة الانتاج ، وفـــي الـــطب ، هـــي الشفـــاء أو المـــوت (. .) وفـــي الأخـــلاق ، هـــي الخـــير ، والشـــر (. . .) (1) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصاعد الأسطورة في خطاب "الديوان" :

يكون بديهيا ، أن لا يستطيع النسق التصوري التحدث عن نفسه، كما تكون الأجهزة "السحرية" بكماء من غير الأسماء السرية والمعادلات الخفية التي تتضمنها "البراج" ، وتبقى الخميرا الرقصة مجرّد حركات ايمائية ، اذا ما انعزلت عن تصاعد الأسطورة وامكانية تصوّر مغزاها الذي يحرّرها .

من هذا الحسبان اذن امكن الحكم ، بأن الأسطورة هي ذلك المفهوم الذي يشوبه قوة الاعتقاد بمجموع أركيتيبي ، وهي الحقيقة المقدسة ، التي ينبغي الارتقاء اليها ، ومن جهة ثانية الميدان التحليلي الذي يمكن أن نعالج فيه وضعية الجسم الخطابي ، ومحدّدات امتداده أو إنكماشه ، الذي يعطي للأسطورة إستمراريتها التطورية ، أو وجهها المتدهور أو المحموم.

ففي "فرندة" و "سعيدة" مثلا ، كان لبروز احدى الخاصيات التي دعمت بقاء الذاكرة العرقية حيّة تتراجع فيها سيرورتها الثقافية والدينية ، هو التمسك والإهتمام بما يمكن أن نطلق عليه بالمورفولوجية الانثروبولوجية للخطاب ، والتي نقصد بها احتفاظ الخطاب الأسطوري بصيغته الثقافية والتاريخية الأصلية ، أو ما يعبرون عنه بالسودانية " تعريفا للتوسع الجغرافي للجهات واللغات المشتركة بين بعض المجتمعات العرقية وانتشارها كمجموع لساني وسيميائي خلال من كل دخائل (*) .
اذ كانت الوحدة كخاصية اسانية مستقلة ، التي بينت انسا بوجود أرضيات متينة في التحكم بالمناسبين "السودانية" وقدرة الأغنياء داخل "المحلة" على تصعيد حقابها وبعدها الاتصوفي لبلوغ النمط المقدس فيها .

(*) لغة حوصا ، لغة بنبرا ، لغة فولان ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذ تظهر السلسلة الخطابية (البراج) وتلك مختلفة باختلاف اساني وسيميائي افريقي ، تتخالله في معظم الأحيان وحدات صوتية وتلفظات ذات نبرات افريقية وتيسرة تحتية تعكس أصلها اللغوي ومصدرها الجغرافي (أرجع الى الجداول بص:) ( ) .

نفسي تيارت نجد هذه الفونيماتيكا المورفولوجية دينية تطبعها وحدات كلامية عربية ، إما إسمًا لشخصية حقيقية أو فعلا ملموسا وحيويا يستهدف مثلا الشفاء :

- بيسرن سيدي
- يرحم واليدي

أو تسعى الى التوحيد والذكر:

- أي لا اله الا الله محمد رسول الله
- لااله الا الله والحا اقزم يالي والله مازاروا حتى يندم

أو بربط الزيارة :

- زورو زورو الجيلالي عبدالقادر
- زرق السماء بانيا (. . .)

شائعا في هذا الشأن استعمالات الخطاب في العاصمة حينما يكون استراتيجية لدى مؤسسات "الشوافة" ، بحيث لا تتحدث الجماعة هنا لك بالسودانية الا عند " طالب وادي قريش أو في دار عائلة حسين داي .

وهنا أيضا ، ترجع العلاقة السببية لخاصية المورفولوجية الى كون الخطاب في " تيارت مقيد ، أو محصور لدى الكهول والكبار خاصة ، وأن المشامين التصورية لا تتعدى حدود متغيرة السن .

كما أن اختيار بعض المقطوعات العربية (والتي رأينا أنها بعيدة عن الترويج ، الذي هو شيمة المقطوعات الأنثروبولوجية للديوان.) ليس ارادية ، وانما نتيجة آلت اليها العامل السن ، وعدم مسايرة الورثة الجدد على تناقل التصعيدات الأسطورية .

( ) — نرمز من خلال هذه الجداول الى وضع سيميائية اللغة كمؤشر يوضح تغير المورفولوجية الأنثروبولوجية في سلسلة الخطاب وعلاقتها بالاصل اللساني أو المقاطعة الأصلية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الجداول : 206 - 209 - ترمز الى وضع سيميائية اللغة كمؤشر يوضح تغير الموفولوجية الأثروبولوجية (السودانية) وعلاقتها بالأصل اللساني أو المقاطعة الجغرافيـــة .

الاصل اللغوي	الموطن الاصلي	عناوين السلسلة الخطابية	ملاحظات أخرى
فـلالـــة	عرب المالـــي	- لافو لافويا مولانا - الشيخ عبد القادر الجيلالـــي - بابا مرزوق - بودربـالـة جامنقـرو - على ماقوى على ماد دوى - دوابرهيمـا - جوبيا والى جوبيـا - بانيا بابا حمـو - باباحمو المركانتـي - مـــارو - سيدى أحمد التيجانـي - سيدى المدانـي - سيدى سليمان بن داود - يابـن عيســـى - يوركـي كوبانا فولان	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصل اللغوي	الموطن الأصلي	عناوين السلسلة الخطابية	ملاحظات أخرى
بنبـــــرا	بنبـــــرا	ـ صيو صيو بنبـــرا ـ بناوا بـاوا ياوسكى ـ داى مازو ـ كاوكاوا ميدوكى ـ جانقارى بلما ـ جـالى ياجالى ـ ياكريـم الله يابوبكـــــر ـ اى بانا اى دومانقينى ـ كوبرادفايالى دانترى ـ تـــوبـــا	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصل اللغوى	الموطن الأصلى	عناين السلسلة الخطابيـــة	ملاحظات أخرى
	حوصـــا	ـ سيدنا بلالى بن قزما ـ يانرابيا بوكيا ـ واوا واوا جانقرى ما ـ باوا باوا نقريبى ـ باكاتشنى يورا باكاتشنى ـ حـــاوى ـ لالا ميمونة سلطان قنـــاوى ـ لالا عيشـــة ـ عيشة بنتشيايا ـ لالا مليكـــة ـ لالا مريمـــا ـ صلامنقـــا ـ أى سيدى سماسماوا ياهـــو ـ صاونـــدى ـ كاى جارى أندوكسى ـ أى يارامانا أندبـو ـ بورى بورى مانا ـ الله تعالى ميسما أولاد أولاد حوصا بيتما ـ أى جانقرى ماما أى يارا جـــانقرى ما	أنظر المقارنة بالملحق ××
			نفس المقارنة بالملحق ×××

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصل اللغوي	الموطن الأصلي	عناوين السلسلة الخطابية	ملاحظات أخرى
		- أي جايبرو سرقي بيتما	
		- سرقو بليجـــــي	
		- سيدي مارابار	
		- مانياوراد وقـــوي	
		- دوقوي باكا دوقوي فارا	المقارنة السابقة بالملحق ××
		- قيقي ياقيقنا	
		- أي قوري قوري قنا همشي	
		- الله واكبني تنقبـــو	
		- يانوروكوبوبونيـــا	
		- ميكيري أو باناني	
		- مكيـــــري	
		- منقزونانا باري منقـــزو	
		- بباق مكجي جمركـــي	
		- نقري نقري جـــاطو	
		- دوليلي موهكنشـــي	
		- نيني مالم نيني بوكا	
		- جينار ي املـــم	
		- أي مكي نقـــزوي	
		- كـوري باجيـري كوري	نفس المقارنـــة الملحق ×××

ملاحظة : يبدوجليا ،أننا لا نستطيع في هذه السياق كتابة كامـــل المقطوعـــــــات،لذا اكتفينا بعناوينهـــا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدليل انه اصبحت مقطوعة "بابا فورما" الشهيرة في "تيارته" هي الوحيدة التي ليست عربية ، ويمكن مع ذلك ، ترديدها وتمثيلها بجهاز ها الديني (القصة الماء ، العصا ، البخور) والتي ترجع شهرتها الى عامل توارثها عن الأجداد ضمن نسق قرابي موحد .

أما في "سعيدة" "وفرندة" فقضية تعاقد الأسطورة والقياس الانثروبولوجي ، لا تطلق نفسها كاشكال متناقض وهي بذلك دوما حارصة على ابتغاء الزمن السلفي بوصفه الحياة الأولى .

يعود التلاقح فيها الى القداسة السلفية والى تجاوز الأسطورة عامل السن ، وتداولها من طرف مختلف الأعمار داخل "المحلة" كاطار تأسيسي وعائلي ، أم قرابي وبالتالي فان إستعابها يبدو شاملا وكاملا .

وهذا يعود لعدم وجود حواجز معنوية بين العبيد القدامى وبين الورثة الجدد ، الأمر الذي يسهل استحضار السلسلة الخطابية (الطريق) كلها ، والتفنن في تصعيد أسطوريتها

- جمانقرو -
- بابا الحاج باحو
- سيد عنا بانيا
- بوري بورمانا انداباسو
- مولاي ابراهيم
- مساوانسدي
- ميمو ميمو
- نقري جساطو
- بابا باوا باوشكي
- موسى البحري (. . . . .)

وفي رفع قيمتها الدينية المبهرة والعجيبة سواء عن طريقة تنظيمها بيداغوجيا - الترديد - بيانات صوتية - الموسيقى التمثيل - من الأصعب والأخطر ، الى المروع والمبهر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استنتاجا لهذا ، فان خصوصيات التباعد التي تحدث بين الشكل والمضمون في "الديوان" ، سواء في طريقته التنظيمية أو في صوره الأدائية مرتبطة بالفهم لمجموع الأساطير وامكانية شحنها بالواقعية المقدسة .

وبالتالي فان تصعيد الأسطورة الى البدايات الخالدة محدد بظروف وعوامل تحرير التفكير الرمزي العرقي و سيولة العالم الأسطوري .

هذا الأخير ينبغي أن يكون محسوسا وانطلاقا من الحاجة التي يلبيها . بحيث مهما كانت نوعية الانزلاقات الجديدة التي تولد خصوصية في الصراع والشخصيات التي تبنى عليها الأسطورة - انتقال من شفافية أصلية الى ظلامية مشوهة - (1) . الا أن النمط المتواصل بين الأجيال يبقى كمراقب تواجه به الصياد عن مسار نمط حياة الأسلاف ، ونداء الأب الأسطوري (سيدي بلال) مؤسس ومرجع الهوية .

اذا كان الخطاب في " ديوان " سيدي بلال جذر لما هو "مبتور" من جذوره وغير متأصل (2) فهو كذلك كجسم ، بامكانه أن يصاب لا في جذوره صحيح ، ولكن شكليا عن التأثيرات المتتالية وتخبط وحداته الميتولوجية ، بصيغها الانثروبولوجية كوحدات أساسية وواقعية أو تاريخية .

فلا استمرارية هذا الخطاب كوضعية متضاربة بين الاستمرارية كهدف ايديولوجي ديني ، والمكانة العذراء التي يحتلها في الذاكرة والنسق الديني الجوهري ، ليست كلية وعامة الى حد بلوغها التدهور الشامل للسلسلة الأسطورية ، وانما تمس وجه الرموز .

---

(1) MIRCEA ELIADE: Traité de religion" Edition : Payot.- Paris; 1949. Pg:368

(2) J.C. BOUVIER et autres:"Tradition orale et Identité culturelle . probléme et méthologie " Edition: CNRS . Paris.- 1980. Pg. 53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هنا تجئ اجابة ك.ل. ستروس، عن سؤال حساس الى حد ما يدور حول زمنية ومكانية استقرار المور فولوجية الانثروبولوجية للخطاب وشروطها، وبالتالي متى تكون الأسطورة أسطورة قائلا: "بأن الأسطورة تزول، ويغمى عليها لتترك المجال لأساطير أخرى - كشيمة لثقافة جديدة دينية، وميزة جهات أخرى - ولكي تستقر، فانها تتعرض لفساد واتلاف لايمس شكلها فحسب، بل وجوهرها الأسطوري أيضا". (1)
هذا معناه أنه لاتوجد كما يقول ر. بارت: " أساطير خالدة أو على الأقل أصلية". (2)، بحيث بهذه اللا ستقرارية، يثبت الفصل بين مايمكن أن يتخذ صورة تاريخية، وبينما يمكن أن يبقى ملحميا واسطوريا، أي متشابكا بعقد رمزية، لايمكن حلها للتباعد الزمني والتاريخي.

في الحقيقة هذا ما اثبتته لنا الدراسة المقارنة في العاصمة وفي بعض جهات الغرب الجزائري، والتي تؤكد على أن التوقيع كمجموع عملي لمغزى الاستمرارية الدينية بامكانه الاطاحة واضعاف التمسك بالفكرة الأسطورية الأساسية - باندماجها داخل المؤسسات السحرية - واستبدالها بتصنيف وبناء ديني جديد، اذ تفقد فهرسة الوحدات الأسطورية توازنها ليكتفي مخططها الايديولوجي السامي بالتكرار أو معاودة نفس أبيات الشطور الأولى.
ملبية بذلك ضمن اطار مايمكن أن نسميه بالمعاشرة الدينية كل امكانيات تجديد المكانة الدينية والاجتماعية، خاصة عندما يصبح "باباحمودة"، لا كغاية، وانما وسيلة تجهزه "الشوافات" كمطية لزبائنها، وتسمح لنا من جهتنا بقراءة معنى المرض الذي يبدو اجتماعيا مرمزا، يناشد الاهما لخدمتها. (3)

---

(1) C. L. STRAUSS: "Anthropologie structurale Deux." Edition: Plon Paris .- 1973 . Pg. 309/315

(2) - مصطفى كمال: الأسطورة اليوم: عن رولان بارت: "الميتولوجيا" - بيت الحكمة مجلة مغربية للترجمة. العدد السابع. السنة الثانية. دار البيضاء المغرب. 1988. ص. 51.

(3) MARC AUGE ET CLAUDINE HERZLICH: "Le sens du mal: Anthropologie Histoire, Sociologie de la maladie. Edition: des archives contemporaines. Paris 1984. Pg. 35.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تبدو الحاجة الاجتماعية في نهاية التحليل قوية واشارة لظروف وشروط نشؤها واتجاه ابعادها ،ولكن الاكيد من هذا انه تولدت عنها شبكة من التجارب الدينية في صورة منسجمة ومتفاعلة ، الى حد انه يصعب التمييز اذا ماكنا نسمع تاريخيا اجتماعيا - انتماء فئوي رمزي ... - ، أو اننا نبحث في تاريخ الممارسات الدينية .

عكس ما استنتجناه في السابق اذن ، يظهر جليا من خلال هذه المميزات ،كيف تستجيب استمرارية ممارسة "الديوان" جهويا لوضعها وظروف منتجها ، وكيف تتجاوب واهداف قيامها في اثراء وتغيير مقاييس الحكم عليها : " ديوان سيدي بلال " = "ديوان سخون" - كما انه واضح كيف ترى الممارسة نفسها ضمن هذه الدراسة المقارنة ، وهي تحقق لاعضائها غالبية ميولاتهم وطموحاتهم المادية والرمزية وموفرة لهم وللورثة الجدد فرصة اعادة احياء شعورهم الوحدوي ، وكيف من جهة ثانية ان متابعة استمرارية "الديوان" بهذه الجهات فرضت علينا الرؤية لمختلف الاجزاء المكونة للممارسة (النسق التصوري الجهاز الديني - الجذبة - الخطاب - الموسيقى - ...) ، والتي تشكل الموضوع الشامل لاسطورة "الديوان" في الضمائر التي تمخضت عن مراقبة تنظيمات الممارسة ومسؤولية اعضائها .

فلا غرابة اذن ، اذا ماكان التمسك باستمرارية "الديوان" يقتضي تصحيحا داخليا وعميقا لعلامات النسق التصوري والدلالات الاسطورية ، اي للوحدات الصغرى التي تشكل الاساطير وترتيبها داخل الجهاز الديني ، ويرغم الذاكرة العرقية ، على ان لا تحول من تسلسلها ، خاصة ، اذا كانت نية الاستمرارية تبحث عن سبل تفادي ضياع القالب الذي يشد اصالة الدلالات الاسطورية وانماط التراجم الانثروبولوجية المخصصة لها ، والتي تعمل على شرحها في سياقها التاريخي والديني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندئذ ، فالوحدة في هذه الجهات ، أو اقامة "الديوان" بهذا المنظور الامتثالي أو النموذجي ، اضافة الى كونها تنظيمة دينية وتطبيقا جديا للأبعاد الميتولوجية ، نجدها عبارة عن تلك العلاقة التي تقوم بين مفهوم الأسطورة الذي يعلّم الذاكرة العرقية ويربيها على التهيأ للاستثمار ضمنه ، ومادية المفهوم التي تسترجع من خلالها الذاكرة العرقية سلسلة من الأسباب والنتائج ، والدوافع ، والقصديات .

وبذلك فان "الوحدة" وظروف قيام "ديوان سيدي بلال" بالجهات المدروسة تصبح ردّا لمادية المفهوم الأسطوري ، واجابة للاعتبارات التذكارية التي تتدفق عن أحلام بلوغ الزمن الأولي ، هذا من جهة ، كما بامكانها (وعدة الوصفان) أن تكون أكثر من اجابة لاحتياجات الفكر الرمزي . بحيث قد تكون أيضا محللا لحالة الأسطورة ، وعملية مراقبة للاوعي العرقي : أي مدى التشبث بعمليات تشخيص وتجسيد المواضيع الأسطورية - الذي تنفجر عنه أشكال الانسجام الجماعي والتلاحم أو اندماج الأفراد في الممارسة .

من هنا نستطيع أن نقول ، بان اعتبارات قيام "الديوان" مختلفة عن أسباب وجوده في العاصمة ، اذ لا يقتصر هذا الاختلاف على المنطلقات التصورية لتسيير وادارة الممارسة ، بل يتعداه ليشمل غايات دينية مخلصة للاسطورة المؤسسة .
" فالديوان" بهذه الجهات عندئذ ليس حرفة أو نشاطا مهنيا بالتفريس ، كما وضحنا ذلك انفا ، وليست منطلقاته ترسيما للعلاقات بين الأفراد لتجريد الممارسة من قداستها انما هو تنظيم اجتماعي وديني يدخل في اطاره هدف استرجاع معايير وقيم الحياة الدينية الاولية ، كما انه مشبع بفكرة محاولة الأسطورة المؤسسة ونمط الحياة الأركيتيبي فهو في هذه الأوضاع المتأرجحة بين الجسم الكامل المرمّق يحاول طمئنة سيرورته الأصلية وتخليصها من ربقة التعثر والانحراف اللساني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو ليس تقديسا وحشيا كما يسميه "روجي باستيد" ، وانما هو ممارسة مدجنة ، أي "جزء" من البيت تسري بصفة طبيعية داخل اطار الجماعات .

كما أن ديمومته واستمراريته متوقفة على ماتختزنه الذاكرة العرقية من استمرارية في فهمها الأسطوري والانثروبولوجي وعلى التمليس أو التهذيب الذي تمر به الأسطورة نفسها

ولذلك فهو مشجع بعامل الذكرى "التي تشكل الى حد" بعيد تجديد في بناء الماضي ، عن طريق المعطيات المستعارة من الحاضر." (1)

وبناء على ذلك فان اعتبارات اقامة "الديوان" بهذه النواحي كاجابة عن فرضيتنا - في اغلب أحيانها ، اعتبارات "ذاتية" ومستخلصة من الأعماق التاريخية والثقافية .

وأن مخزن الاستمرارية كمحرك لهذه الاعتبارات ، لايتوقف عند مستوى التنشأة الدينية للوعي العرقي ، بل يتحصن وراء اصطلاحية الترتيب الفئوي (عبيد) ، والترتيب الديني (ديوان سيدي بلال) . .

من هذه الزاوية ، يصبح "الديوان" استعدادا تاريخيا وثقافيا أو مقياسا انثروبولوجيا ، تبرز فيه "الجذبة" كمحرض لهذه الاستعدادات ومحولها الى طاقة جسمانية تبدو للملاحظ في صورة سلوك عنيف ومرهب .

من هنا يمكن أن نقول - كخلاصة لدراستنا المقارنة - ان اتجاه الديوان" يميل أكثر الى مايطلق عليه م . الياد " بالأسطورة المثالية" أو النموذجية دلالة عن تثبيت " بقصة حدث وقع في الماضي مشكل بنائيا من سابقة مثلى لمجموع أفعال ووضعيات تكررها الأسطورة . (2) وتحرر الطاقات التصورية الى الامتثال بوضعيات معنى المقدس المستنتجة من المواضيع الخطابية والسيرورة الثقافية التي تسقط مقياس حياتهم الانثروبولوجية فيها (بوري بوري مانا ، مكيني ، نقوي جاطو ، مارو ، ريما . .)

---

(1) Maurice HALBWACHS: "La mémoire collective." Edition: PUF . Paris. 1968 Pg. 57

(2) Mircea ELIADE: "Traité d'histoire de religion". Edition: Payot . Paris. Pg. 366.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"فالديوان" في نهاية المطاف، باستثناء رواسبه المتردئة وقدراته المتلاشية أحيانا، يبقى المحور الرئيسي لعلاقة استمرارية المكانة الفئوية (عبيد) في المقدس، وبالتالي في المفهوم الأسطوري . أو بين " الوصفان " ، و"باباسالم" كمنعطف لتياران تصوريان، ونمطيين ذهنيين يحددهما عامل الدين وتحميم المقدس داخل الفعل الاجتماعي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــــة:

ان وضـــع مشـــروعنا المقـــارن لتظاهـــرات وظـــائف ممارسة " ديوان سيدي بلال " أوْ "عـــدة الوصفـــان" فـــي سياق مجـــالي متبايـــن من حيث تركيباتـــه وتشكيـــلاته الذهنيـــة ، سمـــح انـــا بـــادئ ذي بـــدء مـــن استنبـــاط بعـــض الأنســـاق الفكريـــة والرمزيـــة مميـــزة بتناقضاتهـــا (ديـــوان أســـود ، أبيض) ، (رجال نســـاء) ، (سحـــر ، ديني) ، وتخضـــع فـــي آن واحـــد الـــى قواعـــد معقلنـــة ـ تـــارة ذاتيـــة ، وتـــارة أخـــرى موضوعيـــة بالمعنـــى الابيســـتي .

هـــذا التضـــاد جعلنـــا نهيء هـــذه الأوراق لفهـــم هـــذا التعايش المنسجـــم ظاهـــريا ، وتثبيـــت حـــدود تداخـــل الرمـــزي والاجتماعـــي وبالتالـــي " الجنون " كمـــون خـــارقة ، وفـــك طـــلاسم الخيـــال الاجتماعـــي .

وفـــي نفس هـــذا الســـياق المجـــالي ، تـــوضحت أولـــى الساوكـــات التصورية المتصلـــة بتنـــاولات منزلـــة العبيـــد ، كوضعيـــة اجتماعيـــة وحشيـــة وخشـــنة لسانيا نتجت عن سيرورة تاريخيـــة ومفتعلـــة ثم تهذبـــت واتخـــذت مجـــرى " ايـــديولوجـــي " متأدب" بعـــودة القيمـــة الانسانيـــة الـــى ترتيـــب تصـــوري أوْ ثقافـــي ديني ـ أي بخـــم ثقافـــة الرجـــل الأســـود الـــى الثقافـــة المقدســـة ـ يضمن تكـــامل القيمّ والمواقـــف الثقافيـــة الســـائدة فـــي المجتمـــع حتى وان حاصـــرها الفـــراغ .

مـــن هنـــا بدأت تظهـــر ، وانطـــلاقا مـــن لقنـــة "بابا ســـالـــم" كترتيب اجتماعي ، وفـــق جـــديد ، وكاســـتعـــراض ثقافـــي ديني ، مواقـــف ايجابيـــة مـــن الظاهـــرة الدينيـــة ، وبـــدأت معهـــا ترتســـم حـــدود ومعانـــي المقـــدس ، والمدنّـــس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد نخطئ كثيرا ، لو تركنا عامل المجال منفردا عن مخزن" الخادمية الدينية " (الوعدة) ، ودلالاتها الاستمرارية الخفية التي تحفظ المؤسسة . كما كان متعذرا علينا فهم العنصر الثابت الممثل في المحتوى الديني للممارسة من العنصر المتغير - الذي هو محدّد في مجموع التجارب السحرية - لو لم نتنقل من مؤسسة الى أخرى في نفس المجال ، فالفضل يرجع اذن الى الدراسة الإقليمية التي ساعدتنا على تمييز نوعين من الطقوس الدينية ، إحداهما طقوس فعلية ، تعرّف " ديوان سيدي بلال " ، كنسق رمزي عودي متعدد الألوهية ، تخدم اعتبارات وموضوع الاحتفال .

اذ هي التي تكون القائلة للمعاني الجوهرية والفعلية لدور الوساطة ، عندما يتطلب عضو من " مجتمع الديوان" أحد القوى الثانوية لتشخيصها حسبما تمليه مستازماتها الاعتقادية والتقنية . كما انها تجعل " الديوان " في جدل مباشرة بترتيبات المفاهيم الأسطورية ، ومادتها باعتبارها بناء معرفي وغير سخيف ، تتعالى منه رموز واشارات الاتصال بالنمط المثالي والاركتيبي الأولي .

فهذا الأسلوب الثقافي الذي يشهد عليه " الديوان" في مؤسسة طالب " وادي قريش" ، وفي حسين داي ، أو في كل من تيارت غرندة ، سعيدة - يريد لنفسه أن يكون امتثاليا وبالتالي تاريخيا حقيقيا - اذ رغم بعض صور لاستقرارية الدلالات التصورية وتقطع الصيغ والمعادلات الرمزية نجد ان الفكرة العامة للا ستمرارية لم تتزعزع ، وأن جوهر هذا التاريخ الحقيقي مايزال تاريخيا مقدسا .

أما النوع الثاني من الطقوس فهي تجريبية ، وهو النوع الذي أحصيناه خصوصا لدى مؤسسات "الشوافة" بحيث ان اتصال " الديوان" بهذه المؤسسات ، وان مبدئيا كان عملية ترقيعية لتصور استمرارية المكانة الدينية فقد عرّض من جهة أخرى وحدات أسطورية ، وعملياته الطقوسية الى تفكير موحد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنظيم سحري اجتماعي يرمي الى دمج المقدس داخل اطار الفعل الاجتماعي لتعميمه .

فاذا كانت هذه التحولات والتغيرات الدينية ، والتي لا تنفيها الميثولوجيا أساسا وضمنيا بسبب تناقلها من محيط لآخر ، أو لسوء ترجمتها فهي في نماذجنا بمثابة وضعية متأزمة نتجت عن استعادة الجهاز الايديو- ديني من طرف فئة نسوية بعد أن ترفع الوثنية الجديد عن تحمل مسؤولياته القائمة على مبدأ الاعتقاد بحيوية ووجود لغة خفية تحركه من صمته كتحف فنية .

فصار استخدام طقوس " الديوان " بذلك الشكل من الألوهية الفعلية . تغطي بها مؤسسة "الشوافة " فجوات تجاربها السحرية ، وتلبي بها كذلك متطلبات زائراتها لتعيد في نهاية التحليل تجديد مكانتها ضمن مقدس مدجن ومستعار .

فهذه الطبيعة الايديولوجية وغير الرسمية ، ماكانت لتبرز نمط وجودها ، بعامل التمهين بالتقديس فقط ، اذ هو لوحده غير كاف لتكسير روتينية سلطتها الدينية " الشوافة " ، ورفع مستواها الاعتقادي " مؤسستها " .
لذلك تلجأ الى استغلال واستخدام معظم القنوات التعبيرية "لديوان سيدي بلال (الجذبة ، السلسلة الخطابية ، الموسيقى ...) منتزعة منها طابعها الأصلي ، وتستعيده في نهاية التحليل لاعادة تجديد صيغة المقدس تحتاج اليه في تنظيماتها السحرية والتعزيمية ، وبالتالي لاعادة تجديد مكانتها كمقاولة دينية واجتماعية .

من هنا كل ما يمكن قوله عن آليات استمرارية ممارسة " ديوان سيدي بلال " في العاصمة بالخصوص ، هو انها استمرارية متقطعة ، تفسح مجال نقاش الحدود الفاصلة بين الممارسات الأصلية ، والممارسات المصطنعة ، وعوامل تغيير المقدس من الفعلي الخرافي الباطل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يمكن اعتبارها ان لم نحكم على اتجاهها سلبا او ايجابيا بانها وضعية مستقرة تأسيسيا حيث إنه نمت بعدها ظاهرة اخرى من نفس الصنف الآ، وحق تسجيلها ضمن عمل مقدس واسطوري ، يعكس شروط فلكلوريتها ويحطم بقاياها القديمة .

هنا بالذات ، تجدر الاشارة انه فعلا تمت ملاحظة صنف آخر من التقديس ، بعدما وصلت دراستنا الى نهايتها . اذ يبدو تطوره مهمشا الى حد ما ، ولا نعرف عنه الكثير الآ ماوقع عليه بصرنا .
تقوم اشكالية هذا الأسلوب من التقديس على مايمكن ان نسميه تكديد ( ) الرجل الأسود مالك المعرفة المقدسة ((Prolétarisation.) واستغلاله كمعبر عن لغة ثقافية معروفة لدى بعض فئات المجتمع من طرف جماعات بيضاء لنهايات جديدة مادية ، لاتمد بصلة للحياة الدينية بالمعنى الأصلي والتقليدي .

فقد اتيحت لنا فرصة مشاهدة هذا الفرع من " المقدس السخيف" في العاصمة وضواحيه كتساؤل مبدئي ينبغي الاعتناء به لاحقا ، عندما تشكلت جماعات من أفراد " بيض اللون " يصاحبها شخصا واحد من " أسود اللون" استعادت احياء أحد المحاور الأولية لممارسة "الديوان" والممثلة في " الكريمة" ، والتي هي أصلا ـ كما وصفناها في أقسامنا السابقة ـ عبارة عن تلك الرسالة الموجهة للمتعاملين مع مجتمع "الديوان" ، لتعلمهم وتدعوهم لبدايات " وعدة الوصفان" ففيها كانت تخرج "جماعة سوداء" ، يجر أحدها ثورا أسودا ويقرع اثنان منها على الطبول ، والبقية تلعب بأزواج القرقابو متخللين الأحياء لجمع " الزيارات" في جو إيقاعي منسجم وسلسلة غنائية دينية خاصة .

فاذا بها اليوم تخرج في ثياب جديدة، لا يفوق عدد الأعضاء ثلاثة، شابان ابيضا اللون يضرب أحدهما على طبل و الآخر يزوج من القرقابو .

( ) ـ نقصد بمفهوم تكديد المقدس، التقليل من شأن العبارة الثقافية المتضمنة له واستغلالها لنهايات مادية ، رغم استأصالها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا ثالثهما فهو الأسود اللون ، يتعدى الأربعين وأحيانا أقل بكثير .
يمسك بين يديه طبقا متوسط الحجم لجمع الأموال القليلة - لغياب نيّة التبرع نسبيا وتقديمها في صورة زيارة - والاصطدام هذه الظاهرة الجديدة بالممنوعات التي بدأت تسطرها الحركة الاسلامية .

اذ يغيب في هذا الوجه الجديد " للكريمة" الخطاب الغنائي لتبقى فقط الرسالة التصورية والدينية هي الفاعلة ، تثريها رموز " البطل" " القرقابو" والرجل الأسود ، محتكر المعرفة المقدسة .
هنا نتوقف قليلا عند هذه الحوادث المتضاربة والمتناقضة ، انتساءل أولا عن جهة انتماء هذه الجماعات تأسيسا ، ثم عن مكانة الرجل الأسود في هذا التنظيم اللا رسمي ؟ أو لنقول بصيغة دقيقة لما نجد دوما في اوحات السلوك الاجتماعي الرجل الأسود (الوصيف) في علاقة بالمقدس ؟ أو ما معنى علاقة اللون بالمقدس في حين أن اشتقاقات الفعل السابي والشرير فنجدها منعوتة بالظلامية والسواد .

نعتقد بأن هذه الجاذبية الحرّة والانزلاقات التي تعرفها العبارات الثقافية للمقدس ليست شاملة ، وانما تخص المجموعات السكنية الكبرى .

ففي المدن التي توقفنا عندها ، تبدو استمرارية ممارسة " ديوان سيدي بلال" امتدادا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طبيعيا و مطمئنا . ينبعد من خلالها الورثة بلوغ الزمن الأولي وتخليد أسطورية الأسطورة كما تعد الإعتبارات التصورية والتذكارية لقيامه هناك .. نموذجية سواء على المستوى الفني أو التنفيذي .

هذا على الصعيد الضمني لصنف المقدس ، أما اجتماعيا فنجد علاقة متغيرة اللون بديهية تندرج ضمن نسق طبيعي وحيادي عكس ما تشهده نفس المتغيرة في العاصمة ، اذ تثير علاماتها الى انقسامية مذنبة لكونها أصبحت تشكل ممارسة وسلوكا .

من هنا جاءت صور الدفاع والمقاومة ، سواء من الباب الأنثروبولوجي والسوسيولوجي للمكانة والهوية الفردية والجماعية عبر " الديوان " محددة في تقلبات معاني الاستمارية واتجاهها ، وفي ايديولوجيات الاحتفال ، أو في الانتقال من إلتزام صامت الى مجموع القناعات المتكررة ـ التي تعيدها الى الحاضر اعتبارات الذكرى ، والأهداف الوظيفية المحفوظة فيها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المـــــــــــراجـــــــــــــع
****

المـــــــــــلاحـــــــــــق
****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المراجع

- ANDREWS .J.B,:Les fontaines des genies - Sebâa Aoun croyances soudanaises à Alger . ADOLPH Jourdan.Alger. 1903.
- AUGE MARC: Genie du paganisme . Ed. GALLIMARD.Paris.1982.
- " " : THeorie des pouvoirs et ideologie :etude de cas en cote d'Ivoire. Ed.HERMAN.Paris.1975.
- " " : La construction du monde :Religion/Representation/Ideologie. Ed.F.Maspero.Paris.1974.
- " " : Les domaines de la parenté:Filiation/Alliance Residence. Ed.F.Maspero.Paris.1975.
- AUGE Marc & HERZLISH Claudine: LE Sens du Mal:Anthropologie - Histoire- Sociologie de la maladie. Archives contemporaines.Paris.1984.
- BOUCHE ABBE: La côte des esclaves ,Ed.Litteratures.Paris 1946.
- BASTIDE Roger : Sociologie des maladies mentales. Ed - FLAMMARION.Paris.1976.
- " " : Le rêve, La transe,et la Folie. Ed.FLAMMARION.Paris.1972.
- " " : Le sacré sauvage - et autres essais. Ed.PAYOT.Paris.1975.
- BOWRA.C.Maurice :Chants et poesie des peuples primitifs. Ed.PAYOT.Paris.1966.
- BOUVIER.J.C. et AUTRES: TRADITION ORALE ET IDENTITE CULTURELLE, Problemes et Methodes. C.N.R.S.Paris.1980.
- CAILLOIS Roger : Le mythe et l'homme. Ed.Gallimard.Paris. 1938.
- COPANS Jean :Critique et politique d'Anthropologie. Ed. F. Maspero.Paris.1974.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- CAZENEUVE Jean: Sociologie du rite :Tabou,Magie,Sacré. Ed. P.U.F. Paris. 1971.

- CHELHOD Joseph: Les structures du sacré chez les arabes. Ed. G.P. Maisonneuve & Larose. Paris.1964

- COHEN Marcel: Le langage : structure et evolution . Ed. Sociales. Paris.1950.

- CUVILIER Andre: La musique et l'homme ,ou la relativité de la chose musicale . EDition.P.U.F. Paris. 1969.

- DURKHEIM Emile: Les formes élementaires de la vie religieuses . Ed. P.U.F. Paris. 1968 .

- DE HEUSCH Luc: Essai d'Anthropologie religieuse. Ed. Gallimard. Paris.1972 .

- EDGAR Morin: 3, pour une Anthropologie fondamentale. Ed. Seuil. Paris.1974 .

- E.EVANS Pritchard :Les Anthropologues face l'histoire et à la religion. Ed. P.U.F.Paris.1974

- " " " : Les religions des primitives ,a travers les tnéories des anthropologues . Ed. PAYOT. Paris. 1971 .

- [redacted] Ali: Au fil de la crise . Ed. BOUCHENE. 1989.

- [redacted] M IRCEA/ Le sacré et le profane . Ed. Gallimard. Paris. 1965.

- " " : Traité d'histoire des religions . Ed .PAYOT . Paris . 1949 .

- " " : Aspect du mythe .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ELIADE Mircea: Chamanisme et les techniques archaiques de l'extase. Ed.PAYOT.Paris.1968.

- FOUCAULT Michel: L'archeologie de savoir. Ed. Gallimard.Paris.1969.

- FRANTZ Fannon: La sociologie d'une revolution. Ed.F.MASPERO.Paris.1982.

- GODELIER Maurice: Outils d'enquete et d'annalyse anthropologique. Ed.F.Maspero.Paris.1976.

- " " : Horizon , trajets marxistes en anthropologie. - II - Petite coll. F.Maspero. 1977.

- GENEVIEVE .C.Griaule: Langage et cultures africaines. Ed.F.Maspero.Paris.1977.

- GARDET Louis: Les hommes de l'islam. Librairie Hachette.Paris. 1977.

- HALBWACHS Maurice: La memoire collective. Ed.P.U.F.Paris.1968.

- ISAMBERT .F.Andre: Le sens du sacré/ Fête et religion populaire . Ed.Minuit.Paris.1982.

- IBRAHIMA BABA KAKE & ELIKIA M'Bokolo: Histoire generale de l'Afrique noire . Coll. A.B.C.PARIS. 1977.

- ISABELLE et VissiereJ.L: La traite des esclaves, au siecle des lumieres. A.M.Metailié.Paris.1982.

- LEVI-STRAUSS Claude: ANTHROPOLOGIE Structurale. Ed.PLON.Paris.1958.

- " " " : ANTHROPOLOGIE Structurale -Deux- Ed.PLON. Paris.1973.

- " " " : L A Pensée Sauvage. Ed. PLON. Paris.1962.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- LOUIS Vincent Thomas; LUNEAU (R) ,DOREU (J.L): Les religions d'Afrique Noire . Textes et traditions sacrées.
Ed. Fayard Denoël . Paris. 1969.

-LOUIS Vincent Thomas, LUNEAU(R); Les sages dépossédés;UUnivers magique d'Afrique Noire.
Ed .Robert Laffont.Paris. 1977 .

- MIDDLETON Jean : Anthropologie religieuse .
Textes fondamentaux .
Librairie Larousse . Paris .1976 .

- MAUSS Marcel : Sociologie et Anthropologie .
P.U.F. Paris .1950 .

- MAJHMOUT Diop : L'Histoire des classes sociales dans l'Afrique de l'ouest . 2 . Le SENEGAL . TEXTES à l'appui. Sociologie . Ed .F.MASPERO.Paris.1972.

-PLUCHON Pierre : La route des esclaves .
Ed. HACHETTE . Paris .1980 .

- ROUGET Gilbert : La musique et la transe ; esquisse d'une théorie generale des relations de la musique et de la possession . Ed . GALLIMARD. Paris.1980.

- RAD - CLIFF BRAWN (A.R.) :Structure et fonction dans la société primitive . Ed. Minuit .Paris.1968.

- ZEMTHOR Paul : Essai de poetique medieval . Ed. SEUIL.Paris.1972.

- VIVIANA Paques : L'arbre cosmique dans la pensee populaire et dans la vie quotidienne du nord ouest africain.
Institut d'ethnologie . Musee de l'homme .Paris.1964.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ملتقيـــات و مجـلات و حوليـــات

-Actes de II éme rencontres internationales de Nice . Transe-Chamanisme-Possession de la fête à l'éxtase. Coll.Vida.Ed.Serre.Nice Animation.1986.

-Bouteiller Marcel:Chamanisme et guerison magique. Journal de psychologie Normale et Pathologique.XL.V éme année.P.U.F.Paris 1952.

-Durkheim Emile :Religions .Journal de Sociologie .P.U.F. Paris .1969.

-Dardel Eric : Magie, Mythee et Histoire. Journal de Psychologie Normale et Pathologique.X.L.IIIéme année .P.U.F.Paris 1950.

-Dictionnaire Universel des Noms Propres.Petit Robert.2. Coll.Usuels de Robert .Paris 1986.

-Encyclopédie Universalis:Esclavagisme.Editeur à Paris. Vol.7.France .S.A.1985.

-Grima (P):Mythologie des Montagnes; des forêts , des Iles , Librairie LAROUSSE.Paris.1963.

-KREGLINGER (R):La religion et la magie chez les peuples primitifs.Re Revue d'Histoire et de philoscphie. Religieuse 3eme année. Bruxelle .1923.

-LUPWISHI.M'Buyamba:sensibilité musicale et spiritualité Africaine. C.E.R.A. Art Religieux Africain.Vol 16.1982.

-LANDEL (A) : Les TADJKANI. Caravaniers du Desert. Bulletin de liaison Saharienne.13.n°36. D.E.C.1959.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقابلات و مجلات و حوليات

-Actes de II émé rencontres internationales de Nice . Transe-Chamanisme-Possession de la fête à l'Extase. Coll.Vida.Ed.Serre.Nice Animation.1986.

-Bouteiller Marcel:Chamanisme et guerison magique. Journal de psychologie Normale et Pathologique.XL.V éme année.P.U.F.Paris 1952.

-Durkheim Emile :Religions .Journal de Sociologie .P.U.F. Paris .1969.

-Dardel Eric : Magie, Mythee et Histoire. Journal de Psychologie Normale et Pathologique.X.L.IIIéme année .P.U.F.Paris 1950.

-Dictionnaire Universel des Noms Propres.Petit Robert.2. Coll.Usuels de Robert .Paris 1986.

-Encyclopédie Universalis:Esclavagisme.Editeur à Paris. Vol.7.France .S.A.1985.

-Grima (P):Mythologie des Montagnes; des forêts , des Iles , Librairie LARGUSSE.Paris.1963.

-KREGLINGER (R):La religion et la magie chez les peuples primitifs.Re Revue d'Histoire et de philoscphie. Religieuse 3eme année. Bruxelle .1923.

-LUPWISHI.M'Buyamba:sensibilité musicale et spiritualité Africaine. C.E.R.A. Art Religieux Africain.Vol 16.1982.

-LANDEL (A) : Les TADJKANI. Caravaniers du Desert. Bulletin de liaison Saharienne.10.n°36. D.E.C.1959.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأطروحات ، المذكرات

- بنيون ـ ن ـ سميرة ـ م = أزواج اربعة دوري ـ مذكرة نهاية ليسانس في علم الاجتماع ـ معهد علم الاجتماع ـ 85 ، 86 ـ

- بورحلة ـ ب ـ سالمي ـ ف ـ ر ـ طالحي ـ د = زيارة المرأة للزاوية ـ دراسة حالة للزاوية بالسورية ـ سور الغزلان ـ مذكرة نهاية ليسانس في علم الاجتماع ـ معهد علم الاجتماع ـ 85 . 86

- توسين ـ سيجا ـ ن = أنمنت الزيارة أ ـ دراسة ميدانية لظاهرة زيارة الاضرحة في قبة سيدي أحمد ـ بلدور ـ مذكرة نهاية ليسانس في علم الاجتماع ـ بمعهد علم الاجتماع ـ 85.86

- سليم ـ و ـ عويشات ـ س = جيب أسوف ـ دراسة حول الطقوس والمواقف في القبة ـ بوربيعة ـ مذكرة نهاية ليسانس في علم الاجتماع ـ بمعهد علم الاجتماع ـ 85 ـ 86

- نغال ـ ف ـ سهادونيت ـ ن = قواعدات ، واثرات ـ عرض لبعض حالات مواجهة المشاكل ، بالسحر في الجزائر العاصمة ـ 84 ـ مذكرة نهاية ليسانس في علم الاجتماع ـ بمعهد علم الاجتماع ـ 86 . 85 .

Germaine Dieterlen : Essai sur la religion Bambara. Thèse Doctorat. Faculté Lettres. Universsité de Paris. 1945.

Merad. Ali. Le reformisme Musulman en Algerie. De 1925-1940. Essai d'Histoire religieuse. Thèse Doctorat. Mouton & Co. Lahaye. Paris 1967.

Guitis Aissa : Les contradictions sociales et leurs expressions symboliques.(Setifois). D.E.S. de Sociologie. Université d'Alger. 1976.

TOUALBI. Noureddine : Acculturation conflit de valeurs et utilisation des Rites en Algerie. Thèse de Doctorat. Université de Paris V. Sorbonne - T.1. 1982.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع المترجمة الى العربية

- دونالد .ل. ويدنر : تاريخ افريقيا جنوب الصحراء - ترجمة : علي أحمد فخري ، شوقي عطاء الله الجمل -
مؤسسة سجل العرب - مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر .
القاهرة نيويورك .1976.

- رولان مونسييه . ارنست لابروس : تاريخ الحضارات العام . ترجمة . يونس . داغر . فريد .م .داغر . بيروت لبنان - 1966.

المجلات المترجمة للعربية

- بارت .رولان : السيتولوجيا . الاسطورة اليوم - ترجمة : مصطفى كمال .
مجلة مغربية . بيت الحكمة . العدد السابع. دار البيضاء.
المغرب 1988م .

القرآن الكريم :

- سورة سبأ . مكية و آياتها الاربع و خمسون الاية 12 .
- سورة النمل . مكية و آياتها ثلاث و تسعون الاية 16.
- سورة النحل .مكية و آياتها الثلاث و تسعون الاية 37 الى 40 .
- سورة الرحمان. مدنية و آياتها الثمان و سبعون الاية 1/ 15 .
- سورة الجن . مكية و آياتها الثمان و عشرون الاية 15/1 .
عنيت بطبعه - دار القلم - بيروت - لبنان - 1405هـ . 1984م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ مصـــادر و مراجـــع أخـــرى بعـــد المراجعـــة :

باللغـــة العربيـــة :

ـ أحمـد علبـي : "ثـورة الزنـج و قـائدها علـي بن محمـد" .
منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . لبنان . 1961م

ـ أحمـد فؤاد السّيد : "ملاحظـات جديدة حول ظهور المماليك".
دراسات عربية اسلامية . القاهرة . 1982م .

ـ أبو بكـر الجزائري : "منهـاج مسلم" . دار الكتب السلفية . القاهرة .
عن دار الجيـل . بيروت . لبنان . ط 1407 هـ .

ـ مخطـوطـة : السيد مدنـي محمـد بن محمـر . تصـر أولاد
سيدي الحـاج أحمد . بالابيض سيدي الشيـخ
ولايـة البيـض . تحصل عليها أصلا السيد :
بن نعـوم أحمد بمدرالمركـز الوطنـي للدراسات التاريخيـة .

باللغـــة الفرنسيـــة :

- BORDAS .Encyclopedie SCIENCES Sociales . 12. T.1. Coll.Bordas

- CANALE Jean Suret: Essais d'histoire africaine : de la traite des noires au néocolonialisme.
Ed. Sociales.Paris.1980.

-CONFINC Michel: Servage russe, esclavage americain.
Annales (E.S.C.) 45eme Année.N°5. Ed.Armand Colin.Paris.1990.

- ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM. Nouvelle edition. T. 1 .
Ed.G.P.Maisonneuve & Larose .Paris. 1975.

- ECHARD Nicola: L'habitat traditionnel dans l'Ader (pays HAOUSSA,republique du Niger)
Revue rrançaise d'Anthropologie.T.VII.
Mouton & Co.Paris.1967.

- KESTELOOT Lilyan:Anthologie negro africaine.
Ed. Gerrara & Co.Verviers.Belgique 1976.

- LAPASSADE George: Recherche sur la situation des GNAWA et des religions populaire extatiques en afrique du nord.(A.R.T)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- LAPASSADE George :Essai sur la transe .
Ed. Universitaire.Paris.1976.

- MEILLASSOUX Claude: L'esclavage en afrique précoloniale,Dix sept etudes.
Ed. F . Maspero . Paris.1975.

-MAROUF Nadir: Espaces maghrebins,pratiques et enjeux.
Collo. de Taghit.23.26.Nov.Ed.URASC.
ENAG. ORAN .1989.

-MONFOUGA Jacqueline Nicola: Ambivalence et culte de possession.
Ed. Anthropos. Paris. 1972.

-REISMAN Paul :Mariage et vol de feu;quelques catégories de la pensée symbolique HAOUSSA.
Revue française d'Anthropologie.N°04.
Paris.1966.

-ROBIN Fox: ANTHROPOLOGIE DE LA PARENTE, une annalyse de consanguinité et de l'alliance.
Ed. GALLIMARD. Paris. 1972.

- ZIEGLER Jean: Le pouvoir africain; Ed. Seuil.
Paris . 1973.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق المصطلحات المتداولة دينيا و اجتماعيا

- المواسم
- الوعدة
- سخون
- مشرى
- مبيوع
- بابا سالم
- كورية
- سودانية
- الكومانية
- مكان عامر
- ديوان اسود
- ديوان ابيض
- المحلة . دار الجماعة
- عبيد - وصفاء
- الدوزان
- الجدبة
- البراج
- موسم الغول
- النية
- الفال
- الجنون
- قطع العادة
- البركة
- مسكون
- مضروب
- مملوك
- تذكروهم بالسمن و العسل
- هادوك الناس
- ليلة سبعة و عشرون
- ليلة نصف (15) من شعبان
- الدرويشة
- الشوافة
- الطالب
- احنا مسلمين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق أسماء القبائل

SOROGO	BOZO
SOROKO	BOBO
FOULANE	BANDLAGARA
HAOUSSA	MONIMPE
BAMBARA	SAN
TOMBOUCTOU	DJENNE
GAO	SOUMPI
MERZOUK	DJENNARI
BERNOU BORNOU	PONDORI
DARFOUR	KOUKIA
AGADES	PEULS MASSINA
TADJKANT	FOUTA
FEZAN	
KEWAR	
KANO	
KETSINA	
SONGHAÏ	
TOMBO	
GOURMA	
KEBBI	
DENDI	
TOUAREG	
NONO	
TOUAT	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ ملحق التشجير الذي وضعته أ. جـاكلين مونفوقا . ن . الذي يتضمن أسماء عائلة الاله بـــــــوري .

(**) UNE FAMILLE DE DIEUX (D'APRES UN MUSICIEN DU BORI)

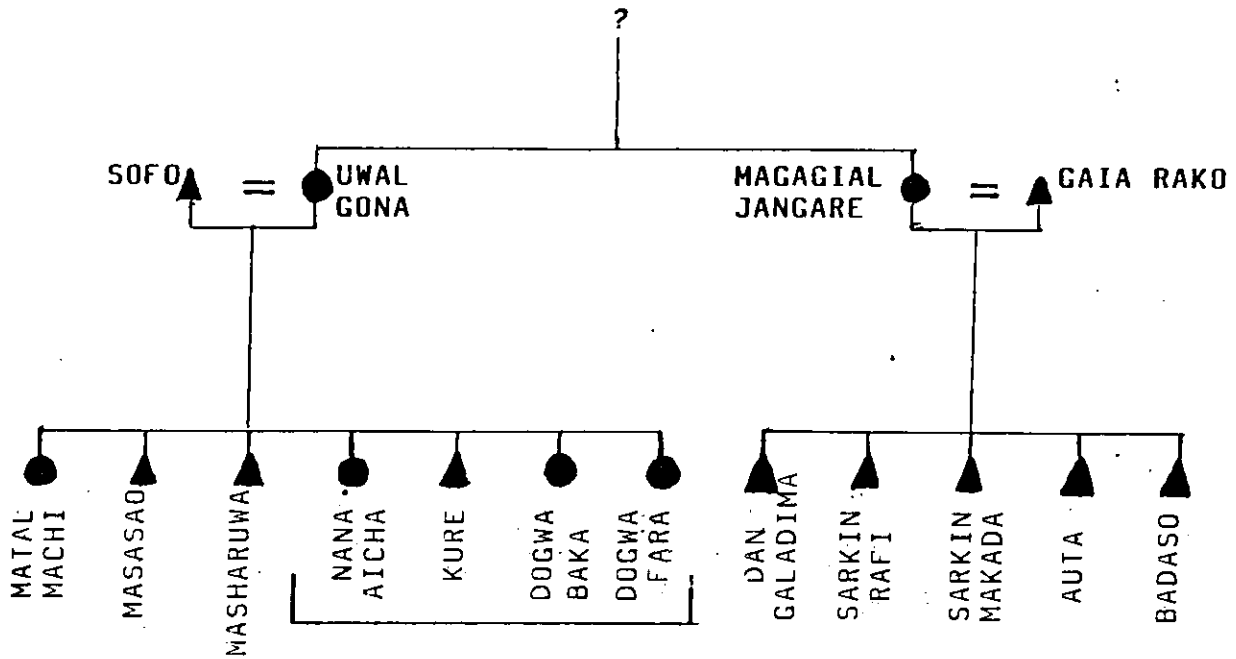

(**):-Par comparaison à l'étude du culte de BORI "Jacqueline MONFOUGA" on retrouve dans la famille des Dieux étudiée,Quatre (4)prises de noms préalablement mentionnées dans notre corpus et dont l'analogie nous a permis de faire un tel rapprochement.

JACQUELINE MONFOUGA.N.(1972).P.361.

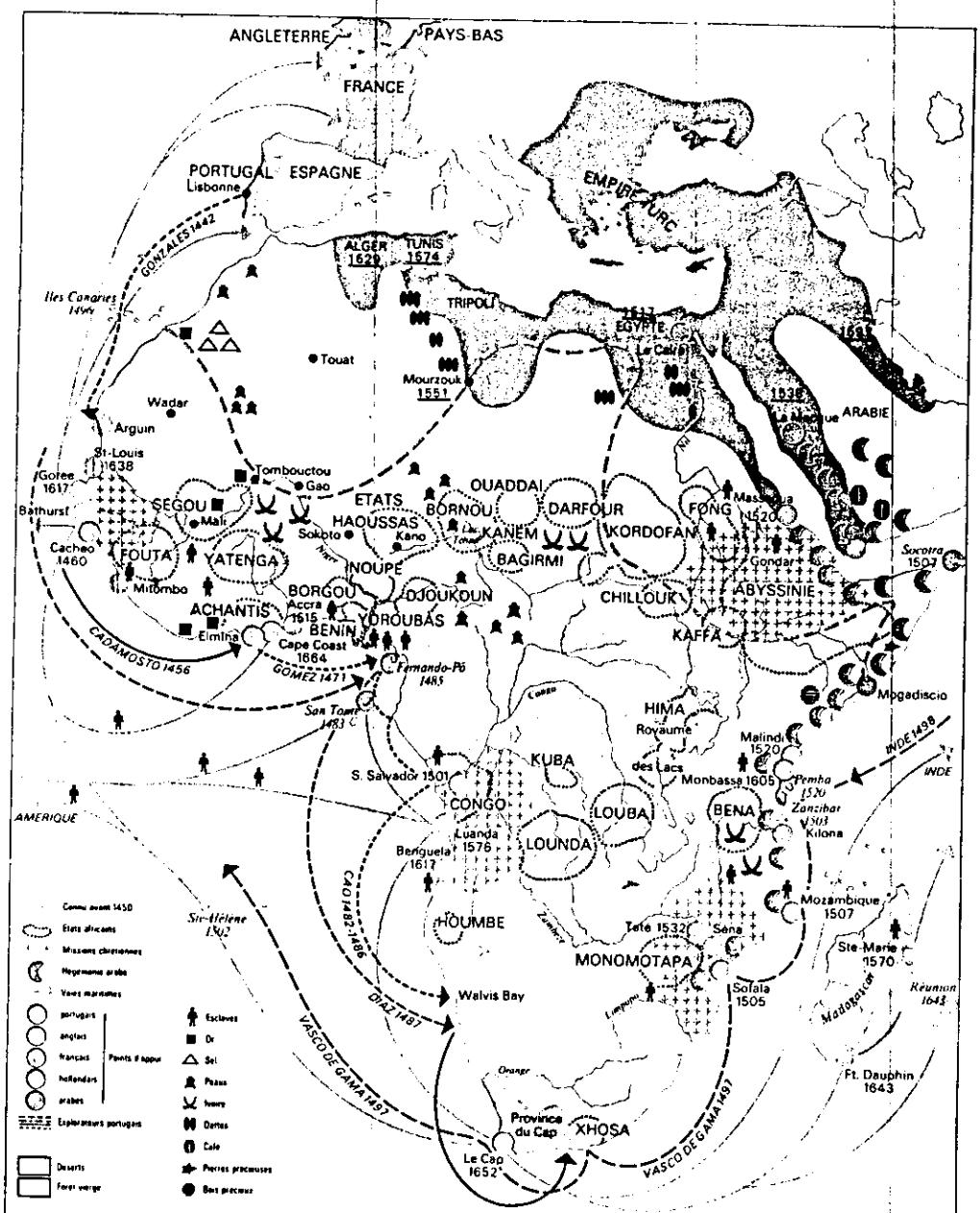

Exploration de l'**Afrique** par les Européens (XV^e^-XVII^e^ s.).

Petit Robert.2

Dictionnaire Universel des Noms Propres.

Coll.Usuels de Robert : Paris 1986.Pg 16 .

ملحـــــــق خريطـــــة بعض الامبراطوريات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit